
www.kotobarabia.com
PALESTINE
BELONGS
TO THE
PALESTINIA.
ما بعد الصهيونية
وأكذوبة حركة "السلام" في إسرائيل
JEWS ≠ ISRAEL
EXTREME
أحمد بهاء الدين شعبان
www.kotobarabia.com

ما بعد

الصهيونية وأكذوبة حركة

"السلام" في إسرائيل

ودراسات أخرى

أ د اء الدين شعبان

الفهرس

تقديم

د. سيد البحراوي

شرف كبير لي أن أكتب هذه المقدمة القصيرة لكتاب المهندس أحمد بهاء الدين شعبان الجديد "الصهيونية وما بعدها" لأسباب متعددة تتعلق بأهمية الكاتب والكتاب، وما يقدمان من نموذج للفكر الجاد والملتزم والمناضل، نحن في أشد الحاجة إليه في هذه اللحظات الخطيرة من حياة وطننا العربي، هذه اللحظات التي يفتقد فيها الوضوح، ويفتقد فيها المثال، ويفتقد فيها الأمل.

وتقديري أن أحمد بهاء الدين شعبان هو واحد من قلائل بين المثقفين المصريين المعاصرين الذين يمتلكون القدرة على تحقيق هذه القيم المفتقدة. فقد ظل منذ مشاركته في قيادة الحركة الطلابية في السبعينات وحتى الآن نموذجا للمثقف المناضل الوطني المتمسك بقيم الوطن والعدل والاشتراكية والحرية، وظل نضاله وفكره طوال العقود الثلاثة المنصرمة صلبا واضحا لا لبس فيه ولا التواء ولا هوى شخصي، مهما كانت التعقيدات والالتباسات في المواقف والأزمات التي مررنا بها خلال هذه العقود، ومهما

كانت التضحيات التي تترتب – بالضرورة – على هذه الصلابة والاستقامة.

وطوال العقود الثلاثة كانت القضية الفلسطينية – باعتبارها قضية كل المصريين وخاصة طبقاتهم الشعبية، أبناء الوطن الحقيقيين – هي الشغل الشاغل لأحمد بهاء الدين شعبان في نضاله وفي بحثه وفي كتاباته في الصحف والمجلات. وبشأن هذه القضية، ومع كل تطوراتها المأساوية التي انتهت إلى ما هي عليه الآن، كان موقف أحمد بهاء الدين واضحا إزاء حق الشعب الفلسطيني في كامل ترابه الوطني، ودولته المستقلة. وكان رفضه واضحا أيضا لكافة الحلول الاستسلامية التي قدمتها القيادات العربية مصرية كانت أو فلسطينية أو غيرها.

وفي سياق هذا الموقف يأتي هذا الكتاب الذي تتابع دراساته المتعددة التطورات الجديدة في القضية الفلسطينية، فاضحا بالوقائع والحقائق المحايثة للأطراف المختلفة في الصراع العربي الصهيوني، مدى الزيف والتضليل الذي تمارسه القوى السياسية والأجهزة الإعلامية لوضع الصراع ومستقبله من وجهة نظر المهيمنين في اللحظة الراهنة. وهذه

هي الأهمية الكبيرة لهذا الكتاب الـذي يحتـاج إليـه حتـى المناضلون، من أجل كشـف الحقـائق وتوضـيح الاتجـاه الصحيح وإزالة الغيوم الكثيفة التي يحرص الأعـداء علـى إحاطة الوقائع بها، تحت مسميات جديدة دائمـا، "مـا بعـد الصهيونية"، "السلام الآن".. وغيرها.

ولذلك بدأت هذه المقدمة وأختمها بأن الكاتب والكتاب يقدمان نموذجا للمثقف المناضل، مثالاً لما نحـن فـي أشـد الحاجة إليه في لحظات الظلام الكثيف التي نعيشـها. فهـذا النموذج سيبقى – مهما ندر – هو الشمعات القليلة التي تبـدد بعض هذا الظلام، وتقود أبناء الطريق لإضاءة مزيـد مـن الشموع، وكلما تكاثرت تبدد الظلام، وهذا هو الأمـل الـذي يبقى ملاذنا الوحيد.

مقـدمة

أحمد بهاء الدين شعبان

ترتبط حياة جيلنا – بصـورة عضـوية – بالصـراع العربي الإسرائيلي، وبقضية فلسطين، حتى ليصح القـول أن ميلاد ومسار تطور هذه القضية، هو تاريخ شخصي لكل فرد من أبناء هذا الوطن، بصورة عامة، ولكل واحد من أبناء هذا الجيل – على وجه الخصوص – الذين أبصـرت عيـونهم النور حوالي منتصف هـذا القـرن، قبـل إعـلان الدولـة الصهيونية المغتصبة، واكتمال مأساة الشـعب الفلسـطيني، أو بعدها، بقليل.

وفي سنوات الطفولة الأولى، تفتحت رؤيتنـا للوجـود على وطننا وهو يقاتل دول العدوان الثلاثي (وفي القلب منها إسرائيل) ويتصدى لهم ببطولة، في بورسعيد عـام ١٩٥٦، أما في مفتتح شبابنا فقد هزت أعماقنا الهزيمة الفادحـة فـي يونيو ١٩٦٧، وألقت بظلالها السوداء على سنوات صـبانا اليافع، فأثرت تأثيرا مباشرا على مكونات وعينا، ووضعت أمامنا أولوية أولى - كهدف مصيري لوجودنا – هو النضال

من أجل تحرير الوطن، والتصدي للهجمـة الصـهيونية – الإمبريالية، التي تتهدده بالخطر على كل الجبهات.

وقد كان هذا الاختيار وراء دفع جهدنا، في الجامعـة، باتجاه إنشاء جماعات أنصار الثورة الفلسطينية وكان أيضـا حافز التفجرات الطلابية التي هزت جامعات مصر، في عقد السبعينات، ثم كان من خلـف قـراري بمعايشـة الثـورة الفلسطينية على امتداد أكثر من أربع سـنوات مـن أواخـر السبعينات حتى قبيل الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، ثم هو أيضا كان الحافز لتكريس أغلب جهدي الثقافي والسياسي بعدها، وطوال عقد التسعينات، من أجل متابعة مـا يحـدث على ساحة الصراع المصيري مع العدو الصهيوني، فكان أن قدمت إسهاما متواضعا – في هذا السياق – متمثلاً في ثلاثة كتب، هي على التتابع: "الاستراتيجية العسكرية الإسـرائيلية عام ٢٠٠٠" و"اتفاقية غزة أريحا" [بالاشتراك مـع الأسـتاذة نادية رفعت]، وأخيرا "حاخامات وجنرالات: الدين والدولـة في إسرائيل"، حاولت عبرها – جهد طاقتي – تتبع مجتمـع العدو الصهيوني في مظاهره الرئيسية:

(١) اتجاهاته الأمنية والعسكرية التي يسعى بواسـطتها لفرض هيمنته كقوة إقليمية أولى في المنطقة.

(٢) سعيه لاستكمال مقومات هذه الهيمنـة بسـيطرته اقتصاديا على بلادنا، عن طريق اتفاقـات إذعـان يحقق بها جانبا متعاظما من أغراضه التوسعية.

(٣) وأخيرا طبيعة التناقضات البنيوية المتفاعلة داخله، وحدود تأثيرها على وضـعيته الراهنـة، وعلـى مستقبله.

كذلك، فقد بذلت غاية جهـدي فـي محاولـة متابعـة التطورات الاستراتيجية والسياسية والثقافيـة والاجتماعيـة المتعلقة بصراعنا التاريخي، مع عدونا، عن طريق الكتابات الصحفية، في المنابر المصرية والعربية، باعتبار ذلك واجبا أساسيا ينبغي القيام بعبئه مهما كانت الظروف.

وفي إطار هذه الجهود المبذولة لتتبع ما يطـرأ علـى الدولة الصهيونية من تغيرات وما يطرأ فيهـا مـن وقـائع، تحاول هذه المجموعة الجديدة من الدراسات التي يحتويها هذا الكتاب، أن تلقي مزيدا من الضـوء علـى مجموعـة مـن الظواهر والمفاهيم المستجدة فيها، والتي كانت سببا للعديد من

الالتباسات لدى البعض من المثقفين والمواطنين العرب، بما صاحبها من خلط، وما شاب طرحها مـن تعتـيم مقصـود، فأحدثت بلبلة كبيرة وسببت تصادمات فكرية عاتية، وشـكلت مدخلاً لاختراقات أيديولوجية ملموسة على الجبهـة الثقافـة المصرية والعربية ومنها قضـايا "مـا بعـد الصـهيونية"، و"حركة السلام في إسرائيل"، وجدوى مشاريع "التطبيع" بين المثقفين العرب والمثقفين الصهاينة.. وغيرها من القضـايا، التي ستتصاعد أهميتها مع التطورات الحافلة التي ستشـهدها المنطقة في الفترة القادمة، وخصوصا إذا أعادت الانتخابـات القادمة حزب العمل إلى السلطة، وبدأ ما يصفه – عن حق – أحد الأساتذة الزملاء بـ ـ "موسـم الحـج إلـى (اليسـار) الإسرائيلي".!!

وأخيرا، فمن واجبي أن أوجه شكري لكل الأصـدقاء والزملاء من المعنيين والمهتمين، الذين قدموا لـي العـون بطيب خاطر، وهيئوا لي كل أشكال الدعم والمساندة؛ حتـى يخرج هذا العمل بصورته اللائقة.

القاهرة- ١٩٩٩/٢/٤م

الفصل الأول

الصهيونية وما بعدها

قراءة أبعاد ودلالات ظاهرة

"ا ؤرخ ا دد"

"إن السياسيين الإسرائيليين كذابون منذ أن ولدتهم أمهاتهم" (١)

على أعتاب الاحتفال بمرور نصف قرن على إعلان الدولة، استيقظت إسرائيل – على حد وصف "دانيئيل بن – سيمون" – فوجدت نفسها "دولة أخرى"(٢)!؛ وفي نظر العديد من المراقبين، فقد بدت إسرائيل عشية العيد الخمسيني "دولة منقسمة على نفسها"(٣) ، وشبه البعض ما تمر به من أعراض بـ "أزمة منتصف العمر" متسائلين مثلما تساءل "بوب سايمون" مراسل الـ C.N.N: "ترى هل تعيش إسرائيل للاحتفال بعيدها المئوي!؟"(٤).

فالدولة التي بنيت عنوة، وفرضت فرضا على الواقع المعادي المحيط، وقطعت شوطًا مرموقًا على مدارج التطور العلمي والنمو الاقتصادي، وأعدت جيشًا جرارا مدججا بأحدث ما تنتجه ترسانات السلاح في العالم، والدولة التي تحصنت وحدها – في المنطقة – بجدار الردع النووي المنفرد، وتحدت بغطرسة – غير مسبوقة – العالم و"شرعياته".. باتت عاجزة عن أن تلم شتاتها الممزق، أو أن

تحمي بيتها الداخلي من التداعي، وفي الوقت الذي يتبـاهى رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو" بأن دولتـه ستصـبح فـي غضون سنوات قليلة واحدة من أغنى وأقـوى دول العـالم، تجتذب المليارات – من أنحاء العالم – للاستثمار، اعتمـادا على "الطاقة الحيوية الكامنة"(٥) ، يبدو البناء للمدققين، ولعديد من المحللين، ولكثيرين من القـائمين فيـه، هشـا، مهـددا بالانهيار، وتطرح فيه – وربما الأولى – "أسئلة البداهة" التي وجدت الشعوب السوية في الأرض كافة إجاباتها منذ قرون: من نحن؟! ومن أين أتينا؟! وإلى أين نذهب؟!، وهي أسـئلة على بساطتها، عصية - في مثل الحالة الإسرائيلية – علـى الإجابة، لأنها – في واقع الأمر – تمـس جـوهر الوجـود الملتبس للدولة الصهيونية ذاته، وتصيب عمـق المشـروع الصهيوني في مبناه ومبتغاه، ولأنها، أيضا، تأتي في وقـت حرج، تتصاعد فيه نذر التفسخ، وتدق طبول الصـدام بـين "شظايا" الدولة المتنافرة، والمتصارعة إلى الحد الـذي دفـع البعض للتحذير من نشوب "حرب أهلية بـين اليهـود فـي إسرائيل"(٦) ، بينما رأى الآخرون أن "الصراع اليهـودي – اليهودي في إسرائيل هو أشد مـن الصـراع الإسـرائيلي /

الفلسطيني"(٧) ؛ الأمر الذي جعل إسرائيل تبدو للناظر من علٍ "مكانًا لشتات اليهود، يتشاجرون، ويتنازعون بينهم" على حد وصف يهودية بريطانية!(٨).

• مقدمات ودوافع نشأة ظاهرة "المؤرخين الجدد":

هذه الأسئلة، وغيرها، كان وقعها أشد وطأة، وأعمق تأثيرا على جيل "الصابرا"، المولود على الأرض الفلسطينية التي أصبح اسمها "إسرائيل"، فهو ولد فوقها، وعاش عمره فيها، واكتسب جماع تجربته من حياته عليها، وهو الذي يدفع الثمن الفادح في سبيل الاحتفاظ بها، وهو الذي زيفوا له وعيه، ورسموا له صورة زاهية امتدت لتشمل تاريخ دولته المصطنع، وهالة "المجد" الذي أحاط بزعمائه وقادته (الأبطال) المزعومين.

ومثلما كانت حرب ١٩٦٧ مدعاة للفخر، ودعامة من دعامات ترسيخ الفكرة الصهيونية، والدولة الإسرائيلية، أصبحت حرب "يوم الغفران"، حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، دافعا مضادا، لإعادة التفكير في الجدوى الاستراتيجية

لجوانب من المشروع الصهيوني ذاته.. فالانتصار في حرب يونيو لم يمنح إسرائيل الأمان، وترسانات السـلاح المتقـدم لم تمنح مواطنيها ما يطلبون من استقرار ودعـة، ودفعـت تداعيات حرب أكتوبر، ثم وقائع الغزوة البربريـة – غيـر المبررة – للبنان، وأخيرا تفجر انتفاضة الشعب الفلسـطيني في عقد الثمانينات، العديدين إلى التفكير بعمق، وطرح الكثير من القضايا المصيرية، في محاولة للحصـول علـى إجابـة لتساؤل موضوعي لا مفر من مجابهته: لمـاذا حـدث مـا حدث؟! وهل "التاريخ الذي روته المصادر الرسمية عن نشأة الدولة وحروبها وسلوكياتها كان تاريخًا حقيقيا أم مزيفًا؟! .. وأهم من هذا كله: هل حقا كانت "أرض إسرائيل"، أرضا بلا صاحب تنتظر "شعب بلا أرض" على النحو الـذي صـوره "الآباء المؤسسون" ودارت به الدعاية الصهيونية علـى مـر العقود؟!.

وقد ساعد في طرح هذه الأسئلة، ودفع باتجاه العمـل على تبين أبعاد ومضـامين الإجابـة عليهـا العديـد مـن "المتغيرات" التي عمت العالم أجمع، وكان لهـا انعكاسـاتها داخل إسرائيل، والعديد مـن "التطـورات" التـي عصـفت

باستقرار الدولة وغيرت الكثير مما كان قد استقر فيها، وأهم هذه "المتغيرات"، وتلك "التطورات" ما يلي:

(١) انهيار الاتحاد السوفيتي وما نتج عنه من آثار، وأهمها – بالنسبة لإسرائيل – الهجرة الضخمة لليهود (السوفييت) إلى الدولة الصهيونية، الأمر الذي يعني أنه خلال العقد القادم سيهاجر كل اليهود – تقريبا – من دول الاتحاد السوفيتي سابقًا، إليها وهو ما يقود إلى أن تصبح إسرائيل دولة ضامة لـ "أغلب يهود العالم"[٩].

(٢) غزو اتجاهات "ما بعد الحداثة"[١٠] و"العولمة"، وانعكاساته على الواقع الإسرائيلي.

(٣) التطورات على مسار عملية التسوية السلمية، وبروز احتمال دخول إسرائيل في شبكة العلاقات مع الدول العربية والمحيطة، وانفتاحها الواسع على النظام السياسي الدولي[١١].

(٤) التحولات العميقة التي طالت مجمل العلاقات الاقتصادية/ الاجتماعية في إسرائيل حيث يرى بعض المحللين أن ما عزز من توجهات "المؤرخين

وعلماء الاجتماع الجدد" حـدوث مجموعـة مـن التغيرات الداخلية حفزتهـا التطـورات العالميـة، بحيث ضعفت سيطرة الدولة والهسـتدروت علـى الاقتصاد لحسابات المصالح التجاريـة الخاصـة، وأصبح الصرح المؤسساتي الذي أوجدته "حركـة العمل" أو "الصهيونية العمالية" حول "الهستدورت" ينظر إليه بوصفه عائقًا أمام "الرفاه والازدهـار"؛ وكذلك طالت هذه التطورات "الروح الاستيطانية"، "الريادية" ومؤسساتها، والتي كانت أمـرا حيويـا للدولة ولعملية بنائها، بحيث أصبحت – في نظـر الأجيال الجديدة – "شيئًا مـن مخلفـات الماضـي" وعائقًا أمام المصالح الاقتصادية والسياسية لشرائح من المجتمع، وعبئًا على مؤسسات الدولـة حيـث ظهر ما وصف به "الاسـتيطان مكيـف الهـواء" و"المستوطنون المرتزقة"(١٢) كنايـة عـن أركـان حركة الاستيطان الجديدة، التـي أغـدقت عليهـا حكومات الليكود اليمينيـة مئـات الملايـين مـن الدولارات في الحقبة الأخيرة.

هذه الأسباب وغيرها، أدت إلى بروز ما أطلق عليـه ظاهرة "المؤرخين الجدد" و"علماء الاجتماع الجدد"، وطـرح الحوار – داخل المجتمـع الإسـرائيلي وخارجـه – حـول مفهوم"ما بعد الصهيونية".

• ما بعد الصهيونية: البحث عن تعريف:

وحينما نأتي إلى محاولة تعريـف مفهـوم "مـا بعـد الصهيونية" سنكتشف التباين الواسع، والحد المتعـاظم مـن الالتباسات المحيطة به.

فبينما يعلن "توم سجيف"، وهو أحد "المؤرخين الجدد"، "المتهمين" بالترويج لمفهوم "ما بعد الصهيونية"، أنه يجهـل مضمون هذا الشيء المسمى "ما بعد الصهيونية!"(١٣) ، وأنـه لا يعدو أن يكون "شتيمة موجهة إلى شخص تختلف مقاربته للصهيونية عن مقاربة من شـتمه!"(١٤) ، يعرفهـا "أمنـون روبنشتاين" أستاذ القانون، ووزير التربية والتعلـيم، سـابقًا، باعتبارها: "نظرة تعتبر الصهيونية حركة كولونياليـة"(١٥) ، اتخذت مواقف صماء تجاه الظلـم الـذي ألحـق بـالعرب، ويضيف، أنها – بحسب رأيه – مجرد " لملمة مذاهب تافهة، أو ترهات احتيالية! " (١٦) ، ويتفق رأي البروفيسور "يوسف

جورني"، رئيس معهد "حاييم وايزمن" لدراسة الصهيونية، مع هذا الرأي تقريبا، حيث يرى أن الغاية المتسترة خلق مفهـوم "ما بعد الصهيونية"، هي "معاداة الصهيونية"[(١٧)] ، في حـين ينكر البروفيسور "يو آف جلبر"، رئـيس معهـد "هرتسـل" لدراسة الصهيونية المفهوم ذاته، لأنه "كما لا يمكن لحـديث عن "ما بعد الأسبانية"، أو "ما بعد الفرنسـية"، فمـن غيـر الممكن الحديث عن "ما بعد الصهيونية".، لأن الصهيونية – من وجهة نظره – هي "الزي العصري للقومية اليهودية"[(١٨)]، أما "إيلان بابيه"، وهو واحد من أكثـر "المـؤرخين الجـدد" راديكالية، فيرى أنها "نظرة جديدة للصهيونية، تسعى – على سبيل المثال – إلى تحويـل إسـرائيل إلـى "دولـة جميـع مواطنيها"، وهي نظرة تتطلع إلى ماضي الصهيونية بنظـرة انتقادية و"كئيبة"، وإلى المستقبل بنظرة غير صـهيونية"[(١٩)]، بينما يربط الحاخام" آفي جيسر" بينها وبين الصهيونية: "أنـا صهيوني.. أنا "ما بعد صهيوني"؟!"[(٢٠)].

وهذه الفروقات الكبيرة في تحديد ملامح مفهوم "ما بعد الصهيونية"، تعكس اختلاف المواقع والـدوافع والمنطلقـات والغايات، ومنظور الحكم، الذي يؤدي – في نهاية المطاف –

إلى هذه التباينات الكبيرة في التعريف والتقيـيم، وبصـورة أقرب للصحة، يمكن صياغة مفهوم "ما بعـد الصـهيونية"، استنادا إلى مجمل الأفكار المطروحة – إسـرائيليا – علـى النحو التالي:

"إنها رؤية فكرية / تاريخية / اجتماعية، [ذات أبعـاد سياسية]، تتناول بالبحث والتمحيص "الأسـاطير المؤسسـة" للدولة الصهيونية، والروايات الرسمية التاريخية، والمفـاهيم المستقرة، حول طبيعـة الصـراع العربـي / الإسـرائيلي، والغايات الاستراتيجية (جزئيا) للمشروع الصهيوني، وكذلك تاريخ الحروب (اليهودية) ضد العرب، ومسـلكيات القـادة الإسـرائيليين (الفعليـة) فـي مواجهـة أصـحاب الأرض الأصليين، وغير ذلك من القضايا المرتبطة بتاريخ وتكتيكات وسسيولوجيا الصراع، ومن أجل تحقيق هذه الغاية، تلجأ هذه الرؤية لفحص "المسكوت عنه" في الوقائع والتحركات اليومية الرئيسية التي تم الكشف عن وثائقها مؤخرا، وأساسـا فـي الأرشيفين الإسرائيلي والبريطاني، يقوم بهذه المهمة عدد من المؤرخين وعلماء الاجتماع (الشباب)، الذين لم تتعد أعمارهم

عمر الدولة نفسها، وهم من مواليد فلسطين، (الصابرا) فـي الأغلب الأعم.

يدين بعض هؤلاء "المؤرخين وعلماء الاجتماع الجدد" بمرجعية (ماركسية) أو ("نيوماركسية")، لكن حسب "أمنـون روبنشتاين"، فإن معظمهم، (إن لم يكن كلهم) مـن أنصـار النزعة المسماة "ما بعـد الحداثـة Post – modernism"، ومضمونها في الحقل التاريخي – على سبيل المثال – أنـه "لا يوجد تاريخ موضوعي يسعى الباحث لمعرفته، حتى لـو لم يتوصل إليه دائما، وإنما هنـاك سلسـلة مـن الروايـات التاريخية، (narratives)، تعبر عن مجموعات متنوعة لـم يأبه التاريخ الرسمي لرؤيتها للأحـداث؛ وينبغـي للمـؤرخ المعاصر أن ينتبه لكل هذه الروايات، وألا يكتفي بالشـهادات والوثائق، لأنه يوجد دائما شك في أن هذه قررتهـا النخـب بصورة منحازة، وأملاها موقع هذه النخب الاجتماعي"[(٢١)].

ومن أبرز الأسماء التي لعبت دورا طليعيا فـي هـذا السياق كل من "بني موريس"، صاحب دراسة "مولد مشـكلة اللاجئين الفلسـطينيين ١٩٤٧ – ١٩٤٩"، و"إيـلان بابيـه" صاحب دراسة "بريطانيا والصراع العربـي الإسـرائيلي /

١٩٤٨ – ١٩٥١"، و"سيمحا فلابان" صاحب دراسة "مولـد إسرائيل: أسطورة ووقائع"، و"توم سجيف" صاحب دراسـة "١٩٤٩ / الإسرائيليون الأوائل" ودراسة "المليون الســابع"، و"في شلايم" صاحب دراسة "صـدام حـول نهـر الأردن"، و"ديفيد جروسمان" صاحب دراسة "الهواء الأصـفر" (عـن أطفال الحجارة)، و"أنيتا شابيرا": "سيف الحماقة: الصـهيونية والقوة" و"السير فوق خط الأفق" و"يهـود حـداثيون ويهـود سلفيون"، وأستاذ علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا "جرشون شافير": "علم الاجتماع النقدي وتصفية الواقـع الاسـتعماري الصهيوني"، وكذلك باروخ كيرلنج، أسـتاذ علـم الاجتمـاع بالجامعة العبرية.. وغيرهم.

وثمة من يقسم "المؤرخين الجدد" وأعمالهم النقدية إلى تيارات ثلاثة:

الأول: يرى أن نهاية المشروع الصهيوني قد وصلت غايتها وقاربت على الاكتمال بإتمام عملية استيعاب أغلبيـة (الشعب) اليهودي في بنية الدولـة الإسـرائيلية، وأن علـى إسرائيل – انطلاقًا من هذا – "أن تكف عن أن تكون دولـة يهودية، وعليها أن تصبح دولـة اعتياديـة، أي دولـة كـل

مواطنيها" فحسب، أي لا يعود لها صـلة رسـمية وخاصـة بيهود الشتات (مثلما هو حادث الآن)، وهذا القسم يـرى أن قانون العودة "قد مضى زمانه، ولم يعبر له ضرورة عمليـة أو فكرية"[٢٢] بل على العكس فهو ينتج آثارا ضـارة لجهـة كونه قانونًا شديد الإجحاف والتمييز ضد (عرب إسـرائيل) وحقوقهم المتساوية.. وبالرغم مـن أن أفـراد هـذا القسـم لا ينكرون "شرعية القومية اليهودية"[٢٣]، فـإنهم يـدعون أن "الصهيونية نجحت في مشروعها إلى حد أنها لم يعـد لهـا لزوم"[٢٤].

والثاني: ويمثله أساسا "بنى مـوريس"، وهـذا التيـار "لا ينكر هو أيضا شرعية الصهيونية"، لكنه ينظر بالاعتبـار إلى "أعمال الظلم" تجاه العـرب، وكـذلك أمـر إخفائهـا – وتنطلق هذه المحاولات من إقرار أن "إسرائيل قوية بما فيـه الكفاية لتسمح لنفسها بتفحص الماضي القريب، حتى ولو أدى ذلك إلى كشف حقائق قاسية"[٢٥].

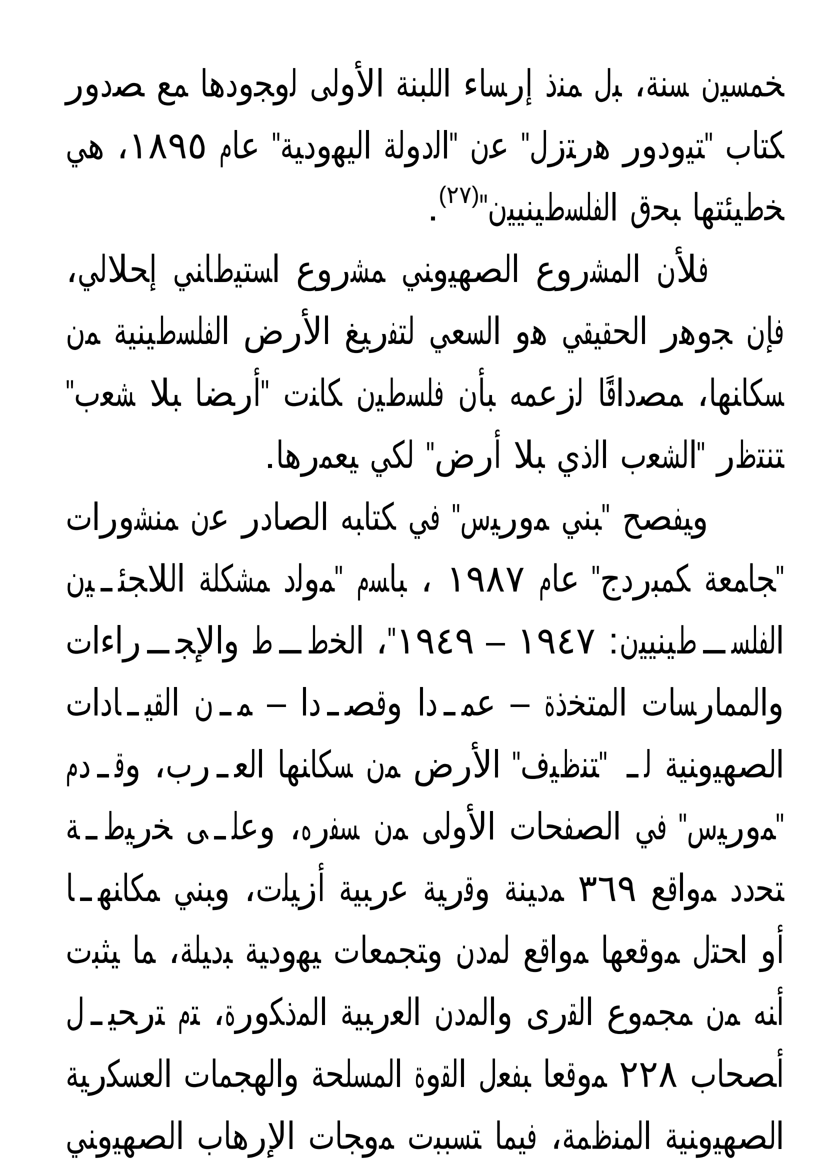
أما التيار الثالث: فهو النوع من النقد الذي يتحول من "ما بعد صهيوني" إلى "معـادٍ للصـهيونية!"، وهـو تيـار "لا يتورع عن استخدام أي تكتيك من أجل إظهار الصهيونية

وإسرائيل كأنهما ملطختان منـذ البدايـة!"[٢٦]، والواقـع أي كتابات "ما بعد الصهيونيين"، كما سيتضح فيما بعد، لم تصل إلى أكثر معطياتها راديكالية وحدة في نقد تجربة بناء الدولة الإسرائيلية، ومسار المشروع الصهيوني في نصف القـرن الأخير، حـدود "معـاداة الصـهيونية" التـي يشـير إليهـا "روبنشتاين"، بل وعلى أكثر الفروض اقترابا من الدقة، فهي تعمل على تصحيح صورة الدولة، بمحاولـة الإشـارة إلـى بعض ما علق بها من أوحال، لإزالتها، وحتى تكتمل الملامح "الأخلاقية" لها، على حد ما أشار البعض من هؤلاء، ولكـي تدخل النصف الثاني من مئويتها الأولى، وهي أكثـر قـدرة على مجابهة ما يحيط بها من مشاكل، ومـا يواجههـا مـن تحديات.

• أطروحات وقضايا "المؤرخين الجدد"

١- "الخطيئة الأولى" والمولودون في الإثم:

"إذا كانت الخطيئـة الأولـى – بموجـب اللاهـوت المسيحي، هي تلك التي يحملها الإنسان معـه منـذ سـاعة مولده، بل منذ ساعة تكونه في الرحم، فإن مرادف الخطيئـة الأصلية – بالنسبة إلى إسرائيل – منذ قيامهـا كدولـة قبـل



خمسين سنة، بل منذ إرساء اللبنة الأولى لوجودها مع صدور كتاب "تيودور هرتزل" عن "الدولة اليهودية" عام ١٨٩٥، هي خطيئتها بحق الفلسطينيين"(٢٧).

فلأن المشروع الصهيوني مشروع استيطاني إحلالي، فإن جوهر الحقيقي هو السعي لتفريغ الأرض الفلسطينية من سكانها، مصداقًا لزعمه بأن فلسطين كانت "أرضا بلا شعب" تنتظر "الشعب الذي بلا أرض" لكي يعمرها.

ويفصح "بني موريس" في كتابه الصادر عن منشورات "جامعة كمبردج" عام ١٩٨٧ ، باسم "مولد مشكلة اللاجئـين الفلســطينيين: ١٩٤٧ – ١٩٤٩"، الخطــط والإجــراءات والممارسات المتخذة – عمـدا وقصـدا – مـن القيـادات الصهيونية لـ "تنظيف" الأرض من سكانها العـرب، وقـدم "موريس" في الصفحات الأولى من سفره، وعلـى خريطـة تحدد مواقع ٣٦٩ مدينة وقرية عربية أزيلت، وبني مكانهـا أو احتل موقعها مواقع لمدن وتجمعات يهودية بديلة، ما يثبت أنه من مجموع القرى والمدن العربية المذكورة، تم ترحيـل أصحاب ٢٢٨ موقعا بفعل القوة المسلحة والهجمات العسكرية الصهيونية المنظمة، فيما تسببت موجات الإرهاب الصهيوني

وأخبار التنكيل والمذابح الدموية (خاصة بعد مذبحـة ديـر ياسين) في إخلاء ٩٠ موقعا، وبينما لم يستطع الباحث التحقق من مصير تفريغ ٤٥ موقعا، فإنه ذكر أن ستة مواقـع فقـط أخليت بإيعاز من السلطات العربية المحلية، وكإجراء تكتيكي مؤقت، أي أن كل مـزاعم القـادة الصـهيونيين، عـن أن الفلسطينيين قد غادروا بلادهم طوعا، أو استجابة لتحـريض من القيادات العربية، هي افتراء وكـذب صـراح، واليقـين القاطع أن ما تم هو خطة منظمة لتطهير عرقي هدفه إخـلاء الأرض الفلسطينية لاستكمال مشروع الاستيطان الصهيوني، وباعتبار أن الاستيطان، كما كان يقول "بن جوريـون" هـو "الاحتلال الفعلي"[٢٨] لأرض فلسطين.. ويذكر "توم سـجيف" أنه بعد أن أعلن وزير الدفاع تقريره عن أعمـال القتـل – "الذبح" كما وصفها – وأعمال الاغتصاب التي قام بها جنـود الجيش الإسرائيلي كسياسة لدفع الفلسطينيين للنزوح – أعلن "أهارون شيزلنج"، وزير الزراعة "أن أعمالاً نازية" قام بهـا اليهود أيضا"[٢٩].

وحتى الذين روج لهم كمعتـدلين و"حمـائم" و"دعـاة سلام"، كـ "شاريت" و"أبا إيبان" ، لم يختلف موقعهم – فـي

هذه الموضوعة بالذات – عن "الصقور" ورموز الحرب، فلقد كانت محل "إجماع (قومي)" كسياسة مقـرة ومعتـرف بهـا ولا يجادل أحد في أهميتها وضرورتها، فعلـى حـد تعبيـر "شاريت" يمثل إجلاء العرب "حدث رائع في تـاريخ البلـد، وهو، بمعنى معين، أكثر روعة من إقامة دولة إسرائيل!"[٣٠].

وبعد الحرب نفذت القيادة الصهيونية خطة محكمـة بهـدف المنع الصارم والكلي لعودة اللاجئين إلى ديـارهم، وأعلـن "بن جوريون" بأنه "لا وجود للاجئين"، هناك مقـاتلون أرادوا اقتلاعنا من الجذور"[٣١]. وتساءل مستنكرا: "أعيد اللاجئـين لكي يبيدونا مرة "أخرى؟!"[٣٢].

إن القتل، والتمثيل، وإشاعة الإرهاب ومناخ الرعـب والفزع، وسفك الدماء، والاغتصـاب، ونهـب المحتويـات، وإحلال المستعمرين اليهود الصهاينة محل أصحاب الأرض والدور، لم تكن مجرد تصرفات أجبرت الحـرب الطـرف الصهيوني إلى اللجوء إليها، كما ينـافح بعـض المـؤرخين اليهود الجدد، حتى بعد كل ما قدموه من وثائق، وما قـاموا من قراءات، بل إنها في واقع الحال، كانت خطـة محكمـة ومنظمة، وعملية "ترانسفير" مرتبـة هـدفها إبقـاء "أرض

إسرائيل" المدعاة "بدون عرب" لأنه – حسب قـول "يوسـف ويتز"، مدير الإدارة العقارية في الصندوق القومي اليهـودي آنذاك: "ليس هناك مكانًا لشعبين في تلك البلاد"[٣٣]!.

٢- "ترانسفير" مع سبق الإصرار:

وقد أوضح كل من البروفيسـور الفلسـطيني "وليـد الخالدي" والمؤرخ الفلسطيني "إليـاس صـنبر"، الأول فـي دراسة بعنوان "خطة دالت"، والثاني في دراسته: "فلسـطين عام ١٩٤٨: الطرد"، أبعاد الخطة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين وتصفية الوجود العربي بها، والتي تمثلت في إكراه ما بين ٧٠٠ – ٩٠٠ ألف مواطن على الرحيـل باسـتخدام القهر والقوة المسلحة والمذابح لفرض عملية "التفريغ"، بينما تصور الرؤية الإسرائيلية الأمر على نحو مغاير، حيث تدعي أن ما لا يزيد عن ٥٠٠ ألف فلسطيني قد غادروا أرضـهم وهربوا طواعية استجابة لنداء زعمـائهم الـذين وعـدوهم بالعودة السريعة بعد تحقيق النصر(!)، ويذكر "بنى موريس" في "ولادة مشكلة اللاجئين الفلسـطينيين: ١٩٤٧ – ١٩٤٩" أنه ابتداء من أبريل عام ١٩٤٨ تشكل ما عرف باسم "لجنـة

الترحيل"(*)، بقيادة "يوسف ويتز" التي أنشئت كـ "جهاز يقود الحرب بهدف إجلاء أكبر عدد ممكن من العـرب"، وهـي اللجنة التي قادت عملية منظمـة لتـدمير القـرى العربيـة المهجورة أو إعادة تسكينها بمهاجرين يهـود جـدد بهـدف الحيلولة دون أية إمكانية لعودة اللاجئين الفلسـطينيين، ثـم أضيف إليها مهمة جسيمة أخرى وهي مضاعفة المستوطنات اليهودية على الحدود.

ورغم الكم الضخم من القرائن التي تؤكد، بما لا يـدع مجالاً لأدنى شك، حدود وصيغة مـؤامرة الطـرد المـنظم للسكان الفلسطينيين، وهو مالا تخلو منه صفحة مـن كتـاب موريس"، أو كتاب "توم سجيف": "الإسـرائيليون الأوائـل: ١٩٤٩"، إلا أنه من اللافت للنظر تجاهل هؤلاء لمضـمون هذه القرائن ودلالة تلك المعلومات، وقد شد هذا الموقف انتباه الكاتب الفرنسي "دومنيك فيدال" الذي كتـب فـي "لوموند" دبلوماتيك" مستغربا من أن هذا الوضع، لم يمنع "مـوريس" وغيره من زملائه "من مواصلة استبعاد كل فكرة عن وجود خطة طرد يهودية وتبرئة "ديفيد بن جوريون"، رئيس الوكالة

(*) أسماها "بن جوريون" في مذكراته لجنة شئون "الاقتلاع والطرد"(٣٤).

اليهودية آنذاك، ثم رئيس الوزراء ووزير الدفاع في دولة إسرائيل الوليدة بعد ذلك"[٣٥]!؛ وفي رأيه بعد كل ما تقدم. أن ما حدث من نزوح وتهجير كان عملية عشوائية وكنتيجة جانبية من أعراض الحروب، وليس كهدف تم التخطيط له والعمل على تنفيذه(!).

٣- خرافة "داوود و"جوليات":

ولعل من أهم الخرافات التي ذاعت وشاعت، وروجت لها أجهزة الإعلام الغربية والصهيونية، خرافة الجيش الإسرائيلي الأسطوري الذي لا يقهر والذي تمكن، رغم قلة عدده وعتاده، من أن يهزم الجيوش العربية الجرارة المجتمعة من أجل الفتك به، تماما كما فعل الصبي "داوود" في مواجهة العملاق المعتدي "جوليات" على حد ذكر الأسطورة الإسرائيلية/ اليهودية.

يثبت "المؤرخون الجدد" بالوقائع والوثائق والمعلومات الرسمية المؤكدة أن هذا الأمر كان محض اختلاق لا أساس له من الصحة، بل إن العكس تماما هو الذي حدث، فقد كان الجيش الإسرائيلي هو الأكثر عددا من القوات العربية، والأكثر تسليحا والأفضل تنظيما، كما أن الظروف المحيطة،

والعوامل الداخلية والخارجية كانت أكثـر مواتـاة، وأشـد ملاءمة بالنسبة له؛ فبحسب رؤية "المؤرخين الجدد" بلغ عدد مقاتلي "الهاجاناة"، حملة السلاح، ٣٥ ألف مقاتل، مقابـل ٢٥ – ٣٠ ألف جندي عربي معظمهم غير مهيئين للقتال)، كمـا كان لدى الهجاناة في شهر أيلـول (سـبتمبر) ١٩٤٧، مـا مجموعه ١٠٤٨٩ بندقية و٧٠٢ رشاشًا خفيفًا، ٢٦٦٦ رشاشًا متوسطًا و١٨٦ رشاشًا ثقيلاً، وكان لدى "اليشوف" اليهـودي صناعة عسكرية متقدمة، فقد أنتجت مصانع الهاجاناة، فـي تلك السنة، ثلاثة ملايين طلقة و١٥٠ ألف قنبلـة و٦٠ ألـف مسدس. كما تدفقت الأسلحة (طائرات – مجنزرات – مدافع – ذخائر.. إلخ) من الدول الغربية إلى التجمـع الصـهيوني بفلسطين استعدادا للحظة الحاسمة[٣٦]، وفـي حـين كانـت ظروف الاستعمار والانقسام والتخلف لدى الطرف العربـي عوامل غير مواتية، أجمع "المؤرخون الجدد" علـى إبـراز أهمية عدد من "الأوراق الرابحة" التي كانت تمتلكها الدولـة اليهودية الوليدة في مواجهة أعدائها مثـل: تحلـل المجتمـع الفلسطيني، والتمزق العربي، وتدني مستوى جيوشـه (فـي العدد والتدريب والتسـليح)، ومسـاندة بريطانيـا العظمـى

والولايات المتحدة – وغيرهما من الدول الكبـرى للحركـة الصهيونية، وكذلك تعاطف الرأي العام العالمي (بعد النازية) والخيانات العربية، وغيرها من الظـروف التـي سـاعدت الطرف الصهيوني على تحقيق الانتصـار. إن مـا يـورده "المؤرخون الجدد" من حقـائق يـدحض بوضـوح ادعـاء "بن جوريون" الشهير الذي أطلقه يوم ١٦ حزيران (يونيـو) ١٩٤٨: "لقد واجه ٧٠٠ ألف يهودي ٢٧ مليون عربي: واحد مقابل أربعين" تلك العبارة التي أصبحت في إسرائيل والغرب بمثابة "أيقونة دعاوية تختصر وترمز إلى الملحمة البطوليـة اليهودية"[(٣٧)].

٤- تدمير السلام.. صناعة صهيونية:

ولعل من أهم القضايا التي ألقى عليهـا "المؤرخـون الإسرائيليون الجدد" "أضـواء سـاطعة"، قضـية الموقـف الحقيقي، للقادة الصهيونيين، من مسألة السلام ومساعي إنهاء الحرب.

الرواية الإسرائيلية الرسمية تقول بأن إسرائيل كانـت المبادرة بطرح مشاريع السلام، وأن الدولة العربية هي التي اتخذت مواقف متعنتة ورافضة؛ لكن "فلابن" يثبت الـرفض

الإسرائيلي المستمر [منذ نهاية الحرب العالمية وحتى ١٩٥٢] لجميع المقترحات التي قدمتها الدول العربية من أجل التسوية، ويؤكد "توم سجيف" الموقف القاطع للقادة الإسرائيليين الرافض لهذا التوجه؛ فبن جوريون كان – من وجهة نظر البعض – يرى أن حالة الصدام المستمر تساعد على توفير "التوتر المطلوب لتوحيد المجتمع الإسرائيلي وبلورته، وعلى استمرار سلطة مباي"[٣٩]، وقد انطلق "بن جوريون" – حسب رأي "سجيف" – من أن الزمن يعمل لمصلحة إسرائيل، فإذا ما استطاعت إسرائيل الصمود وتعزيز قوتها وبناء قوة رادعة، سيرضخ العرب. وسيجبرون على الاعتراف بوجودها، وتبلورت آنذاك "مدرسة فكرية" ترى أن "السلام غير مجدٍ"[٤٠]، وتطالب بالتوقف حتى عن الإدلاء بتصريحات عن رغبتنا في السلام، الأمر الذي يفسره العالم العربي بأنه علامة ضعف واستعداد للرضوخ!".. "بل علينا" – كما أعلن موشيه شاريت، وزير الخارجية – "أن نقول عكس ذلك: لا حاجة بنا للسلام!"[٤١]؛ ومن هنا كان تعمد إفشال كل مساعي التسوية (السلمية)، وهو المنهج الذي تم ترسيخه هناك.. وحتى الآن.

٥- تناقضات "الهوية" وأزمة الديمقراطية:

تعيش إسرائيل لحظة تناقض حاد، بين هويتها الواقعية كدولة عنصرية لليهود، وبين ادعاءاتها باعتبارهـا "واحـة للديمقراطية" في صحراء الديكتاتوريات العربية القاحلة، إلى الحد الذي يتبجح فيه "بنيامين نتنيـاهو"، رئـيس الـوزراء الصهيوني، فيدعي أن الاتفاقات مع العرب، لا تساوي وزن الريشة، بسبب أنها اتفاقات وقعت بين حكومـة ديمقراطيـة (إسرائيل)، وحكومات ديكتاتورية، غير مأمونة الجانب فـي كل البلدان العرب!.

وقد لمس "المؤرخون الجدد" هـذا الـوتر الحسـاس، والتناقض الهيكلي، في بنية وتشكيلة إسرائيل الأيديولوجيـة: ليس هذا فحسب، بل إن "باروخ كيرلنج" يزيد، مشيرا إلى أن التنازلات التي قدمت لصالح التيـارات الدينيـة المتطرفـة، جعلت إسرائيل "ليست حتى يهودية، وإنما هـي يهوديـة – أرثوذوكسية"[٤٢] وتتحول إسرائيل شيئًا فشيئًا، ومن جراء نقل المزيد والمزيد من صلاحيات المجتمع المدني/ العلماني إلى أيدي التجمع الديني المتطرف إلى "دولة ثيوقراطية (خاضعة لحكم رجال الـدين جزئيـا، لا تنسـجم مـع أي تعريـف

للديمقراطية، ويفرض هذا النظام قيودا شديدة على المواطنين العلمانيين أو المـواطنين المنتمـين إلـى تيـارات دينيـة أخرى"[٤٣]، فالمشروع الصـهيوني – مـن وجهـة نظـر "كيمرلنج" – حينما اختار أرض فلسطين لكي يرمي شـباكه عليها، ولكي يفرض سيطرته الاستعمارية على أركانها، لـم يكن ذلك الاختيار راجعا إلى "رحابـة أراضـيها الخصـبة، أو ثرواتها الطبيعية، أو قوة العمل الرخيصة الموجودة فيها، أو أسواقها المحتملة، وإنمـا بسـبب دوافـع أيديولوجيـة – دينية"[٤٤] وقد أدى هذا الاختيار، لـيس فقـط إلـى جعـل المشروع الصهيوني عاجزا عن إعالة نفسـه مـن ناحيـة اقتصادية "بل حولته إلى مشروع ديني من أساسه، لا يستطيع الانفصال عن هويته الأصلية لحركة شبه مسيحانية"[٤٥] .. إن جوهر حق هذا المجتمع وهذه الدولة، يقول "كيمرلنج"، وسبب قيامها أيضا، "كانا متجذرين في الرموز والأفكـار والكتـب المقدسة الدينية، وإن كانت [الصـهيونية] حاولـت ربطهمـا بتفسيرات وسياقات علمانية"[٤٦] .. إن هذا الوضع حمل فـي طياته تناقضا لا يمكن حله – موضوعيا – فبناء الدولة كـ "ملاذ لليهود"، وكدولة يهودية جعلها بحكم تعريفها نفسه دولة

عنصرية، دولة غير ديمقراطية، لأنها تحرم أتباع الـديانات الأخرى من حقوق المواطنة الكاملة بسبب اختلاف ديـانتهم، وهي إذ تكف عن هذه الممارسات، وتسمح لهم بأن يصبحوا مواطنين من الدرجة الأولى بها، تكف في ذات اللحظة عـن أن تكون دولة يهودية، وهذا هو جوهر المـأزق؛ لأن هـذه الصيغة العنصرية هي مبرر الوجود الأوحد للدولة، وحيـث "من دون الأساطير الصهيونية، التي هي ليست إلا أكاذيـب عن أكاذيب في أكاذيب، سوف ينهار المجتمع الإسرائيلي[٤٧] كما يقول "إيلي أمينوف" ناقدا هذا المنحى، لأنه لكي يتم خلق مجتمع عادي ودولة عادية يجب – ليس فصل الـدين عـن الدولة فحسب، إنما الشروع أيضا في عمليات إجرائية لبنـاء "إطار ديمقراطي علماني مستقر ودائم[٤٨]"، ومن ثم فإن "إيلي أمينوف" يرد على مزاعم البروفيسور "شلومو أفنيري" الـذي يقول أن هذه الأساطير تعبير "عن الحاجة للحفاظ على رموز تاريخية مربوطة في الذاكرة والتجربة الجماعية"[٤٩]، لأن هذا السياق لابد أن يقود إلى وضع لابد فيه من ممارسة سياسات التطهير العرقي للحفاظ على "نقاوة الدم"[*] – وهـي نفـس

---

[*] " إن الدم الإسرائيلي هـو المفضـل عنـد ا ، إنـه أكثـر احمـرارا مـن دم

ادعاءات النازية ذاتها – تحت تبريرات جديدة ترى أن الدولة "أحادية القومية"، "هي الوحيدة القادرة على بناء ديمقراطيـة مستقرة!!"[٥٠]، مدفوعة في ذلك بأحط ما في الطبائع البشرية من صـفات، أي "غريـزة البقـاء"، كمـا يقـول "أمنـون روبنشتاين"، الأمر الذي دفع "إيلان بابيه" للـرد: "إذا كـان محظورا علينا انتقاد غريزة البقاء هذه ومظالمها، فلن نكـون مختلفين عن أسوأ ما في الشعوب، الـذين بـرروا – باسـم غريزة البقاء – مجازر رهيبة"[٥١].

• "المؤرخون الجدد": محاولة للتقييم:

نادرا ما يمكن لظاهرة مثل ظاهرة "المؤرخين الجدد"، متفاعلة وديناميكيـة ومعاصـرة أن تحصـل علـى تقيـيم موضوعي مبني على مفاهيم إدراكية شـبه متجـردة مـن التحاملات أو التحيزات المسبقة، بالنظر إلى كونهـا تمـس "تابوهات" احتلت وضعية تقرب من القداسة، بحيث أصـبح المس بها، أو الخروج عليها، سلوكًا يقترب من التجديف.

الآخرين(!!)".. (ولابد من العنف)، "بدون الانتقام يسقط الإنسان في هـوة المـرارة واللاتقوى!!" [٥٢] الحاخام الإسرائيلي "اسحق بنسبرج"

ومع هذا فلا مناص مـن محاولـة تلمـس الملامـح الإيجابية والسلبية لهذه الظاهرة، سعيا إلى محاولة بلورة نهج أقرب للصحة في التعاطي معها، ومـع تـداعياتها ونتاجهـا الفكري، ومن ثم السياسي.

ويمكن رصد هذه الملامح من منظورين متقـاطعين، متناقضين ومتلازمين في نفس الوقت:

أ- المنظور الإسرائيلي. ب- المنظور العربي.

أ- المنظور الإسرائيلي:

لا يعتبر أغلب المنتمين لتيارات "ما بعد الصـهيونية" أنفسهم معادين للصهيونية، أو خارجين على ناموسها، فبنـي موريس، على سبيل المثال يرفض الربط أو التماثل بين "ما بعد الصهيونية" و"معادٍ للصهيونية"![٥٣].

ويعتبر موريس نفسه، تحديدا، "مواطنًا وصهيونيا"[٥٤]، بل وأن دراساته – كما يراها – تعتبر "عملاً صـهيونيا"[٥٥]، وتساعد دراساته على تلافي بعض مسارات الخلل في القراءة التاريخية لماضيها القريب، وإضاءة لجانب مـن مسـارات تاريخية مهمة.. بما يخدم صورة المشروع الأصلية ويـزود

عنه ما يتناثر عليه من أوساخ، ويحسن هيئته أمام أنصـاره، في الداخل، وأساسا في الخارج.

و"توم سجيف" هو الآخر ينحو هذا المنحى ذاته، وربما يتخذ موقفًا أكثر تخلفًـا، بـالرغم مـن أن كتابـه "١٩٤٩: الإسرائيليون الأوائل" مليء بالوقائع التي كان ينبغي أن تقوده إلى نتائج أكثر قطعا وتحديدا، فهو يؤكد أن الحـوار حـول تاريخ إسرائيل "يجري بأجمعـه داخـل الصـهيونية، فمـع الشيوعيين أو مع الأرثوذكسية الدينية، مـثلاً، لا يمكـن أن يجري نقاش كهذا، من يعرف نفسه بأنـه غيـر صـهيوني أو ضد الصهيونية هو خارج النقاش"[٥٦]!

ويأتي النقد لتيارات "المؤرخين الجدد" ومفاهيم "ما بعد الصهيونية"، من على يمينها، ومن على يسارها أيضا.

فمن الاتجاهات اليمينية ينصب الهجوم عليهما تحـت منظور يدين، من حيث المبدأ، أي محاولة للخـروج علـى الصهيونية (الأرثوذكسية)، صـهيونية "الآبـاء المؤسسـين" و"الرواد الطلائعيين"، أو الحيدة عن "خطها القويم" باعتبـار هذا الأمر نوع من "اللاسامية الداخلية" ومن أبرز ممثلي هذا

التيار "أمنون روبنشتاين"(*) الذي عرضنا للكثير من آرائـه ورؤاه فيما مضى من البحث، ومنهم البروفيسـور "يـوآف جلبر" الذي ينكر أن يكون الفلسطينيون "ضحايا ساذجة" أو أن تكـون الحركـة الصـهيونية "هـي اسـتعمار". ويعـادي الأرثوذكسية الدينية، والشيوعية، وتيار الانـدماج الفـردي، باعتبارها خطر على "الهوية القومية" تـذيب اليهـودي فـي محيطه، وتجعله مثل كل الآخرين من البشـر، مثـل كـل الأغيار (الجوييم)(٥٨)!، وهو ما يتفق معه البروفيسور "حاييم جوري" أيضا(٥٩).

أما النقد من على يسار هذه الحركة فنموذج منه، تقييم الكاتب "عمانوئيل سيفان"، الذي يرى أنهم مجموعـة، غيـر متجانسة، وأن كتاباتهم محصورة التوجه لقراء، ذوي ميـول يسارية بالأساس، ومن أبناء "البيئة العلمانية لا الدينية"، ومن رفيعي المستوى التعليمي لا الأقل تعليما، ممـا يعنـي فـي النهاية دائرة محدودة للفعل والتأثير، ويقـول "سـيفان" أنـه لا يزال ينتظر "لقاء شخص ما يميني (أو حتى وسطي) أمكن لآرائه أن تتغير من خلال قراءاته "المؤرخين الجـدد" فـي

(*) المفروض فيه أنه من حزب العمل (اليساري)!!.

أعمالهم الأجود، وذات الحجج الأكثر إحكاما"، وهو قاطع في نصيحته بألا تكون لدى المرء آية أوهام بصدد الأثر المباشر لكتابة التاريخ، "حتى ولو كانت كتابة جديدة"، ذلك أن تـأثيرا ثقافيا كهذا من غير أن يكون سياسيا في صـورة "صـريحة ومعلنة" هو بطبيعته "بطيء الحصول"[٦٠].

أما النقد اليساري الأكثر جذريـة فمصـدره الكاتـب اليهودي التقدمي "إيلي آمينوف" الذي كتب في مجلة "رؤيـة أخرى" التي تصدر في الأرض المحتلة[٦١]، مقالاً بعنوان "ما بعد الصهيونية" تعيد تحصين أسوار الجيتو اليهودي"، فيعتبر أن الغرض من أطروحات "المؤرخين الجدد"، وأفكار "ما بعد الصهيونية"، هو بالتحديد(١) "إعادة تعريف حدود الخطـاب الصهيوني الشرعي؛ وقلع "الأعشاب الضارة" التي اخترقـت الإجماع في حقبة الاحتلال الجديد للمناطق التي احتلت عـام ١٩٦٧"[٦٢]، (٢) "(تخفيف حدة التناقض الفكري الـذي نشـأ لدى قسم من النخبة الفكرية الإسرائيلية علـى أثـر نضـال الشعب الفلسطيني من أجل التحرير، واعتبار هـذه النخبـة الاعتراف الشكلي بإسـرائيل مـن قِبـل مؤيـدي التسـوية الفلسطينيين كإثبات على شرعية المشروع الصـهيوني"[٦٣]،

ويثمن آمينوف أعمال المـؤرخين الجـدد، رغـم إدراكـه لقصورها، ذلك أن "التوجه النقدي الجزئي لـدى المـؤرخين الجدد يحدث شرخًا في جدار الخطاب الصهيوني يسهل أمام جيل الباحثين القادم مهمة اختراق هذا الخطاب والوصول إلى الحقيقة"[٦٤].

ويرفض "آمينوف" اتهام "روبنشـتاين" الموجـه لـ ـ "هؤلاء النقاد الما بعد صهاينة" بأنهم معـادون للصـهيونية، رغم أنهم (في الحقيقة، من وجهة نظر آمينوف)، "ليسـوا إلا صهاينة خجولين"[٦٥]، يعبر عن غاية أطروحـاتهم "زئيـف شطرنهيل"، واحد من "المؤرخين الجدد"، الذي كتب يقـول: "إن الاعتراف بالضرر الذي سـببه المشـروع الصـهيوني للآخرين لا يضر بهذا المشروع، إنما على العكـس تمامـا، يضفي عليه قيمة أخلاقية"[٦٦]، ويقول: إن "مع أولئك الـذين ينفون حق إسرائيل في الوجود لن نتحدث أبدا!!" [٦٧].

ب – المنظور العربي:

يرى المؤرخ الفلسطيني "إلياس صنبر" في ولادة "نص نقدي" للرواية التاريخية الإسرائيلية السـائدة أمـر إيجـابي جدا"[٦٨]، ومرجع قيمتها ووزنها أنها نبعت من إسـرائيليين،

ولأنها خلقت عددا من التسـاؤلات والاضـطرابات داخـل إسرائيل، ويرى صنبر أن النتيجة الأكبر (لأعمالهم) ليسـت داخل إسرائيل، وإنما في الخارج[*]، حيث تساعد أعمالهم في ضرب صورة إسرائيل المثالية، والفروسية، لدى العالم، كما أن "المؤرخين الجدد" أثبتوا الرواية الفلسطينية على الرغم من أنهم ينكرونها، وزعزعوا الشعور الخاطئ بالبراءة حول مـا حدث عام ١٩٤٨، يضاف إلى ذلك أنهم قدموا فكرة رئيسـية مفادها أن "إسرائيل ولدت من خلال جريمة بحق شعب"[٦٩].

ويلمس الكاتب المصري "سـعد الطويـل" التنـاقض البنيوي الكامن في ثنايا مواقف بعض "المـؤرخين الجـدد"، بسبب "سيادة العقلية الصهيونية"، الأمر الذي يصل إلى حـد "الشيزوفرينيا"، ويضرب مثلاً لذلك، "بني مـوريس"، الـذي أثبت في كتابه "مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين: ١٩٤٧ –

(*) يقول المؤرخ والأكاديمي اليهودي "برنارد فسرشتاين": "إننا في الشـتات نشـعر بالاعتزاز بإسرائيل، ولكن السنين الأخيرة جعلت أي إنسان عنـده إحسـاس يشـعر بالخجل؛ ومن أسباب هذا ما كشفه "المؤرخون الجدد" من كذب كنا أخبرنا به، وقبلناه مثل حمار مطيع، مثل قضية خروج الفلسطينيين من فلسطين بين الأعـوام ١٩٤٧ – ١٩٤٨، كما أننا لابد أن نشعر بالخجل لعدم مساعدتنا لهم عنـدما اضـطهدوا فـي الأراضي المحتلة"[٧٠].

١٩٤٩"، وبالأرقام أن ٧٣% من الفلسطينيين غادروا قراهم تحت الضغط المباشر والمذابح التي قام بها الهاجاناة (جيش الدفاع الإسرائيلي فيما بعد) وعصابات شتيرن والإرجون، وأن ٢٢% منهم رحلوا بسبب الخوف من بطش الإسرائيليين، وأن ٥% فقط هم الذين رحلوا تحت تأثير الوهم الذي خلقته الدعاية العربية بأنهم سيعودون مع الجيوش العربية المنتصرة، والذي يذكر أن الحكومة الإسرائيلية قامت بعد رحيل الفلسطينيين بتدمير ٤٠٠ قرية، وإزالتها بالكامل من على وجه الأرض، واستولت على أراضيها ووزعتها على الكيوبتزات، كما استولت على ممتلكات الفلسطينيين وحساباتهم بالبنوك، ولكنه بعد كل ذلك يصل في كتابه إلى النتيجة: "أن رحيل الفلسطينيين تم "جزئيا" تحت ضغط القوى الصهيونية!"(٧١)، كما يشير إلى أنه من نتائج هذه "المراجعة"، للفكر الرسمي الإسرائيلي، كشف الطبيعة اللاديمقراطية للدولة اليهودية، بالضبط لأنها تصف نفسها بأنها يهودية، أي أنها دولة ٨٠% فقط من سكانها متجاهلة الحقوق الأساسية لخمس عدد السكان، ويضيف مؤرخون فلسطينيون انتقادا آخر – بعد أن دونوا تاريخ النكبة بناء على شهادات من

عاشوها – قصور كتاب موريس، "نشأة مشـكلة اللاجئـين الفلسطينيين"، عن الاستنتاج بأن فكرة الترحيل كانت راسخة في العقلية الصهيونية، وأن ما جرى فـي العـامين ١٩٤٧، ١٩٤٨ لم يكن إلا تنفيذًا للمشروع الذي رسمته تلك العقليـة، بهدف الوصول إلى مبتغاها، أي إقامة الدولة اليهوديـة فـي فلسطين بعد إخلائها من أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين[٧٢].

أما "إدوارد سعيد" فيلمس، أيضا، العديد من التناقضات في مواقف وكتابات "المـؤرخين الجـدد"، مثـل اعتبـارهم الصهيونية، (كعقيدة ونظام)، ضـرورية لليهـود، وتبريـر بعضهم للصهيونية كحركة استحواذ – رغم اعترافهم بالظلم الفادح الذي تعرض له الفلسـطينيون – بكونـه "اسـتحواذًا ضروريا"، (زئيف شطرنهيل)، كما أنهم، بـرغم إقـرارهم باستخدام القوة لتفريغ الأرض الفلسطينية من سكانها، فإنهم – في نهاية المطاف – عـازفون عـن الإقـرار بالمسـئولية الصهيونية، وتبريرهم ذلك بسبب "ظروف الحـرب"، (بنـي موريس)، رغم اعترافهم بأن ذلك كان عملاً "لا أخلاقيا".

وعلى الجانب الآخر، فإن "إدوارد سعيد " يجد ميزة في أعمال "المؤرخين الجدد هي أنها – علـى الأقـل – تـدفع

التناقض الصهيوني (مع الديمقراطية) إلى حدود لم تكن بادية لغالبية الإسرائيليين، وحتى للكثيرين من العرب، كذلك فـإن دراساتهم أكدت ما سبق وقال به الفلسـطينيون، المـؤرخين وغير المؤرخين، "عما حصـل لنـا كشـعب علـى أيـدي إسرائيل"، ويدعو "سعيد" إلـى ترجمـة أعمـال "مـوريس" و"بابي" و"شترنهيل"، بأسرع ما يمكن، كما يـدعو المثقفـين العرب، إلى المبـادرة "بالاتصـال المباشـر مـع هـؤلاء المؤرخين، ودعوتهم إلى النقاش في الجامعـات، ومراكـز الثقافة، والمنابر العامة في العالم العربي"[٧٣].

وفي إطار هذا السجال حول الموقف من "المـؤرخين الجدد" وأطروحاتهم، دفع الكاتب الفلسطيني "هشام الـدجاني" الأمور إلى حدها الأقصى، برفضه كل ما تقدم من تقـديرات إسرائيلية وعربية تؤكد محدودية تأثير ظـاهرة "المـؤرخين الجدد"، ويزعم أنها ظاهرة "لم تعد سطحية أو هامشـية"[٧٤]، وأن الجدل حولها – على عكس كل مقولات أصحابها حتـى – لم يعد مقتصرا على الأكاديميين، بل انتقل إلـى مراكـز الثقافة والإعلام"[٧٥]، ويدعو "الدجاني" للحوار مع "مـا بعـد الصهيونية" باعتبار الحوار مع دعاتها له نفس أهمية الحوار

مع "عرب فلسطين"(٧٦) أو اليسار الإسرائيلي، ثم يؤكد – في حماسة لم نر لها، شبيها في كل الكتابات الإسرائيلية والعربية التي تناولت بالبحث هذه القضية – أن (حركـة "مـا بعـد الصهيونية") – وهنا يضفي عليها قيمة حركية لم يدعيها أي من أنصارها أبدا – هي "مستقبل إسرائيل"(٧٧)، ويحسم جازما بأنها "ستنتصر عاجلاً أم آجلاً علـى بقايـا معاقـل اليمـين الصهيوني المتعنت، والاتجاهات الدينيـة المتطرفـة"(٧٨)(!)، دون أن يضع يدنا ولو على دليل واحد يبـرر هـذا اليقـين أو يفسر إيمانه شبه الديني بحتمية انتصـار بضـع أفـراد محدودي العدد والعدة على تحـالف يمينـي دينـي شـرس وعدواني، ومتعصب، ويزداد همجية وتطرفًا في كل ساعة!

ويرد الكاتب الفلسطيني "عبد القـادر ياسـين" علـى "إدوارد سعيد" مباشرة، وضمنيا على "هشام الدجاني" ، مـع الإقرار بالفارق النوعي الكبير بين منطلقات وغايـات كـل منهما، فيرصد أن من اتفق على تسميتهم بـ ـ "المـؤرخين الجدد" في إسرائيل، "ظاهرة جديدة لا تعكس إلا أزمة ضمير أكاديميين على ما اقترفه آباؤهم في حق شعب فلسطين، مـا جعل أولئك المؤرخون يبحثون، حثيثًا، عن مخرج يفضي إلى

إراحة ضمائرهم وتبرئة أشخاصهم من الأعمال البربرية التي اقترفها أسلافهم، إلى ذلك فإن الاعترافات بالجرائم لا تعـدو غسل تاريخ دولة، تريد أن تستثمر ما بين يديها، بعد أن تفلت به من رقابة الرأي العام العالمي"[٧٩].

ويرى الكاتب أن اقتراح "سعيد" "الاتصـال المباشـر بهؤلاء المؤرخين ودعوتهم إلى النقاش في الجامعات ومراكز الثقافة والمنابر العامة في العالم العربي"، نتيجة لا تتفق مـع المقدمات التي طرحها، والتي تسلم بأن النسبة الأكبـر مـن أولئك المؤرخين لا تزال صهيونية "دما، ولحما"[٨٠]، ويطرح – بديلاً عـن الحـوار الـذي يـدعو لـه "إدوارد سـعيد"، أو "الانفتاح" الذي يدعو إليه" هشام الدجاني" إلـى اسـتخدام أسلوب حقيقي في الصراع، ثبت نجاعته، باعتبار أن "ثمـة طريقة واحدة لا تدعم دعاة السلام في إسرائيل فحسب – إن وجدوا – بل أيضا تسهم، بقسط كبير في خلق "دعاة سـلام". إنها الطريقة التي اقترحتها فيتنام، حين شددت كفاحها المسلح ضد القوات الأمريكية هناك، ما أزعـج الآبـاء والأمهـات الأمريكيين على أبنائهم الذين يموتون في ذلـك البلـد دون مبرر".. هنا فحسب – يقول "عبد القادر ياسين" – "اسـتطاع

الفيتناميون توظيف تناقضات المجتمـع الأمريكـي، وهـي الطريقة نفسها التي تحاول المقاومة اللبنانية اليوم، أن تثمـر، وقد نجحت في هذا المضمار إلى حد بعيد"[٨١].

ويتفق مع هذا الموقـف، الكاتـب المصـري "أمـين إسكندر" الذي يأخذ على المؤرخ الإسرائيلي "الجديـد"، أنـه "مازال ينقد في "الهوامش"، ولا يجرؤ على طـرح الأسـئلة الكاشفة والكلية مثل: من الذي تسبب في المآسي التي وقعت على اليهود؟!، ولماذا بالذات يدفع ثمنها الفلسطينيون العرب؟ ولماذا وقع الاختيار على فلسطين؟ ولماذا ساعد الاسـتعمار الحركة الصهيونية في احتلال فلسطين؟ وقبل ذلك: هل مـن الممكن أن تؤسس حركـة تحريـر قـومي علـى أسـاس ديني"؟..وأخيرا فإن "أمين إسـكندر"، يطالـب" المـؤرخين الجدد"، إذا كان "ضميرهم" قـد اسـتيقظ (أو "نقـح" علـيهم بالتعبير المصري الدارج!)، فالأفضـل أن يطـالبوا بإلغـاء الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين (كـل فلسـطين)، وأن يطالبوا الصهاينة بالعودة إلى أماكنهم التي جاءوا منها، أو أن "يبقوا يهودا علـى أرض العـرب مـثلهم مثـل المسـلمين والمسيحيين.

- **د. "عزمي بشارة": "ما بعد الصهيونية" قد يكون الفاشية!**

ويختم "عزمي بشارة"، المثقف والمناضل والأكـاديمي والسياسي الفلسطيني، رأي الكتّاب العرب في هذه القضية، إذ يرى أن "الخطاب الذي يهيمن، بالتـدريج، علـى الشـارع (الإسرائيلي)، ويصل إلى القمة في مرحلتها الحاليـة، هـو خطاب "يميني متطرف، يندمج ويتفاعل مع الخطاب الـديني" (...) وهو خطاب "يكاد يكون فاشيا فـي أطروحاتـه"(...) وبالتالي، فإن ما بعد الصهيونية... في رأي د. بشـارة "قـد تكون اليهودية وليس الليبرالية، قد يكون ما بعد الصـهيونية هو الفاشية وليس بالضرورة الليبرالية".

"المؤرخون الجدد": ملاحظات أخيرة:

بعد أن تم فيما تقدم مناقشة ظاهرة "المؤرخين الجـدد" ومفهوم "ما بعد الصهيونية"، وتاريخ نشاطهم الفكري، وأبرز أطروحاتهم، وتقييم آرائهم، إسـرائيليا وفلسـطينيا/ عربيـا، نخلص الآن إلى مجموعة من الملاحظات الأخيـرة، علـى النحو التالي:

١- إنها ظاهرة قيد التشكل، لم تكتمل بعد، وعمرها كله لم يتعد العقد من السنين، وهي مدة أقل من أن تمنح فرصة لحكم قاطع موثوق به على الظاهرة محل البحث، والزمن وتطورات الوقائع، كفيلان بأن يحددا إما أن تستمر هذه الظاهرة، وتتعمق أو أن تندثر وتتبدد، كغيرها من الظواهر الطارئة – وما أكثرها – على ساحة الصراع العربي – الصهيوني.

٢- إنها – حتى الآن – ظاهرة محدودة التأثير. ومجال حركتها الأساسي هو أوساط عناصر النخبة الأكاديمية ذوي المرجعية (اليسارية)، والمتعلمين الجامعيين، ولا يتعدى هذا النطاق للتأثير السياسي على الجمهور الواسع، العادي، أو يميني التوجهات(*).

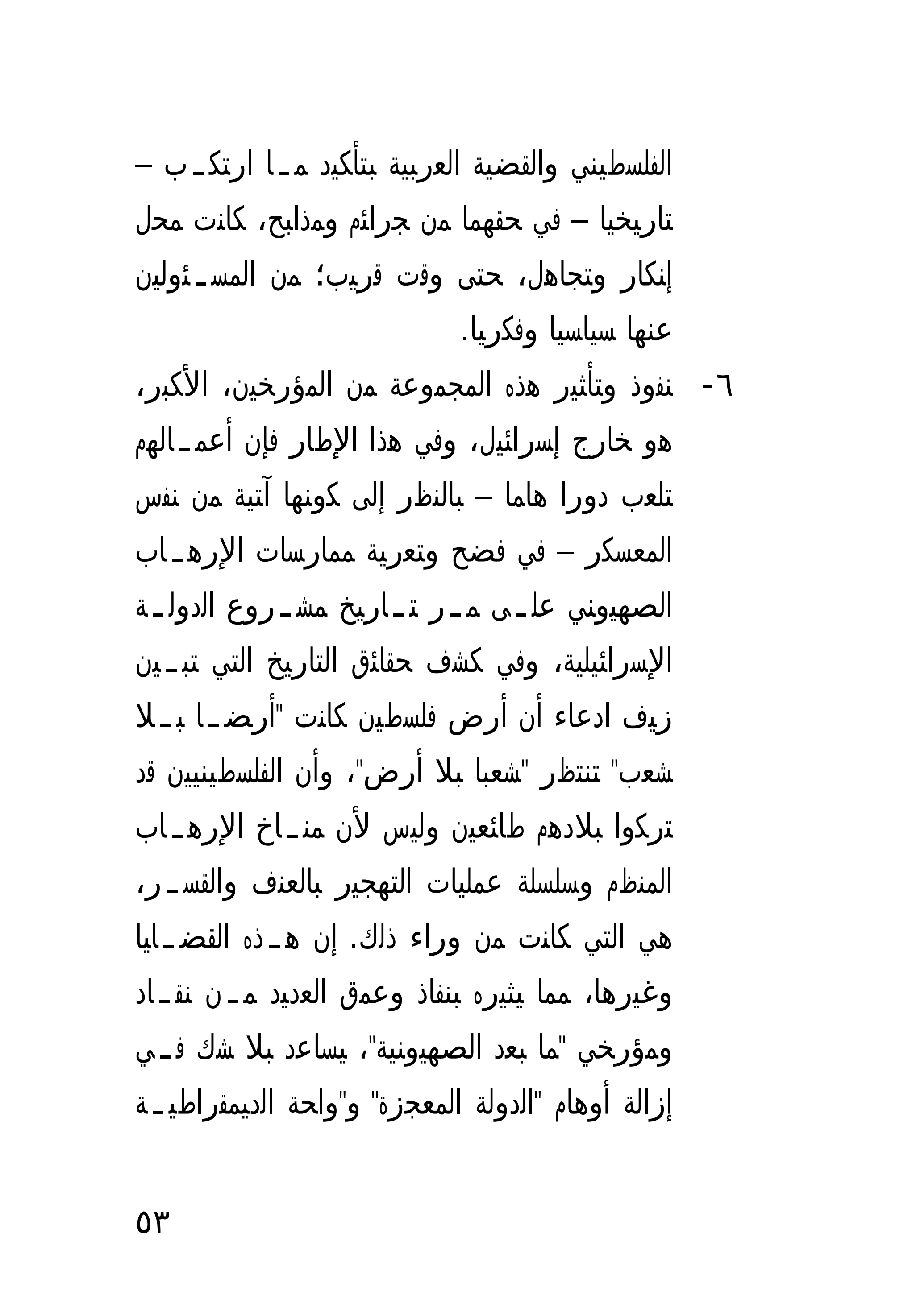
٣- أغلب ممثلي هذه الظاهرة حريصون، بشدة على إبقاء تفاعلاتها ضمن ديناميات المجتمع الصهيوني

(*) يشير "إيلان بابه" إلى أن الجدل بشأن "ما بعد الصهيونية" لم يتعد شريحة ضيقة من المعنيين والنقاش حولها يدور في أطر نخبوية محدودة حتى الآن. (جريدة هارتي – ١٥/١٠/١٩٩٥).

وحده، وبعيدا عن امتداد آثارها للتفاعل مع الوضع العربي أو الفلسطيني، أي أنهم حريصون على أن يظل الحوار مجرد حوار "داخل حـدود البيـت"، ولا يتعداه إلى حدود "الجيران".

٤- لا ينفصل منتوج هـذه الظـاهرة، عـن مجمـل منتوجـات التطـورات الأخيـرة فـي المجتمـع الإسرائيلي، الذي تتسع آلياته، وتتحمل ميكانزمات إدارته، تباينات واسعة في الأفكار، وانتقادات ذات طبيعة (ليبرالية) تنال الكثير من عناصره، دون أن يعتبرها – مثلما يحدث فـي عالمنـا العربـي – خروجا يستحق الإدانة، ويدفع للنبذ.

٥- الميزة الرئيسية في أعمال" المؤرخين الجدد"، هـي إماطة اللثام عن كثيـر مـن القضـايا والوقـائع والأحداث التي تعمدت القيادات الصهيونية التعمية عليها، وسـعت لإسـدال سـتائر النسـيان فـوق تفاصيلها، التي تدينهم، وتدين أيديولوجيتهم وتفضح مشروعهم، وفي هذا مجال إيجابياتهـا الأساسـي، وخدمتها – حتى ولو لم تقصد – لقضـية الشـعب



الفلسطيني والقضية العربية بتأكيد مـا ارتكـب – تاريخيا – في حقهما من جرائم ومذابح، كانت محل إنكار وتجاهل، حتى وقت قريب؛ من المسـئولين عنها سياسيا وفكريا.

٦- نفوذ وتأثير هذه المجموعة من المؤرخين، الأكبر، هو خارج إسرائيل، وفي هذا الإطار فإن أعمـالهم تلعب دورا هاما – بالنظر إلى كونها آتية من نفس المعسكر – في فضح وتعرية ممارسات الإرهـاب الصهيوني علـى مـر تـاريخ مشـروع الدولـة الإسرائيلية، وفي كشف حقائق التاريخ التي تبـين زيف ادعاء أن أرض فلسطين كانت "أرضـا بـلا شعب" تنتظر "شعبا بلا أرض"، وأن الفلسطينيين قد تركوا بلادهم طائعين وليس لأن منـاخ الإرهـاب المنظم وسلسلة عمليات التهجير بالعنف والقسـر، هي التي كانت من وراء ذلك. إن هـذه القضـايا وغيرها، مما يثيره بنفاذ وعمق العديد مـن نقـاد ومؤرخي "ما بعد الصهيونية"، يساعد بلا شك فـي إزالة أوهام "الدولة المعجزة" و"واحة الديمقراطيـة

والإنسانية"، التي انبنت عليها دعايات إسرائيل، في دول أوروبا وأمريكا وغيرها من البلدان الخارجية.

٧- ينطلق أغلـب "المـؤرخين الجـدد" مـن مواقـع صهيونية، ويستهدفون خدمة المشروع الصـهيوني في الأساس، بعد أن أكد – مـن وجهـة نظـرهم وجوده وقوته وأصبح قويا إلى الدرجة التي يحتمل فيها الانتقادات الأشد حدة، من جهـة، ولأن هـذه الانتقادات تساعد في تحسـين صـورته، وتلميـع واجهاته، وباعتبارها انعكاسا "للـروح الإنسـانية" و"الأخلاقية" لمواطنيه من جهة أخرى.

٨- لا يزال "المؤرخون الجدد" – لأسباب إمـا ذاتيـة أو موضوعية – بعيدين عن نقد أسس الأيديولوجيا اليهودية/ الصهيونية ونقـض ركائزهـا الفكريـة والسياسية، لأن تحقق هذا الأمر يقوض المشـروع من أصله، ويقتصر عملهم – بدلاً من ذلك. علـى مناقشـة جزئيـة، تفكيكيـة، تشـريحية، لـبعض انعكاسات هذه الأسس وتلك الركائز في الممارسات العملية لمنفذي خططه الإنشائية، كما وقعت، فـي

الماضي القريب مجسدة في السلوكيات الإسرائيلية تجاه فلسطين والعرب. ومن هنا فسيظل تأثير هذه الظاهرة محدودا طالما لا يطال عمق الاستراتيجية الصهيونية ومنطلقاتها الأولية.

٩- العنصر الرئيسي في ميلاد، وبروز، وتطور ظاهرة "المؤرخين الجدد"، ودفع الكثير من المثقفين الإسرائيليين لولوج عتبة "التفكير المغاير"، هو تصعيد العمل على أرض الواقع الفلسطيني، والعمل العربي في دول الطوق، لمقاومة الاحتلال، والتصدي لكافة مظاهره، بأعلى أشكال الكفاح قدرة وتأثيرا، وبأشدها وطأة على الوعي والفكر الإسرائيليين.. فباعتراف الجميع، فإن نشوء ظاهرة "المؤرخين الجدد" جاء – كنتيجة مباشرة – لاصطدام الإرادة العربية – الفلسطينية بالمخططات الصهيونية العنصرية، والعاملين الرئيسيين في هذا السياق هما حرب أكتوبر بمقدماتها (حرب الاستنزاف) وتداعياتها، وانتفاضة الشعب الفلسطيني ونتائجها في الثمانينات، وهو ما دفع

العديد من المثقفين والأكاديميين الإسرائيليين للبحث في أسـباب هـذه الانفجـارات وعلاقتهـا ببنيـة الممارسات الإسرائيلية ذاتها.

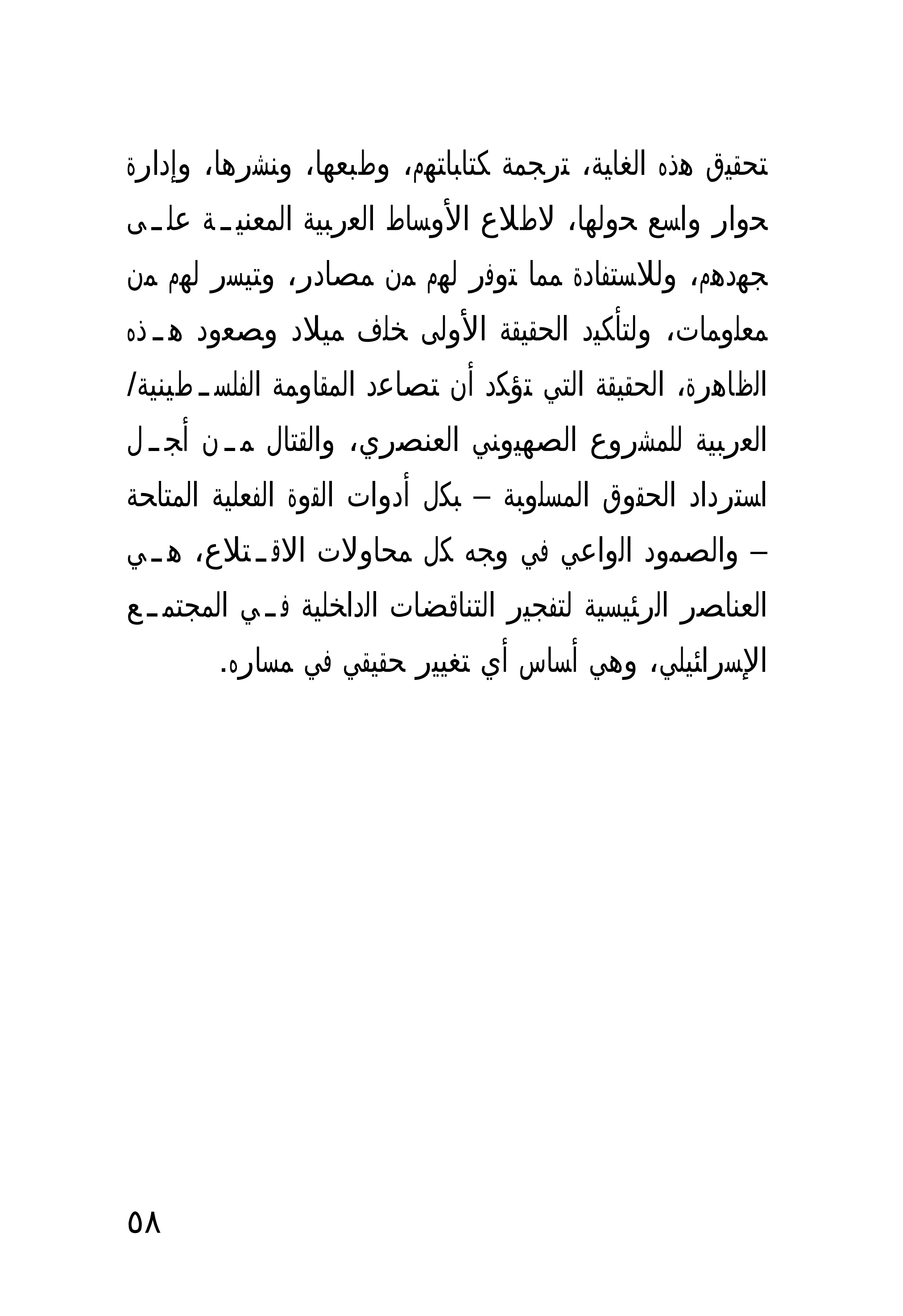
ومن هنا، فإن مساهمتنا – كعرب وفلسطينيين – في تطوير ظاهرة "المؤرخين الجدد" ودفعها بحيث تزداد تجذرا، مرهون بتصعيد نضالاتنا – وعلى كافة الأصعدة ضد العدو الصهيوني، وتأكيد أحقية الشعب الفلسطيني – عمليا – في أرض الواقع وإحكام الطوق حول إسرائيل، واستعادة روح المقاومة العربية في مواجهتها.

١٠- وتأسيسا على كل ما تقدم، فينبغـي التحـذير مـن المبالغة المفرطة في تقدير أهميـة ووزن وتـأثير "المؤرخين الجدد"، و"ما بعد الصـهيونية"، حتـى لا يقع الطرف العربي – كعادته – فـي حسـابات جديدة عقيمة، مبنية على العاطفية والنـزوع إلـى اللاموضوعية، وذاتية الأحكـام، مكـررا أخطـاء "الهرولة"، وأخطار الجري وراء كل بـادرة غيـر مفهومة، أو ظاهرة غير محددة، طمعا فـي نتـائج سريعة لا تتوفر لها أسس حقيقية؛ وهـذا بـالطبع

لا يمنع، ولا يعني بأي صورة من الصـور عـدم الاستفادة – فـي الدعايـة المضـادة للمشـروع الصهيوني – من كل جهد علمي إسرائيلي ينطـق ببعض الحقائق، ويرصد بعض الوقائع ذات الدلالة في توضيح طبيعـة إسـرائيل وكيـف أنشـئت، ولماذا؟!.

ويبقى، في هذا المجال، الإشارة إلى أن أفضـل مـا يمكن فعله – في مواجهة هذه الظاهرة – أن نتركها تكتمـل اعتمادا على تفاعلاتها الداخلية، وأن يتم تدعيم هذه العمليـة من خلال جهد المفكرين والأكاديميين العرب الفلسـطينيين، في المناطق الفلسطينية المغتصبة والمحتلـة، فهـم الأفهـم والأقدر على إدارة الحوار (الطبيعي في هذه الحالـة بحكـم الالتصاق المباشر بين الطرفين)، كما أنهـم الأقـدر علـى عرض الحقائق التاريخية، بما يسـاعد علـى تبلـور هـذه الظاهرة، وتقدمها باتجاه مواقع أكثر راديكالية.

أما دور المثقفين العرب، فهو في الأسـاس دراسـة تطورات هذه الظاهرة بعمق ودقة – كجزء من محاولة تعمق فهم الواقع الإسرائيلي ومجريات الأحداث فيه، ويفيـد فـي



تحقيق هذه الغاية، ترجمة كتاباتهم، وطبعها، ونشرها، وإدارة حوار واسع حولها، لاطلاع الأوساط العربية المعنيـة علـى جهدهم، وللاستفادة مما توفر لهم من مصادر، وتيسر لهم من معلومات، ولتأكيد الحقيقة الأولى خلف ميلاد وصعود هـذه الظاهرة، الحقيقة التي تؤكد أن تصاعد المقاومة الفلسـطينية/ العربية للمشروع الصهيوني العنصري، والقتال مـن أجـل استرداد الحقوق المسلوبة – بكل أدوات القوة الفعلية المتاحة – والصمود الواعي في وجه كل محاولات الاقـتلاع، هـي العناصر الرئيسية لتفجير التناقضات الداخلية فـي المجتمـع الإسرائيلي، وهي أساس أي تغيير حقيقي في مساره.

هوامش الفصل الأول

(١) جريدة معاريف الإسرائيلية، مذكورة في جريدة "الأسبوع"، القاهرة، ١٩٩٨/١/٢٦. انظر عرض كتاب "دولة أخرى" الصادر في مطلع عام ١٩٩٧، مجلة "مختارات إسرائيلية"، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة "الأهرام" القاهرة، العدد: ٣٢، أغسطس (آب) ١٩٩٧، ص: ٤٦. جودي دميسي "في الذكرى الخمسين لتأسيسها: إسرائيل دولة منقسمة على نفسها"، Financial Times, 18-19/10/1997.

(٢) جريدة "الأهرام"، القاهرة، ١٩٩٨/٨/١٢.

(٣) ديفيد مكوفسكي "حوار مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نيتنياهو"، "هآتس" الإسرائيلية، ١٩٩٧/٨/١.

(٤) "موتى بادر أور (مؤسس مركز أيلول لتخفيف الصراع بين الأرثوذكس والعلمانيين)، مذكرة في: جعفر هادي حسن "في الذكرى الخمسين لنشوء الدولة"، جريدة الحياة، لندن، ١٩٩٨/٥/١١.

(٥) "تيدي كولك" الرئيس السابق لبلدية القدس، المصدر نفسه.

(٦) The Gardian, London, 18L4L1998.

(٧) العازر سكويد "أهداف الصهيونية اليوم"، مذكورة في السيد يسن: "ما بعد الصـهيونية: نظـرة مسـتقبلية"، جريـدة "الأهرام"، القاهرة، ١٩٩٨/٢/٢٦.

(٨) أحمد تهامي" ما بعد الصهيونية: توجهـات جديـدة فـي الخطاب الأكاديمي الإسرائيلية"، جريدة "الأهرام"، القاهرة، ١٩٩٨/١١/٢٨.

"منذ تأسيس إسرائيل انشغلت الحكومات المتعاقبـة بمسـألة وجود الدولة وأمنها، أما الآن، فإننا نعيش فـي أرض بريـة ومروعة وبلا قيادة سياسية، وأدت بنا الطريقة التي نحياهـا إلى أزمة هوية، حيث يتساءل الناس: لماذا نحن هنا، وهـل نستطيع فعلاً تأسيس مجتمع إسرائيل تعددي؟!": موتى بـار أور، مؤسس" مركز أيلول لتخفيف الصراع بين الأرثوذكس والعلمانيين في إسرائيل"، Financial Times، مصدر سبق ذكره.

- "بعد السلام مع العرب، ستكون الحـرب القادمـة بـين المتدينين والعلمانيين هنا في إسرائيل"، الحاخـام شـلومو بنزري، المصدر نفسه.

- "كان التهديد العربي كافيا لأن يجعل الناس متحدين، ومع عملية (السلام) خف الضـغط الخـارجي، ممـا جعـل الإسرائيليين يواجهون مسألة الهوية".

(٩) أحمد تهامي، مصدر سبق ذكره.

(١٠) "حول الصهيونية وما بعد الصهيونية ومعاداة الصهيونية"، ندوة "هآرتس" الإسرائيلية ١٩٩٥/١٠/١٥، منشورة في "مجلة الدراسات الفلسطينية"، عدد ٣٣، شتاء ١٩٩٨، ص: ١١٥.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه، ص: ١١٤.

(١٣) المصدر نفسه، ص: ١١٧

(١٤) المصدر نفسه، ص: ١١٥

(١٥) المصدر نفسه، ص: ١١٥

(١٦) المصدر نفسه، ص: ١١٦

(١٧) المصدر نفسه، ص: ١٢٢

(١٨) أمنون روبنشتاين "الثورة فشلت، الصهيونية نجحت"، "هآرتس الإسرائيلية"، ١٩٩٧/٦/١٠. منشورة في "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٣٣، شتاء ١٩٩٨، ص ١٠٢.

(١٩) المصدر نفسه، ص: ١٠٣

(٢٠) المصدر نفسه، ص: ١٠٣

(٢١) المصدر نفسه، ص: ١٠٣

(٢٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٤

(٢٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٦

(٢٤) انظر عرض "جورج طرابيشي "لكتاب "دومينيك فيـدال": "خطيئـة إسـرائيل الأصـلية" Le peche Original D'israel الصادر عام ١٩٩٨ بباريس، جريدة "الحيـاة" اللندنية، ١٩٩٨/٧/١٩.

(٢٥) توم سجيف "الإسرائيليون الأوائل"، مؤسسـة الدراسـات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٤، ص ١١١.

(٢٦) المصدر نفسه، ص: ٣٦

(٢٧) المصدر نفسه، ص: ٣٦

(٢٨) المصدر نفسه، ص: ٤٥

(٢٩) المصدر نفسه، ص: ٤٥

(٣٠) "بني موريس "مذكر ة في "مولد مشكلة اللاجئين"، انظـر دراسة "دومينيك فيدال"، "المؤرخون الجدد يكشف النقـاب عـن حقيقـة الخـروج الفلسـطيني"، Le Mande Diplomatigue – عدد ديسمبر ١٩٩٧

(٣١) "الإسرائيليون الأوائل"، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥.

(٣٢) مذكورة في Le Mande Diplomatigue مصدر سبق ذكره.

(٣٣) رندة حيدر "نكبة فلسطين بين التاريخ الصهيوني الرسمي ورواية المؤرخين الإسرائيليين"، جريدة "الحياة" اللندنيـة، ١٩٩٧/٥/٢٢.

(٣٤) انظر: "تقييم فرنسي ناجح لأعمال المؤرخين الإسرائيليين الجدد"، عرض الكتاب "دومينيك فيدال"، "خطيئة إسـرائيل الأصلية"، حسـن الشـامي، جريـدة "الحيـاة" اللندنيـة، ١٩٩٨/٥/٣١.

(٣٥) "رندة حيدر"، مصدر سبق ذكره.

(٣٦) "توم سجيف"، مصدر سبق ذكره، ص، ص: ٤٥ – ٤٦.

(٣٧) "توم سجيف"، مصدر سبق ذكره، ص: ٤٧.

(٣٨) "توم سجيف"، مصدر سبق ذكره، ص: ٤٠.

(٣٩) باروخ كيمرلنج، "لا هي ديمقراطية، ولا هـي يهوديـة"، هآرتس الإسرائيلية، ١٩٩٦/١٢/٢٧.

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) إيلي أمينوف "ما بعد الصهيونية تعيـد تحصـين الجيتـو اليهودي"، مجلة الهـدف، العـدد (١٢٥١)، ٢٤ تشـرين الثاني ١٩٩٦.

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) "بني موريس" "قمنا بعمل صهيوني"، هآرتس الإسرائيلية، ١٩٩٧/٦/١٦.

(٤٩) إيمانويل هيمان "الأصـولية اليهوديـة"، ترجمـة: سـعد الطويل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسـلة "الألـف كتاب" الثانية، القاهرة، ١٩٩٨، ص: ١٦٣.

(٥٠) "بني موريس"، مصدر سبق ذكره.

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) "ندوة حول الصهيونية ومـا بعـد الصـهيونية ومعـاداة الصهيونية، مصدر سبق ذكره، ص: ١١٤.

(٥٤) المصدر نفسه، ص:١١٧.

(٥٥) المصدر نفسه، ص:١٢٣.

(٥٦) إيلان بابه "ما بعد الصهيونية": "توجهـات جديـدة فـي الخطاب الأكاديمي الإسرائيلي حول الفلسطينيين والعرب"، هآرتس الإسرائيلية، ١٩٩٥/١٠/٢٥.

(٥٧) "عمانوئيل سيفان" "محاولة في تقييم المـؤرخين الجـدد"، جريدة "الحياة اللندنية"، ١٩٩٨/١/٦.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) المصدر نفسه.

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) المصدر نفسه.

(٦٣) هآرتس، ١٩٩٦/٩/١٥.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) "يستحيل التوفيق بين تاريخ يضعه المتطرفون وآخر يضعه الضحايا"، حوار مع المؤرخ الفلسطيني "إلياس صنبر"، إلى الزين، جريدة "الحياة" اللندنية، ١٩٩٨/٦/١٤.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) مذكورة في "سمحا فلابان" مولد إسرائيل"، انظر، "جعفر هادي حسن": "الإسرائيليون يطرحون أسئلة الهوية والمستقبل"، جريدة "الحياة اللندنية"، ١٩٩٨/٥/١١.

(٦٨) " سعد الطويل"، "الخطيئة الأولى لإسرائيل"، مجلة "اليسار"، القاهرة، العدد (١٠١)، يوليو ١٩٩٨.

(٦٩) "ربى الحصري"، "خمسون عاما على النكبة: إعادة كتابة تاريخ المجازر لن تغير الموقف من الصراع مع الفلسطينيين"، جريدة "الحياة" اللندنية، ١٩٩٨/٥/٨.

(٧٠) "إدوارد سعيد" "تاريخ جريدة.. أفكـار قديمـة"، جريـدة "الحياة" اللندنية، ١٩٩٨/٥/٢٦.
(٧١) "هشام الدجاني" "فلنحاورموز" "ما بعد الصهيونية.. أعـد الأمر تطبيعا أم لـم يعـد"، جريـدة "الحيـاة اللندنيـة"، ١٩٩٨/٥/٢.
(٧٢) المصدر نفسه.
(٧٣) المصدر نفسه.
(٧٤) المصدر نفسه.
(٧٥) المصدر نفسه.
(٧٦) "عبد القادر ياسين" "المؤرخون الإسرائيليون الجدد يسعون إلى إراحة ضمائرهم وغسل تاريخ دولتهم"، جريدة "الحياة اللندنية"، ١٩٩٨/٧/١٤.
(٧٧) المصدر نفسه.
(٧٨) المصدر نفسه.
(٧٩) "أمين إسكندر" "المؤرخون الإسـرائيليون الجـدد ونقـد التفاصيل"، جريدة "الرأي العام" الكويتية، ١٩٩٨/٦/٢٠.
(٨٠) المصدر نفسه.
(٨١) حوار مع الدكتور "عزمي بشارة": مجلة الهـدف، العـدد (١٢٧٥)، يناير ١٩٩٨، ص، ص ٦٠ - ٦٢.

الفصل الثاني

"حركة السلام"
الإسرائيلية من ا يلاد إ   ا أزق

- ## اتجاهان في الموقف من "التسوية":

غداة حرب ١٩٦٧ بنتائجها "الصادمة"، بدأ التمايز – داخل المجتمع الإسرائيلي – إلى قسمين رئيسيين:

أولهما: بات يرى – في غمرة النشوة الناجمة عـن الانتصار الساحق على الجيوش العربيـة، وجـيش مصـر أساسا، أن إسرائيل قد حققت فوزا تاريخيا كاملاً، واستطاعت أن تلقن العرب، مجتمعين، درسا لن ينسوه أبدا، يتيح لهـا – اعتمادا على عنصر التفوق العسكري، والموازين الحربيـة، واستراتيجية العنف وفلسـفة القـوة – أن تفـرض شـروط الإذعان التي يمليها المنتصر على المهزوم، وأن ترسم حدود المنطقة بما يمنحها "الأمن المطلق"، ويضمن مصالحها العليا إلى أطول مدى زمني ممكن، انطلاقًا من تصور سائد، مفاده أن العرب لن تقوم لهم قائمة "بعد الآن"، وليس أمامهم سوى الركوع، طالبين – من السيد الإسرائيلي – الصفح، مقـدمين فروض الولاء والطاعة، وقابلين بحدود التسوية التي ترتئيها الدولة اليهودية – الصهيونية، وتقبل بها، والتي لا تتعـارض مع المخطط الاستراتيجي لها، فـي إطـار منظـور "دولـة إسـرائيل الكبـرى"، بحـدودها "التاريخيـة"، "التوارتيـة"،

و"المقدسة"، التي لا ينبغي التفريط في شبر منها مهما كانـت الدوافع والمبررات.

أما القسم الثاني، فيبني على نتائج الحرب ذاتها موقفًا مختلفًا، منطلقًا أيضا من واقع الانتصار الضخم، الذي يمـنح – من وجهة نظر عناصر هذا القسـم – إسـرائيل فرصـة تاريخية، قد لا تتكرر، لـ "تطبيع" وضعها في المنطقة، بمـا يضمن – كذلك – أمنها ومصالحها ومستقبلها، ويمنع عنهـا النتائج والمضاعفات المتوقعة لـ "الاحتقان" الناتج عن واقـع الهزيمة العربية الثقيلة.

وبمعنى آخر، فإن هذا القطاع من الإسرائيليين، كان يرى أن إسرائيل قد استطاعت – في هذه الحرب – أن تحقق إنجازا هائلاً، سيترتب عليه مكاسب ضخمة، ينبغي حتى يتم "هضمها" واستيعاب توابعها، اللجوء إلى "سياسية التهدئـة"، أو "المرونة" التي يعكسها القبول بالمشاركة في مفاوضات قد تتضمن الانسحاب من أجزاء – محدودة القيمة الاسـتراتيجية – من الأراضي العربية المحتلة عـام ١٩٦٧، فـي مقابـل مكاسب عظمى تخاص بها الدولة الصـهيونية: كـالاعتراف العربي، والعلاقات الاقتصادية، والهيمنة الفكريـة، والـدور

الريادي في (المنطقة)، وتحجيم الدور التـاريخي المصـري القيادة، والتحطيم الكامل لمبادئ وسياسات "حركـة التحـرر العربية"، والتحول عن رموزهـا.. إلـخ.. أي أن تتحـول إسرائيل من السعي لبناء "إسـرائيل الكبـرى" إلـى تشـييد "إسرائيل العظمى" كقوة إقليمية مهيمنة ومعترف بها.

- **استراتيجية واحدة وتكتيكات متعددة:**

من الوجهة "الاستراتيجية" لم يكن هنـاك اخـتلاف عميق بين الطرفين فكلاهما كان يسعى لتحقيق غاية واحـدة، وهي ضمان أمن ومصلحة إسرائيل وتكريس هيمنتهـا فـي المنطقة، حتى لو تباينت السبل واختلفت المسارات، وكانـت المجموعة الثانية ترى في سلوك القسم الأول حماقة قد تؤدي بإسرائيل إلى الكارثة، التي تفقد معها كل مـا تـم كسـبه، ويضيع بسببها كافة الإنجازات المحققة.

وإجمالاً، فيمكن – مع استثناءات نادرة – ملاحظـة أن معظم المنتسبين للقسم الأول كانوا من أصحاب الاتجاهات (اليمينية)، [الليكـود – الاتجاهـات الدينيـة – المتطـرفين العسكريين – حركة المستوطنات]، فيما تجمـع فـي القسـم الثاني تحالف عريض ضم عناصـر مـن ذوي الاتجاهـات

(اليسارية): [من، أو منشقين عن حزب العمل – التجمعات اليسارية كحزب "ميرتس" – حركة الكيوبتزات..] وقد عبر إسحق رابين، رئيس الوزراء الإسرائيلي المغتال عن هذا التباين، فيما بعد، فقال: "إن هؤلاء (أي اليمينيين) يقيسون قوة إسرائيل بما تستولي عليه من أراضٍ، أما نحن، فنقيسها بمقدار ما نسيطر عليه من أسواق"[١]

• تحركات من أجل (السلام) .. ولكن أي سلام؟!

وقد كان أول تجسيد لهذا السياق، تلك المجموعة التي أطلقت على نفسها اسم "حركة السلام والأمن"[٢]، والتي تشكلت بعد شهر واحد من وقف القتال عام ١٩٦٧، ويبدو واضحا من مضمون اسمها، هدفها النهائي، وغايتها الأساسية: (السلام) الذي يحقق مطالب إسرائيل، ويكفل لها الأمن (من وجهة نظرها)، أي "الأمن المطلق"، بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى.

لكن صوت هذه الجماعة الصغيرة، الخافت، سرعان ما تبدد في فورة النشوة العارمة التي اجتاحت المجتمع كله،

وأسكرته بخمر الانتصار المذهل، حتى الثمالة، ونتيجة أيضا للتناقضات الكامنة في تكوينها الداخلي، وأخيرا لغياب تصور واضح، أو خطة محددة، لسبل وطرائق تحقيق هذا (السـلام) المطلوب، الذي يحقق أمن إسـرائيل، ويضـمن مسـتقبلها، ويفرض – من جهة أخرى – علـى العـرب القبـول بهـا والاعتراف بشرعية مراميها وأطماعها!.

• المنظمـــة الاشـــتراكية الإســـرائيلية (الماتسبن):

لكن أبرز الظواهر (السلامية)، فـي تلـك الفتـرة الملتبسة، في الواقع، مثلتها جهـود "المنظمـة الاشـتراكية الإسرائيلية"، ["الماتسبن، Matzpen"، "البوصلة"]، التي كانت قد تشكلت قبل نحو خمس سنوات من عام الحرب (خريـف ١٩٦٢)، وضمت ائتلافًا من ثلاث جماعات يسارية صغيرة: أولها انشقاق عن الحزب الشيوعي الإسـرائيلي، والثانيـة: انشقاق عن "حركـة العمـل السـامي (Semitic Action Movement).. أما الثالثة فمجموعة ذات اتجاه تروتسكي.

وكما تذكر "ليلى سليم القاضي"، فبالرغم من أن اسم "المنظمة الاشتراكية الإسرائيلية"، قد ارتبط في الأذهان – بعد الحرب – بمواقفها من القضية الفلسطينية عامة، ومعاداتهـا للمؤسسة الصهيونية، إلا أن تأسيسها في البدايـة لـم يكـن مرتبطًا، بصـورة مباشـرة بالقضـية الفلسـطينية نفسـها. أو بالصراع العربي – الإسرائيلي، بقدر ما كانت جزءا مـن موجة "اليسار الجديد" ومفاهيمه وتنظيماته، التي انبثقت فـي كثير من أنحاء المعسكر الرأسمالي، والعالم الثالث[٣]، ويرى "آدم كلر"[٤] أنه بالرغم من محدوديـة عـدد أعضـاء هـذه المنظمة، إذ لم تكن تضم أكثر مـن بضـع عشـرات مـن الملتزمين، إلا أن "مثابرتها" على حملتها ضد الاحتلال، منـذ عام ١٩٦٧ أثرت في قطاع مهم من الإسرائيليين، وأصبحت أطروحاتها – بصورة إجمالية – مقبولة من قبـل "حركـات السلام الإسرائيلية"، فيما بعد.

- ## حرب يونيو: مرحلة جديدة

وقد شهدت الأعوام الثلاثة التي تلت حـرب يونيـو ١٩٦٧، تصعيدا مصريا متناميا محكومـا للصـراع، فـي محاولة لمواجهة نتائج الهزيمة، وتمثلت هذه الحالة في وقائع

"حرب الاستنزاف" التي شكلت التمهيـد العمليـاتي الفعلـي لحرب ١٩٧٣، وأدى تساقط المئات من الجرحى والأسـرى والقتلى الإسرائيليين إلى خلق مناخ جديد مخالف لذلك السائد في أعقاب انتصار ١٩٦٧ الخاطف، إذ تزايد الإدراك بـأن الموضوع لم ينتهِ كما كان يظن، وأن قضية الصراع العربي الإسرائيلي مستمرة، وأن العرب قادرون على تحمل أكثر من هزيمة، والنهوض للقتال مرة أخرى، الأمر الذي يقطع بـألا نهاية لنزيف الدم الإسرائيلي، وأن القوة وحدها – مهما كانت حدودها غير قادرة على حسم الأمور بصفة نهائية.

وفي هذا المناخ المحموم، بادرت منظمـة التحريـر الفلسطينية بفتح الحوار مع أفراد منتقين مـن الإسـرائيليين، صنفتهم باعتبارهم "يهود غير صهاينة"، مثل "يوري أفنيري"، عضو الكنيست السابق، ورئيس تحرير "هـاعولام هازيـه"، الذي التقاه الدكتور" عصام السرطاوي"، وإسرائيليين آخرين، في باريس، وتعددت اللقاءات على مستويات عـدة قبـل أن يتكون ما أطلق عليه " المجلس الإسرائيلي للسلام الفلسطيني – الإسرائيلي، [ديسمبر ١٩٧٥]، وهو تجمـع شـارك فـي تأسيسه كل من: "آرييه إلياف"، أمين حزب العمل السـابق،

و"يعقوب أرنون"، المدير العام السابق لوزارة المالية، و"متى بيليد"، عقيد الاحتياط، وعضو الكنيست "مائير باعيل"، وقـد ساهم أعضاء هذا التجمع، فيما بعد، فـي تشـكيل "حـزب شيلي"، [حزب السلام والمساواة في إسرائيل]، الـذي حـاز مقعدين في انتخابات ١٩٧٧[٥].

• م.ت.ف: "صهيوني"!.. لا يهم!!

ويمكن أن نفهم المنهج "البرجماتي" الملتبس، الـذي تبنته م.ت.ف، وتجسد عميقًا فيما بعد، من تحليل رد "جمـال الصوراني"، عضو اللجنة المركزية لـ ـ "م.ت.ف"، الـذي التقاه "أمنون زخروني"، حيث دار بينهما حوار هام، وضـع فيه المحـامي الإسـرائيلي المعـروف، و"داعيـة السـلام" المرموق(!)، "قاعدة" رئيسية للحوار بين الطرفين، لازالـت مطبقة – بحذافيرها – حتى الآن. قال "زخروني": "يجب أن يفهم الفلسطينيون، أن الطريـق إلـى السـلام، أو الطريـق الصحيح للسلام، أو الفرصة الوحيدة للسـلام، هـي إيجـاد طريقة للسلام مع إسـرائيل.. كبلـد صـهيوني!"... "لـدي انتقادات كثيرة للحركة الصهيونية.. إنمـا إسـرائيل دولـة صهيونية!" [٦].

وفي مواجهة هذا الموقف القاطع من داعية مزعـوم للسلام، والذي يصر على إقرار الصفة الصهيونية لإسرائيل، قبل أي حوار، أي احتفاظهـا بكـل مقوماتهـا العنصـرية، ومكونات أيـديولوجيتها الاسـتيطانية العدوانيـة، فـإن رد "الصوارني" المتهافـت يعكـس سـطحية الفهـم العربـي/ الفلسطيني لطبيعة العدو الذي يواجهونه، والإقبال على أيـة بادرة تسوية مهما تضمنت من مخاطر ظاهرة وكامنة. قـال "الصوراني": "ليس هناك من فارق إذا كان (السيد زخروني) يسمي نفسه صهيونيا (أو أي شيء آخر!).. فإذا كان السـيد "زخروني" مؤيدا للحقوق المشـروعة للشـعب الفلسـطيني، وحقهم في تقرير المصير!، وإنشاء الدولة!، فأنا لا أهتم بمـا تعنيه الصهيونية له ولي!!"[٧].

كان هذا المنهج القاصر، والذي قاد لمأزق المنظمـة الراهن، والذي لا يميز بين التكتيكـي والإسـتراتيجي فـي السياسة الإسرائيلية، والـذي لا يـدرك كنـه الأيديولوجيـة الصهيونية المتناقضة – موضوعيا – مع كافة حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإنشاء الدولة.. هـو المـتحكم والدال في مسار العلاقات الفلسطينية – الإسرائيلية، كما كان

أحد الأسباب العميقة للقصور الذي واكب "حركات السـلام" الإسرائيلية، وشاب مواقفها، نتيجة للرؤية غير النقديـة فـي تعامل الطرف الفلسطيني، ثم الأطراف العربيـة الأخـرى، معها، فيما بعد.

• رصاصات "أبو نضـال".. لـن توقـف "المسيرة"!!

وفي ذات الوقت الذي تعددت العلاقـات، وتنوعـت مواقع وصور ومستويات اللقاءات بين أعضاء مـن م.ت.ف و(دعاة للسلام)، على كل لون وشـكل، مـن الإسـرائيليين واليهود، انطلقت رصاصات (المنشق) أبو نضال، لكي تردي "المحاورين"، الفلسطينيين الأساسيين: سعيد حمامي وعصـام السرطاوي، وآخرين فيما ظل "اسحق رابين"، رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق،على تشدده: "إن الاتصـال الوحيـد مـع م.ت.ف، هو في أرض المعركة!"[٨].

... كان الوقت لم ينضج تماما لفتح قنوات الاتصـال الرسمية: فالمنظمة لم يتم كسر عودها بالكامل بعد، وأسـباب تماسكها كانت لم تزل قائمة وإن بدت في طريقهـا للتآكـل،

ومن ناحية أخرى، استمرت أشكال جديدة للعمل (السـلامي) تتوالد وتتكاثر؛ خاصة في أعقاب زيارة السادات للقدس ثـم توقيع اتفاقيتي "كامب ديفيد"، التي أشاعت جوا مزيفًـا مـن التفاؤل، وبدت لقطاع مـن الإسـرائيليين بمثابـة الفرصـة التاريخية التي يندر تكرارها، والتي ينبغي استغلالها جيـدا، لإقرار وضعية إسرائيل في المنطقـة وتقنـين مكتسـباتها، فأعلنت مجموعة مقدسية، أطلقت على نفسها اسـم "الحركـة الصهيونية المختلفة" عن نشاطها، بتنظيم عـدة مظـاهرات مضادة لحركة الاستيطان في الضفة الغربية، والتي كانت قد استشرت وباتت تنذر بخطر عظيم يتهدد (العملية السـلمية) برمتها.. وإضافة لحركة "شيلي" – التي أشرنا إليها سـابقًا – كون الحزب الشيوعي الإسرائيلي جبهة عـام ١٩٧٧ تحـت اسم "الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة"، وتكونت في تـل أبيب "كتلة الإيمان بالسلام"، وولدت هنا وهنـاك تجمعـات محلية شبيهة، أرهصت بميلاد "حالة" في المجتمع الإسرائيلي كانت تشي بتوقيع ميلاد شيء أكبر قدرة وتهيـئ لاسـتقبال عمل أوسع مجالاً.

- **"حركة السلام الآن، "رسالة الضباط":**

يجمع الدارسون على أن التاريخ الرسـمي لمـيلاد حركة السلام الآن يعود إلى شهر مارس ١٩٧٨ أي في العام التالي للانتخابات التي دفعت – لأول مرة في تاريخ الدولـة الصهيونية – بمعسكر (اليمين) الصهيوني (تكتل الليكود) إلى قمة السلطة وفي أعقاب رحلة السادات إلى القدس المحتلة.

فقد تحركت مجموعة من ضباط وجنـود الاحتيـاط قوامها ٣٥٠ فردا حركهم الشعور بالقلق من المخاطر التـي بغرض التسوية وخشوا من مغبة (تعنت) حكومـة "منـاحيم بيجن"، وطموحاته المعلنة فـي التمسـك بحلـم "إسـرائيل الكبرى"، "من النيل إلى الفرات" فكتبوا ما أصبح معروفًا باسم "رسالة الضباط"، الموجهة إلى رئيس الحكومة يطالبونـه – عبر سطورها – بالرجوع عن أية خطوات قد تتسـبب فـي "ندم الأجيال القادمة، وندم شعبنا ودولتنـا".. وتـدين هـذه الرسالة سياسة الحكومة التي تتعمد عرقلة (مساعي السـلام) وتعمد إلى إنشاء المستوطنات وإدامة مظاهر الاحتلال الأمر الذي من شأنه تشويه الصورة اليهودية (الديمقراطية!) للدولة مما يؤدي إلى "صعوبة التوافق مع التوجه الأساسي للدولـة" بالنسبة لهؤلاء الضباط! وأنهى الضـباط الرسـالة بمناشـدة

"مناحيم بيجن" أن يختار "طريق (السلام) الذي بفضله يتعزز إيماننا بـ (عدالة قضيتنا)"[٩].

وقد أعقب نشر هذه الرسالة ردود فعـل متصـاعدة انتهت بمسيرة نظمها الضباط، شـارك فيهـا نحـو خمسـة وثلاثين ألف إسرائيلي وانضمت إليها جماعة صغيرة حملت لافتات مكتوب عليها (Peace Now) فلفت الانتباه، وأصبح هذا الشعار، "السلام الآن"، اسما للحركة بعد اتسـاع نطـاق التأييد لها، وتوقيع الآلاف مـن الإسـرائيليين، علـى هـذا الإعلان، تضامنًا معهم.

وفي الوقت الذي واكب تصاعد أنشطة "حركة السلام الآن"، كان المجتمع الإسرائيلي يشهد، في مواقـع متعـددة، أشكال أخرى للتحركات تصب في خدمة قضـية (السـلام) بالمفهوم الذي عرفناه سابقًا.

ومن بين حشد من هذه الأشكال، برزت التجمعات التالية:

• لجنة التضامن مع "جامعة بير زيت":

وهي لجنة انبثقت من مجموعة مـن الأكـاديميين، المحاضرين، في تل أبيب؛ تحركوا للـدفاع عـن الحريـات الأكاديمية لجامعات الضفة الغربية فـي مواجهـة الأوامـر

العسكرية بالإغلاق، والملاحقة للطلاب والكوادر الجامعية الفلسطينية. وقد تطورت هذه الحركة لكي تتخذ مواقف على يسار "حركة السلام الآن"، وتجاوزت قضية التضامن مع الجامعة الفلسطينية لكي تصبح محور تجمع لجماعات أخرى، ومنشقين عن أحزاب، حول الدعوة للتفاوض مع م.ت.ف، والقبول بفكرة دولتين.

وقد ضمت هذه اللجنة إلى صفوفها عناصر يهودية وأخرى فلسطينية[١٠].

- ## جماعة Campus، "كامبوس"، (الحرم الجامعي):

وهي حركة طلابية عربية – يهودية، تشكلت في أغلب الجامعات الإسرائيلية بالسبعينات، محور نشاطها مواجهة التمييز ضد العرب، ومعارضة الحرب والإلحاق[١١].

- ## مجموعة "المنتدى":

كونها مجموعة من أساتذة الجامعات الإسرائيلية، بهدف معارضة قمع الحريات الأكاديمية في جامعات الضفة الغربية[١٢].

- **لجنة "معارضة الحرب في لبنان":**

ثم جاءت الحرب في لبنان، حيث شعر الكثيرون أنها حرب بلا معنى ولا ضرورة، وقد تشكلت "لجنة معارضة الحرب في لبنان" استجابة لضغوط القواعد الجماهيرية، وقد ضمت أغلبية من عناصر "لجنة التضامن مع جامعة بيرزيت".

- **"دروب السلام"،"Netivot Shalom":(١٣)**

وهي لجنة ساهم في تكوينها "الحاخام أميتال"، عضو اليشيفا (المدرسة الدينية) التابعة لمستوطنات "جوش إتزيون" في الضفة الغربية، وقد قامت بالتظاهر احتجاجا على الحرب وانتهاكاتها في لبنان.

والحق أن حرب لبنان، ومجازر "صبرا وشاتيلا" التي قامت بتنفيذها ميليشيات الكتائب، بتواطؤ مباشر من القوات الإسرائيلية، في أعقاب إجلاء مقاتلي م.ت.ف من لبنان، كانت النقطة التي فجرت أعمال الاعتراض وأشكال الاحتجاج الجماهيري، إذ تركت أعمال القتل الوحشي والتنكيل الهمجي بالعزل والأبرياء أحساسا دامغا بالعار لدى

الكثيرين، الذين تحركوا للتعبير عن امتعاضـهم مـن هـذه الجرائم، وبالذات في أوساط الجيش الذي تفاقمت فيه حركات الاحتجاج، ومن أبرزها:

• "جنود الخط الأخضر":

وقد نشرت هذه المجموعة رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء، "تيجن"، نددت فيها بالحرب، التـي مـن خلالهـا: "تحاولون حل المشكلة الفلسطينية بوسائل حربيـة".. " إنكـم تحاولون بناء "نظام جيد" على أنقاض لبنان، لتريقوا دماءنـا، ودماء الآخرين، من أجل الكتائب (حزب الكتائـب الفاشـي اللبناني)، "لكن ليست هذه الأسباب التي من أجلها انضـممنا إلى قوات الدفاع الإسرائيلية". وأضافت الرسـالة، موجهـة الحديث إلى "بيجن": "لقد كذبتم علينـا. تحـدثتم عـن خـط الأربعين كيلو متر، وفي الحقيقة أردتم الوصول إلى مسـافة تبعد أربعين كيلو متر عن دمشق والدخول إلى وسط بيروت؛ ونحن الآن نواجه ثانية الحلقـة المفزعـة مـن الاحـتلال والمقاومة والقمع.. وبدلاً من "السلام للجليل" (الشعار الكاذب الذي رفعته حكومة بيجن لتبرير غزو لبنان)، تسـببتم فـي حرب لا يبدو أن لها نهاية.

... أعيدو الجنود إلى بيوتهم!".

- • لجنة "جنود معارضون للصمت":

وقد ترأسها "إبراهام بورج"، ابن وزير الداخلية، من حزب "المفدال" الديني، وقد نددت أيضا بـالحرب وطالبـت بوضع حد لها[١٤].

- • حركة "الامتناع عن الخدمـة"، "يـش جفول"، (Yesh Gvul):[١٥].

وقد تزعمت الدعوة لرفض الخدمة العسـكرية فـي لبنان، وكان أول من سجن من عناصرها لرفضه الامتثـال لأوامر الخدمة مع القوات الغازية الجندي "إيلي جوجتسكي"، عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي، كما عوقب جندي آخر، "صموئيل هاعسباري" بالسجن لموقفه الذي عبر عنـه بعـد عودته: "لقد عدت إلى الوطن مرتجفًا.. يا لها زمـن حـرب سخيفة، يا لها من خطيئة آثمة ومميتة؛ ضد الإنسان، وضـد ا !".

وقياسا لمواقف الجنود من هذه القضـية الخطيـرة؛ أجرت "مجلة الجيش الإسرائيلي"، "بامخانة"، (في المعسكر)"،

"Bamachaneh" ، استفتاء بـين الجنـود، فـي نـوفمبر ١٩٨٤، ووفقًا لتحليلاته فإن "سبعة عشرة فـي المائـة مـن المجندين الجدد في الجيش، وجدوا أن مسألة رفض الخدمـة العسكرية في لبنان لها ما يبررها، بالرغم من أن معظمهم لم ينفذوا هذه الخطة بأنفسهم"[١٦].

• لجنة "الآباء المعارضين للصمت":

وقد ظهرت هذه اللجنة كتعبير عن احتجـاج آبـاء الجنود الإسرائيليين الذين قتل بعضهم في لبنان، وقد أنشـئت في مايو ١٩٨٣.

• تظاهرة الـ "٤٠٠ ألف" إسرائيلي:

وإزاء تنامي حركة الاحتجاج في أوساط الإسرائيليين [التي غذتها بصورة مهمة مواقف حزب العمل (المعـارض) وأنشطة أعضاء الكيوبتزات (اليسارية)]. وكنتيجـة لتعـاون "حركة السلام الآن"، مع كل من لجنتي "التضامن مع جامعة بير زيت"، و"لجنة معارضة حرب لبنان"، شهدت شوارع "تل أبيب" التظاهرة الأكبر في تاريخ الدولة الصهيونية، شـارك فيها نحو ٤٠٠ ألف إسـرائيلي، رفضـا لوقـائع الحـرب،

واحتجاجا على ممارساتها الإجرامية الفاضـحة، وقـد أدى الضغط الجماهيري في هذه التظاهرة إلى إعلان تكوين لجنة للتحقيق في وقائع الحرب، رأسها قاضـي المحكمـة العليـا "كاهانا"، الذي أصدر – في فبراير ١٩٨٣ – تقريره، موصيا باستقالة الجنرال الإرهابي "شارون" المسئول عن غزو لبنان والفظائع المرتكبة. بعد إدانته المباشرة فـي تسـهيل مهمـة الفاشيين اللبنانيين، خاصة في ظروف ارتكـاب مجزرتـي "صبرا وشاتيلا"[١٧].

- "كتلة السلام"

ويرأسها "يوري افنيري". تأسست عام ١٩٩٣ بعدما أقدمت حكومة "إسحق رابين" على طرد أربعمائـة مناضـل فلسطيني إلى الحدود اللبنانية. وتـرى هـذه الحركـة بـأن إسرائيل "مطالبة" بالانسحاب من كل الأراضي المحتلة، ومن بينها القدس الشرقية، وتطالب بإزالة المستوطنات. لكن عدد أفراد هذه الحركة، "لا يتجاوز بضع مئات"، وتلقى معارضة من الاتجاهات اليمينية وحركات الاستيطان الإسرائيلية[١٨].

أما أحدث التجمعات (السلامية) الصـهيونية، فهـي منظمة "كل الجيل يريد السلام"[١٩]، التي برزت إلى الوجـود

في عام ١٩٩٦، عقب اغتيال "إسحق رابين". ومن أبرز زعمائها "يوفال" ابن "إسحق رابين" نفسه. وتشير أدبيات هذه المجموعة إلى تركيزها على "السلام الداخلي" بين الإسرائيليين بعضهم البعض، أكثر من تركيزها على (السلام) مع الفلسطينيين، ويقول مؤسسوها إنها "تعمل من أجل تغيير اجتماعي نحو السلام، وتحاول بناء جسورا بين الإسرائيليين، وتعالج الجرح الذي انفجر على أثر اغتيال "إسحق رابين"، بهدف "خلق مجتمع يهودي ديمقراطي يتسم بالتسامح". وتدعي هذه المنظمة أن عدد أعضائها يصل إلى نحو عشرين ألفًا، كما أن نشاطها يتجه للتكثيف في أوساط "السفارديم"، نظرا لأن الفتى الذي اغتال "اسحق رابين" ينتمي إلى هذه الطوائف.

وإضافة إلى ما تقدم، فهناك بضع تجمعات صغيرة أخرى، مثل "القوة والسلام!" و"هناك حدود" و"بنت السلام" و"منظمة النساء الأربع" التي تطالب بانسحاب إسرائيل من جنوب لبنان، و"النساء في الحداد" التي نظمت، منذ عام ١٩٨٨، ثلاثين تظاهرة صامتة ضد الاحتلال، و"حركة الأمهات ضد الحرب" في لبنان، وجماعات "أوز فيشالوم"،

"ناتيفوت شالوم"، و"ميعاد" التي تؤيد السلام كـالتزام دينـي "لا يقل شأنًا عن الالتزام السياسي".[٢٠]

- ## علاقة "حركة السلام الآن بحزب العمل:

ومن اللافت للنظر أن التظـاهرة الكبيـرة السـابق التعرض لها، كانت محل دعم حـزب العمـل (المعـارض) وتشكيلاته المختلفة والذي بدا من خلالها أن نفـوذه داخـل "حركة السلام الآن" – التي رفعت شعار "اخرجوا من لبنان" يتدعم.. غير أن موقف الحزب نفسه كان أكثر تـرددا فـي نظرته للحرب ولم يظهر تحمسا للانسحاب من لبنـان قبـل الاستفادة من الفرصة التي أتاحها الغزو لتوقيع اتفاق أمنـي معه، بالشروط الإسرائيلية طبعا.

- ## الشروط وسيطرة ملحوظة!:

وضاعف من قدرة الحركة دعم أعضاء الكيوبتزات، ومؤيدي الانسحاب الجزئي وأعضاء الأحزاب اليسارية الأمر الذي يسر لـ "حركة السلام الآن" توصيل موقفهـا لأوسـع قطاع من المواطنين، غير أن ارتباط "حركـة السـلام الآن" بحزب العمل كان عاملاً شديد السلبية في صـياغة رؤيتهـا

وأنشطتها وتطوراتها المستقبلية، إذ انعكست علـى دورهـا مناورات الحزب وتكتيكاتـه المراوغـة، ونتيجـة للتـداخل الملحوظ بين الحركة والحزب، مالت الحركة إلى الهدوء، بل السكون، في الأوقات التي كان الحزب فيهـا يقتـرب مـن السلطة أو على قمتها(*)، مثلما حدث في فترة انتخابات عـام ١٩٨١ ، حينما جمدت أغلبية نشطاء الحركة عملهم، استجابة لتقديرات خاطئة توقعت فوز حزب العمل بالانتخابات، وقـد قدر عدد ملحوظ من المراقبين – آنذاك – أن "حركة السـلام الآن" قد "انتهت وتلاشت"(٢١) .. وكان من نتيجة سطوة حزب العمل على الحركة وهيمنته على أنشطتها أن يتدخل واحـد من أبرز عناصرها، الكاتب الشهير "عاموس عوز"، فور بدء المحادثات الرسمية بين الحكومة الإسرائيلية والفلسـطينيين، لكي يعلـن – باسـمها –أن مهمـة "حركـة السـلام الآن" المستقبلية، أن تتجنب – الآن – كافة أنواع عمليات الاحتجاج التي لا معنى لها(!)، وأن تمتنع عن الضغط على الحكومـة

(*) يقول الكاتب اليهودي "دان ليون"، رئيس التحرير المشارك لمجلـة "فلسـطين – إسرائيل": "لقد أدى وجود أحزاب الوسط و(اليسار) الصهيوني الرئيسية، في السلطة، بزعامة "رابين وبيرس"، قبل فوز "نتنياهو" بانتخابات ١٩٩٦، وتأييد حركة "السـلام الآن" لحكومة العمل – "ميريتز"، إلى الحد من أنشطتها كحركة احتجاج.

لتقديم المزيد من التنازلات(!) في كل مـرة تصـادف فيهـا المفاوضات بعض الصعوبات!"[٢٢].

ويكمل عاموس: "على الحركة أن تضع أيديها في يد الحكومة، وأن تركز جهودها على محاولة إقنـاع (الشـعب) الإسرائيلي بأن الاتفاقية هي أقل الاختيارات، وأنهـا ليسـت السلام بأي ثمن، ولكنها خطوة حذرة ومحسوبة تأخذ بعـين الاعتبار الأمن القومي الإسرائيلي!"[٢٣].

وليس أدل على العلاقة الوثيقة التي تـربط حـزب العمل ومؤسساته بـ "حركة السلام الآن"، من المساعي التي بذلها – مـؤخرا – "شـمعون بيـرس"، [رئـيس الـوزراء الإسرائيلي السابق، وأحد الزعماء البارزين لهـذا الحـزب، والذين لعبوا دورا بارزا في تثبيت أركانه بالدولة]، من أجل توحيد "حركات السلام الإسرائيلية" – وعددهم ٢٢ جماعـة حسب تقديره – "في كيان واحد"، بنص تصـريحه للإذاعـة الإسرائيلية[٢٤]، وأوضحت صحيفة "هآرتس" أن نائب العمـل "موشى شاحال"، يقف وراء مشروع ضم المنظمات (السلمية) الإسرائيلية في منظمة واحدة يرأسها بيرس"[٢٥].

- **موقف "حركة السلام الآن" من انضمام العرب إلى صفوفها:**

إلى أن انفجرت انتفاضة الشعب الفلسطيني في أخريات عام ١٩٨٧، كان الرفض هو إجابة "حركة السلام الآن" على الطلبات التي تقدم بها عدد كبير من الفلسطينيين، ساعين للانضمام إليها عند تأسيسها، مبدين الرغبة في إنشاء فروع لها في المدن والقرى العربية، على الرغم من إعلان الحركة لالتزامها بأن: "إسرائيل هي دولة القانون والحرية والمساواة الكاملة في الحقوق، لكافة المواطنين، بغض النظر عن دينهم وقوميتهم!"[٢٦].

- **الصهيونية "العاقلة"!:**

ويبرر قادة الحركة هذا الموقف العنصري "الشوفيني " تبريرات شتى منها الحرص على أن تكون الحركة "يهودية خالصة"، حتى تظل قادرة على حشد الجماهير اليهودية المترددة، إلا أن السبب الرئيسي في هذا الموقف، يعود – في الواقع – إلى الجوهر الفلسفي الكامن في عمق أيديولوجية

الحركة وقيادتها، والتي بمقتضاها عرفت "حركة السلام الآن" نفسها، باعتبارها ذات ثلاثة ملامح رئيسية، هي:-

أولاً: أنها حركة صهيونية، أطلق أعضاؤها على أنفسهم اسم "الصهيونيون العقلاء"، الذين يضعون الولاء للدولة محل اهتمامهم الرئيسي، ويرفضون الصورة التي يقدمها الجناح اليميني للصهيونية.

ثانيا: وهي ليست "حركة مسالمة"، (أي تنبذ العنف لأسباب دينية أو سواها)، إذ أن أعضاء "حركة السلام الآن" كانوا دائما يعلنون استعدادهم للقتال دفاعا عن أمن إسرائيل ورفاهيتها.

ثالثًا: وهي ليست حركة احتجاجية، كما وصفها "موردخاي بار – أون"، أحد الأعضاء البارزين في الحركة، ومؤرخها، فهي لم تكن حركة مناهضة للمؤسسات الحاكمة، مثل تلك التي ظهرت في الغرب، بل تنظر إلى نفسها على أنها جزء من النسيج السياسي والاجتماعي الإسرائيلي"[٢٧].

وباختصار. فلقد كانت "حركة السلام الآن" حركة موالية للدولة (الصهيونية حسب مثل تقترب من مثل حزب العمل)، وأرادت الحفاظ على طابع إسرائيل (الديمقراطي!)

وقيمها (الأخلاقية!)، (بالمفـاهيم والتعريفـات الإسـرائيلية أيضا)، وهي كانت – أولاً وقبل أي شيء – حركة احتجـاج في مواجهة "الجناح اليميني المتطرف"[٢٨] داخـل إسـرائيل، تنطلق من مواقع لا تتنـاقض جوهريـا مـع الأيديولوجيـة الصهيونية المهيمنة، وليست حركة سلمية بالمفهوم الإنساني الشامل، إنها وبصورة أشد تحديدا، مثلما يعرفهـا "عـاموس عوز": "حركة صهيونية في المقام الأول، وهي تشارك فـي الإيمان بأن الصهيونية تمثل حركة تحرير وطنـي للشـعب اليهودي!!"[٢٩]، ويضاف إلى ذلك، أن دوافع هـذه الحركـة الأساسية، ومنطلقاتها الرئيسية تنبع من مصـالح إسـرائيل الاستراتيجية أولاً وأخيرا، فـ "داعية السلام" الشهيرة "شـالو ميت ألوني"، الزعيمة السابقة لحزب "ميرتس"، والتـي يـتم الترويج لها ولعناصر حزبها، في الوطن العربي، باعتبارهم أنصار العرب والمدافعين عن حقوقهم، تحدد هـذه الـدوافع بأقصى قدر من الدقة والوضوح: "إن ما يهمني هـو دولـة إسرائيل، تفوقها، أمنها، طابعها (اليهودي الخـالص بـدون عرب طبعا!)، ولأجلها يتوجب الحديث مع أي عدو!!"[٣٠].

• المواقف السياسية لـ "حركـة السـلام الآن":

لا ثنائية.. لا عـودة .. لا دولة!

لقد انطلقت هذه الحركة، كما يبدو واضحا فـي ثنايـا بيانها الرسمي الصادر عام ١٩٨٠ من دوافـع "برجماتيـة"، مباشرة تنبع – في جهة منها – من إيمانها بضرورة الحفـاظ على "نقاوة الجنس" بالنسبة للدولة اليهودية، حيث إن استمرار الهيمنة على ما يربو على المليون ونصـف المليـون مـن العرب، الذين يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة، يعني بالتبعية – تهديد الطابع الديموجرافي لدولة إسرائيل، ويؤدي إلى تأسيس دولة "ثنائية القومية" كأمر واقع، أما رفضها لضم الضفة الغربية فلا يعود إلى رفض الاحتلال – مـن حيـث المبدأ – وإنما لأن هذا الأمر يخلق أوضاعا مدمرة لإسرائيل، في المستقبل، بالنظر إلى الوقت الذي سيشكل فيـه العـرب أغلبية في الدولة، مطالبتها بوقف الاستيطان، تعود، في واقع الحال، إلى كون هذا الأمر يؤثر على سمعة إسـرائيل فـي العالم، ويظهرها بصورة الدولة القامعة، المحتلة.

وفيما يخص موضوع الحـدود والدولـة المقترحـة للفلسطينيين، وهي من الموضوعات الرئيسية التي تقع فـي قلب عملية الصراع العربي الإسرائيلي، فإن "حركة السـلام الآن" في بيانها المشار إليه تؤكد، على أنها: "لم يسـبق لهـا مطلقًا، أن طالبت بالعودة إلى حدود ١٩٦٧، أو بإنشاء دولة فلسطينية"[٣١].

ويضاف إلى مـا تقـدم، أن "حركـة السـلام الآن"، الإسرائيلية، تعلن بكل قطع موقفها الذي يعتبر أن "القدس هي عاصمة إسرائيل. ولن يتم تقسيمها"... وباختصار فإن مجمل "حقوق العرب"، كما يقول "ياكوف تالبون"، أحـد الأعضـاء النشطين في الحركة، في رسالة مفتوحة لـرئيس الـوزراء الأسبق "مناحيم بيجن": "مسألة لا تخصـني، وليسـت لـدي معلومات، أو اهتمام عميق بماضـيهم أو ثقـافتهم، ولكـن اهتمامي يتركز فقط في إسرائيل وأمنها!"[٣٢].

وبعد إعلان هذه المواقف الحاسمة، لا بـأس مـن أن يلوك (دعاة السلام) الإسرائيليين بعض الكلمات للاسـتهلاك المحلي والإقليمي والأجنبي، وللتسويق في العالم العربي، عن "السلام مع العرب والفلسطينيين"، ما داموا العرب يعترفـون

بـ: "حق إسرائيل في الوجود والسيادة، وكدولة يهودية داخل حدود آمنة"، (دون أن يتم أبدا تعيين هذه الحدود)، وما داموا يقرون بالتخلي عن "طريق الإرهاب"، أي السـعي لتحريـر أراضيهم المحتلة، على حد تعبير"موردخـاي بـار – أون" العضو البارز في (حركة السلام الآن الإسرائيلية)، خاصـة وأن هذا الأمر، لن تخسر إسرائيل بمقتضاه شيئًا يذكر، بـل سيعود بفوائد غير محدودة على الدولة الصهيونية، لعل مـن أهمها، وفي مقدمتها، إبقاء الوضع المجمد لمصر على ما هو عليه، والترويج لـ "إسرائيل الجديدة" فـي إطـار منظومـة "الشرق الأوسط الجديد" إسرائيل التي تتزعم المنطقة، وحان وقت قيادتها للعرب، "بعد أن قادتهم مصر على مدى خمسين عاما – دون جدوى"، على حد تعبير "إسحق رابين"، رئـيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، في المؤتمر الاقتصادي، "مؤتمر الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذي عقد بالـدار البيضـاء، المغرب، عام ١٩٩٥".

إن العمل على تحقيق (السلام)، بهـذه المواصـفات، وبناء علاقات جيدة (من موقع التفوق على العرب، وتصـفية المشروع الاستقلالي العربي)، كما يقول "عـاموس عـوز":

"شرط أساسـي لاسـتمرار المشـروع الصـهيوني، فـي فلسطين"[٣٣]، وليست نقيضـا لهـذا المشـروع العـدواني، أو خطوة تنتقص من فرص تقدمه، بأي حـال، خاصـة وإذا كانت أية تسوية مقترحة – من وجهة نظر "حركـة السـلام الآن"، لن تقدم للفلسطينيين – في واقع الحال – أكثـر مـن مولود "لقيط"، لا يزيد كثيرا – في جوهره، عن تصور أعتى المتطرفين اليمنيين، وكما عبر "عاموس عوز"، فـي "علـى منحدرات لبنان"، فهي (دولة!): "منزوعة السـلاح، وغيـر مسموح بوجود جيش أجنبي على أراضيها(!)، وملتزمة بمنع تسرب "المخربين!" إلى داخل دولة إسرائيل، وتقر باعتبـار القدس عاصمة أبديل لإسـرائيل"[٣٤]!!.. إنهـا فـي الواقـع (اللادولة) التي يقترحها أيضا "بنيامين نتنياهو" على الشـعب الفلسطيني، لكن بصورة أكثر فجاجة من سم "حركة السـلام الآن" الزعاف، المذوب في عسل (السلام) الموهوم!.

إن هذا المنظور العنصري المتعالي، كان في صـلب مأزق "حركة السلام الآن"، ومن خلـف كافـة تصـرفاتها، وردود أفعالها، وانطلاقًا منه نظرت الحركة إلـى "مـؤتمر مدريد للسلام"، لا كخطوة على طريق السلام المـأمول فـي

المنطقة، وإنما – وكما هو في الحقيقة – باعتبـاره انتصـار لإسرائيل نفسها، وللذين كانوا، كما قـال "عـاموس عـوز" "يؤمنون، حتى عندما كان من الصعب تصديق ذلـك، بأنـه سيأتي يوم يوافق فيه العدو (أي العـرب) علـى المشـروع الصهيوني!!"[٣٥].. إنه "انتصار لإسرائيل"، و"يوم عظيم فـي تاريخ الصهيونية"[٣٦]، على حد تعبير ناطق باسـم الحركـة تعليقًا على توقيع "اتفاية غزة – أريحا"، ومع هـذا، ومـرة أخرى وليست أخيرة، فإن "على الفلسطينيين"، يقول داعيـة (السلام) الصهيوني، والعضو البارز فـي (حركـة السـلام الآن)، "عاموس عوز"، "أن يبرهنوا (مجددا!!!) لنا، على أنهم تخلوا فعلاً عن أساليب العنف والإرهاب(!)، وأنهم قـادرون على قمع "المتعصبين" لديهم(!)، وأنهم يتخلون عن الميثـاق الفلسطيني المدمر(!)، وكذا عما اعتادوا تسـميته بـه "حـق العودة"، (!!)،.. أي على الفلسـطينيين – إذن – إن كـانوا مهيئين للسلام الإسرائيلي، أن يؤكدوا دائما قبـولهم – غيـر المشروط – بالركوع تحت أقدام الغزاة الفاتحين، المـدججين بترسانة الأسلحة النووية، وباقي أسلحة الدمار الشامل (التـي لم تلفت انتباه أي من دعـاة السـلام الإسـرائيليين أبـدا!)،

والتقليدي، وإلا فإن كرباج (اليمـين) الصـهيوني، ودعـاة (السلام)، (اليسارين زعما)، لازال في اليد، حيث في إطـار التسوية المقترحة، يؤكد "عوز" أيضا -: "تكون إسرائيل فـي موقف يمكنها من الإجهاز على فلسطين، وإلغاء "الصـفقة"، وعلى "قهر كيان فلسطين ضئيل، منزوع السـلاح[٣٧] ... إن بدا ما يتطلب ذلك!.

• "السلام الآن".. والفرص الضائعة!:

على الرغم من كافة الفرص التي توفرت أمام "حركة السلام الآن"، لكي تتحول إلى قوة ضغط فعلي تضاف إلـى رصيد العمل الحقيقي من أجل السلام في المنطقة، فإن واقع الأمر يؤكد عكس ذلك .. إذ تبددت هذه الفرص، وعاد شبح الحرب يحوم في الأجواء مجددا، وبدت إمكانية حل (عـادل) للصراع العربي – الإسرائيلي أبعد منـالاً مـن أي وقـت مضى!.

يعود الإخفاق الذي منيت بـه "حركـة السـلام الآن" الإسرائيلية، وباقي التجمعات (السلمية) الأخرى في إسرائيل، وعجزها عن أن تصبح قوة ذات تأثير حقيقي فيمـا يخـص

قضايا الحرب والسلام، داخـل التجمـع الصـهيوني، إلـى مجموعة من الأسباب، أهمها:

١- جوهر المفاهيم الأساسية، وطبيعة مـا تطرحـه مـن أفكار:

بسبب وقوف "حركة السلام الآن"، على ذات القواعـد الصهيونية التقليدية، فقد استمر دورها المباشر فـي عمليـة تجميل الوجه القبيح للدولة اليهودية، ولم يتجاوز محاولة نزع "الشوائب" العالقة بها، دونما أدنى اسـتعداد للخـروج عـن "الثوابت" الصهيونية، أو إمكانية "إعادة النظر" فـي أي مـن مسلماتها التاريخية التي تحمل في جوهرها أسس المواقـف العنصرية الشوفينية، والممارسات الفاشية العدوانيـة، مثلمـا تعاصرها الآن.

٢- غياب الاستراتيجية المحددة:

ونظرا للالتباس الأولي السابق الإشارة إليه، فقد قـاد هذا الأمر "حركات السلام الإسرائيلية" إلى مواقف مرتبكـة، ومواضع مترددة، واقتصر نشاطها على "المناسبات" دون أن يتجسد في عمل يومي بإمكانه إحداث تراكم كيفي، ولذا فلقـد ظلت أنشطة الحركة: "مجرد أنشطة متفرقة لا تتـرك أثـرا

بعيد المدى، يغير من الرأي العام ".[٣٨] لقد عجزت الحركـة عن أن تحول مشاعر الجماهير، كما يذكر أحد أعضـائها – "إلى فعل ملموس ومتصل من أجل السلام"[٣٩].

٣- العجز عن بناء آلية تنظيمية دائمة وفعالة:

وقد تدخلت العديد من العوامل في التأثير سلبا في قدر "حركة السلام الآن" على بناء آلية تنظيمية (حزبية) مستقرة، تسهم في دفع نشاطها وتطوير فعاليتها، وعلـى رأس هـذه العوامل:

(أ) غياب الانسجام بين الأفراد والتجمعات التي شـكلت الحركة، بالنظر إلى منابعها التنظيمية المتباينة، الأمر الذي ولد تناقضات عديدة فيما بينها، وجعلهـا غيـر قادرة على إيجاد نقاط التقاء استراتيجية، عدا السعي لتحقيق "سلام صهيوني"، يخـدم أغـراض الدولـة ومصالحها.

(ب) الارتباط التنظيمي للعديد مـن كـوادر وقيـادات الحركة، بأحزاب وهيئات سياسية قائمـة بالفعـل، فـي مقدمتها حزب العمل، الأمر الذي حال دون بناء حـزب جديد، لاستحالة الازدواجية التنظيمية لأعضائها.

(جـ) معاداة التنظيمات القائمة في الساحة الإسـرائيلية، والمتصارعة، وبالذات في الجنـاح (اليسـاري) لمـيلاد حزب جديد ينازعها الأصوات الانتخابية، وينافسها على نفس "أراضيها" السياسية والجماهيرية.

(د) تقدير قادة الحركة أن تحولها إلـى حـزب سياسـي يفقدها الكثير من التعاطف، وينفض عنها العديد مـن الأنصار، وبالذات أولئك الذين يمنحونها جزءا مـن الجهد، ويرفضون الاندماج في آلية حزبية كاملة.

(هـ) استياء العديد من قواعد وقيادات الحركة، من واقع الأحزاب السياسية الراهن، لافتقادها الكفاءة الواجبة(٤٠).

٤- ارتباطها العميق، والطبيعي، بحكـم ظـروف المنشـأ بسياسة الدولة وتطورات مواقف النخبة الحاكمة:

بدأت "حركة السلام الآن"، كما سبق وأشـرنا، فـي الأساس، كحركة ضباط من الجيش الإسرائيلي، واسـتقطبت في داخلها جماعتان رئيسيتان: الأولى من نشـطاء حركـة الكيوبتزات، والثانية من جمـاهير حـزب العمـل.. أي أن الحركة في جوهرها، ضمت أعدادا من كوادر ثلاثـة مـن أعمدة الدولة الصهيونية: الجيش – الكيوبتس – حزب العمل،

وهو ما انعكس – مباشرة – على مواقفها وأفكارها.. وكذلك رأينا أن الكثيرين من أعضاء الحركة لم يرفضـوا – مـن مواقع الالتزام بالسياسات الرسمية – الاشتراك فـي حـرب لبنان، رغم إعلان الحركة نفسها اعتراضها على ممارسـات الجيش الصهيوني، بعد أيام من التـردد، وبـررت قيـادات الحركة موضوع المشاركة هذه، بأن هذه العناصر: "ملزمـة لأن تقاتل وأن تطيع، لأن إسرائيل دولة (ديمقراطية!)، وعلى الأقلية أن تلتزم بالقانون، وأن تتبع سياسة الأغلبية.

وتبدو التناقضات في مواقف "حركة السـلام الآن"، نتيجة لارتباطها بالسياسات الرسمية للدولة الصهيونية، أبرز ما يكون لدى دراسة موقفها من موضوع "القدس"، إذ بالرغم من إعلانها رفض قانون الكنيسـت الصـادر عـام ١٩٨١ (والذي يقضي باعتبار "القـدس" هـي العاصـمة الأبديـة لإسرائيل)، هاجمت الحركة الدول التي رفضت نقل سفاراتها من "تل أبيب" إلى "القدس على أساس أن "إسرائيل دولة ذات سيادة لديها الحق المطلق في اختيار موقع عاصـمتها!"[٤١]، وهو تبرير يعكس بوضوح تخـبط "حركـة السـلام الآن"، وتذبذب مواقفها، من جراء الخلل البنيـوي فـي منظورهـا

الفكري، بالنظر بكونها حركة ذات ارتباط عميق – رغم كل ادعاء – بالمفاهيم الصهيونية التي نهضت على أساسها الدولة المغتصبة، وشيدت أركانها.

أما القضية الثانية التي تعكس بوضوح، أيضا، هـذه التناقضات فهي قضية الموقف من "حرب العراق"، (حـرب عاصفة الصحراء)، إذ لأول مرة في التاريخ"، يصدر بيـان عن جماعة تزعم الانتساب لحركة سلمية، موجه إلى حركات السلام في العالم، تعلن خلاله موقفًا مؤيدا للحرب، انطلاقًـا من أن تدمير قوة العراق، لا يمثل مصلحة حيوية لإسرائيل"! وقد قام بالتوقيع على هذا البيان (دعاة سـلام) إسـرائيليون مشهورون، منهم "يائيل دايان" – "عاموس عوز" – "عاموس إيلون" – "أ.ب. يهوشوا"، الأمر الذي استفز، حتـى، بعـض الإسرائيليين الآخرين، لعدم منطقيته، فكتب أحدهم، سـاخرا، داعيا الحركة إلى تبديل اسمها من "السلام الآن" إلى "الحرب الآن"، أو حتى "حركة السلام بين حربين"[٤٢]، وهو الموقـف الأكثر اتساقًا مع جوهر مبادئ الحركة، وصلب أيديولوجيتها.

- **مأزق بلا مخرج:**

في مثل هذه المواقف يتجسد المأزق العميق لتيارات اليسار المزعومة في إسرائيل، فمـن المسـتحيل ليسـاري حقيقي، يؤمن بالإخوة الإنسانية وحق الشعوب في الحياة، أن يتحول إلى سفاح وقاتل ومغتصب وحشـي، ينهـب الأرض ويطرد أصحابها ويشن حملات إبادة منظمة ضد مـواطنين أبرياء، ثم يدعو لحرب ضد شعب آخر، وهو يعلم جيـدا أن هذا الشعب سيدفع ثمن جريرة لم يرتكبها وخطأ لم يتسـبب فيه.. إن هذه وغيرها – بصورة قاطعة – مواقف لا تنتمـي بأي شكل من الأشكال لا لأفكار اليسار ولا لأفكار حركـات السلام في العالم.. وحتى في المواقف التي تبدو صـحيحة، فإن اليسار الإسرائيلي يعمد إلى "تجزيء" القضية، وتفكيـك مقوماتها.. لأن مواجهتها، كما ينبغي، ككتلة واحدة، يقود إلى إدراك حجم الكذبة التـي يزعمهـا (اليسـار) الصـهيوني، ويقوض ادعاءاته من أساسها، منذ بداية المشروع الصهيوني ذاته، وفي كل مراحل نمو الدولة.

ويوضح د. "إدوارد سعيد" هـذا الأمـر، فيقـول إن المنظور الصهيوني الرسمي للصراع مع الفلسطينيين، مهمـا كان مستنيرا أو ليبراليا [وهذا ينطبق على أوساط (اليسـار)

الصهيوني، مثل حركة "ميرتس"، أو يسـار الوسـط، مثـل "شمعون بيرس"] لا يستطيع الوصول سـوى إلـى مرحلـة "الشيزوفرينيا": أي نعم نريد السلام مع العرب، ولكن لا لـم يقم بيننا ما يستحق الإدانة في ١٩٤٨، لكن - يقـول "إدوارد سعيد" - لا يمكن لهذا الموقف أن يشكل أساسا للسلام، لأنـه ينطوي على اعتبار الفلسطينيين في بلادهم، كأنهم أدنى مـن اليهود، كما ينطوي على القبـول بالتنـاقض العميـق بـين الصهيونية والديمقراطية: كيف يمكن أن تكون هنـاك دولـة ديمقراطية يهودية، فيها أكثر من مليـون مـواطن عربـي يهودي، لا يتساوون مع اليهود في الحقوق، والتشغيل، وتملك الأرض؟![٤٣]"

في اعتباري أن رد. "د. إدوارد سعيد"، بهذا المنطق، هو رد جزئي أيضا، بل ويمكن اعتباره ردا شكليا في كثيـر من حججه ولا يمس جوهر المسألة.

فالقضية ليست في صفة "الديمقراطية"، وهل تستأهلها الدولة الصهيونية وتنطبق علـى ممارسـاتها، أم لا؟! لكـن القضية - في رأيي - أعقد من ذلك بكثير، وأشمل.. وهـي في الواقع جوهر المشروعية - مـن وجهـة نظـر الفكـر

اليساري – لواقع وجود دولة قامت علـى اغتصـاب أرض وتاريخ وحضارة شعب آخر، وانبنت على الغزو والتوسـع والحروب، وتهديد السلم الإقليمي والعالمي، من ثـم، علـى فترات متعاقبة.

.... وهنا صلب المسألة

- **جريرة (اليسار) الصهيوني وخدعته!:**

لقد لعب ما يسمى بـ (اليسـار) الصـهيوني دورا حاسما في إنتاج وتعبئة وتسويق الفكرة الصهيونية، كما كان حجر الزاوية في الترويج لدولة إسرائيل بعد إنشائها والتمكين لها.

ففيما كان البرجوازية اليهودية، (كبار رجال المـال اليهود)، يتوجهون إلى دول الغرب والولايات المتحدة لضمان الدعم الكامل للمشروع، كان (اليسار) الصهيوني يتحرك على مستوى المعسكر "الشرقي"، والحركات الاشتراكية واليسارية وحركات السلم العالمي والمنظمات (الاشـتراكية) الدوليـة، التي كانت جميعها تكن تعاطفًا واضحا مع "الحالة اليهوديـة" بتأثير من ممارسات النازي"، وقد ضـمن هـذا (اليسـار) المساندة المادية والأدبية، والحماية، والدعم المطلوب، ونجح

في هذا الأمر نجاحا بينًا، يشهد على عمق (خديعته) ليس فقط لقطاعات كبيرة من الرأي العام العالمي، وإنما حتى لمراكـز يسارية مرموقة في العالم، استجابت، لأسباب عديدة، لأكاذيبه وادعاءاته.

ولسنا وحدنا الذين نقطع بهذا، فـإيلان بابـه، أحـد "المؤرخين الجدد" الإسرائيليين البارزين، والمحاضـر فـي العلوم السياسية بجامعة حيفا، ورئيس "معهد دراسات السلام"، في "غفعات حفيفا"، يعترف بأن مواقف (اليسار) الصهيوني، قد "خففت، طوال أعوام كثيرة، النقد الخارجي الموجه إلـى إسرائيل وسياساتها"، ويشكك البروفيسور "بابه" في دوافع نقد (اليسار) الصهيوني لـ "إسرائيل ما بعد ١٩٦٧"، إذ إن هـذا النقد، من وجهة نظره، و"سواء جرى التعبير عنه في النتـاج الأكاديمي الموضوعي، أو في الحوار السياسي الإسـرائيلي، موجه لإيجاد فصل تام بين الفلسطيني واليهـودي، ويخفـي التطلع إلى الفصل المطلق أيضا، توقا إلى الانفصـال – لـو كان هذا ممكنًا – عن المراكشي والشرقي"![٤٤]؛ أي أن دوافع هذا الموقف هي دوافع عنصرية، منشؤها كراهية التواجد في

محيط واحد مع الفلسطيني من جهة، ومع اليهودي القادم من البلاد العربية، واليهودي السفاردي، من جهة أخرى!.

ويضيف البروفيسور "بابه"، معرض نقـده لمواقـف (اليسار) الصهيوني وانتقاداته الجزئية.. أن هذا النقد، "اهتم" ولايزال مهتما، بتأثيرات الاحتلال الخلقية في نفسية الجنـود الإسرائيليين "الرقيقة!"، لكن لا بجروح الأطفال الفلسـطينيين الذين أصيبوا برصاص هؤلاء الجنود". ولذلك؛ فـإن الحـل السياسي الذي يقترحه (اليسار) الصهيوني، يقول بابه،: "يحل المشكلات النفسية لمن كان في الماضي منتميا إلـى جـيش احتلال.. لكنه لا يقدم جوابا على تطلعات من كانوا واقعـين تحت احتلال هذا الجيش وسلطته"[٤٥] .. لقد اختارت "حركة السلام" الآن أن تركز اهتمامها على "تأثير الاحتلال في إفساد والمحتلين ، بدلاً من الاهتمام بظلم من يتعرضون للاحتلال"، هذه الحجة أثرت في بعض غلاة المتمسكين بحق اليهود فـي "أرض إسرائيل الكاملة"، نفس عام ١٩٩٤، اعترف بعـض أعضاء "جوش أمونيم" المتطرفة، بأن حكم سكان غرباء، قد يشوه ما أسموه بـ "المبادئ الأخلاقية الإسرائيلية"[٤٦]!!

إن دور "حركة السلام الآن"، في جانب من جوانبه، لا يخرج عن هذا السياق بأية صورة من الصور، وإنما ينصب في تعميقه وتكريس مساراته، ويوضح هذا الأمر "تسالي يشيف"، الناطق الرسمي باسم الحركة، الذي يؤكد دورها في تجميل الوجه القبيح للدولة العنصرية: "إن حركتنا تقدم مساهمة حاسمة في إبراز الوجه الإيجابي للدولة (الصهيونية) في العالم، وفي إبراز الجانب الأخلاقي لإسرائيل، وحتى وزارة الخارجية تصور التظاهرات التي تقوم بها الحركة في إعلانها في العالم، على أنها مثال للوجدانية والديمقراطية"!.

"إن ما كان (اليمين) يقوم به دوما بشكل علني"، يقول "أوري بن أليعازر"، كان (اليسار) يقوم به فعليا"... وهذا هو الواقع حقا.. الواقع الذي يؤكده المفكر الإسرائيلي "حنان هيفكر"، حيث يرى أنه كان هناك "تواطؤ عفوي – بين حركات الاحتجاج المعارضة علنًا للاحتلال، وسلطات الاحتلال – على الاضطهاد المستمر للفلسطينيين.. فقد احتج المحتجون بدون نتيجة، لأن الطرفين في الواقع كانا شريكين في عملية الاضطهاد، إذ لعب كل منهما دوره المتميز في

لعبة القوة تلك، حتى يسيطر فيها الإسرائيليون تماما على الفلسطينيين... وكانت هناك خطوط حمراء واضحة لا يمكن (للمحتجين) تخطيها، وحرصت "حركة السلام الآن" دوما على العمل في إطار القانون، وعلى كونها جزءا من المعسكر الصهيوني، لكن هذا القانون، وهذا المعسكر هما إطارا الاضطهاد ووسيلتاه"(٤٧).

وهناك أسباب أخرى أدت إلى فشل "حركات السلام الإسرائيلية" في التحول إلى كتلة فاعلة تؤثر على صنع القرار في إسرائيل، منها – كما يشير "يوري أفنيري" التصارع بين هذه الحركات للحصول على المساعدات المالية "التي عادة ما توهب إلى الناس الذين لا يستحقونها"!(٤٨).

• يهود شرقيون من أجل (السلام):

إسرائيل دولة عنصرية، لا تتمثل عنصريتها في موقفها وموقف قادتها والقوى السياسية الفاعلة فيها من الشعب الفلسطيني، والعرب عموما، فقط، وإنما تتجسد بصورة أوضح ما تكون أيضا، بصورة فاضحة، في موقف الفئات الحاكمة فيها – ومعظمهم من اليهود الغربيين (الأشكناز) – من باقي فئات وقطاعات التجمع اليهودي في

إسرائيل، وبالذات يهود العالم العربي، الذين عاشوا لقـرون طويلة بين ظهرانينا، وتمتعوا على الأرض العربية بحقـوق المواطنة والمساواة والأمان، وبصورة لـم يقـدر لهـم أن يعايشوها في (وطنهم) المزعوم، إسرائيل، التي عاشوا فيهـا تحت وطأة الفقر والحرمان والنبـذ السياسـي والاجتمـاعي والاحتقار![*].

لقد أدى وضع المعاناة والتفريق، وحيـاة "مـواطني الدرجة الثانية، (في بلد يدعي الديمقراطية ويرفع شعار عدم التمييز على أساس الـدين أو الجـنس أو اللـون) بـاليهود الشرقيين إلى الانحياز لواحد من موقفين متباينين:

الموقف الأول، وقد انحازت له الأغلبية مـن هـذه النوعية، رأت في تأييدها للاتجاهـات الصـهيونية اليمينيـة (تكتل الليكود)، فرصة لتصفية الحساب التاريخي مع أحزاب الأشكنياز العمالية التي عاملتهم باحتقار، وأشعرتهم بالدونية، طوال الحقبة التي سيطرت فيها – منفردة – علـى مقاليـد

---

[*] في مقال بعنوان "لا أخت لي"، كتب "مناضل"، (حركة السلام الآن)، "أمنون "دنكيز" الأشكنازي، واصفًا اليهود الشرقيين: "لقد تركوني في القفص مع قرد مجرم ومجنون، وقالوا لي إنكما معا فلتتحاورا.. كيف لي أن أكلمـه؟! إن حقـده لا يسمح لي بذلك! [٥٠]"

الحكم، (ثلاثة عقود تقريبا)، وقد استطاعت قيادة الليكـود أن تلعب على مشاعر هذا القطاع بذكاء بـالغ، وتمكنـت مـن الاستيلاء على أصوات أعداد كبيرة من اليهود "السفارديين"، فصعدت على أكتافهم إلى سدة الحكـم، وعملـت علـى أن تدمجهم في "ماكينة" الكراهيـة للعـرب والعـداء للشـعب الفلسطيني، وتمثل قيم العنصرية والعدوانية السـافرة التـي تطفح بها سياسات الليكود في كل يوم.

واستمرار تقاليد الاحتقار الأشكنازي للسـفارديين، حالت "حركة السلام الآن" دون تطوير علاقة حقيقيـة مـع الأغلبية اليهودية الشرقية وركزت أنشطتها علـى قطاعـات اليهود الأشكناز، بل ومن الفئات الوسطى والعليـا بالـذات، "واستبعدت من خطابها جمهورا واسعا، العرب الفلسـطينيين فـي إسـرائيل والسـفرديين (الشـرقيين)، واليهـود الأرثوذكس[٤٩]"، مبررة ذلك بأنها تتحرك تبعا للدعائم الفكرية التي "تستند على أرضية صهيونية، وأنهـا تتوجـه للنخبـة اليهودية – المؤثرة في المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة"[٥٠].

وكان رد فعل اليهود الشرقيين، في هـذا السـياق، واضحا: "طالما ظل الدفاع عن حقـوق الإنسـان لا يشـمل

حقوق اليهود الشرقيين النشطين قدر شموله لحقوق الفلسطينيين المظلومين، فإن السفرديم لن يضعوا أيديهم في يد الأشكناز في النضال من أجل السلام، ولن تكون هناك مشاركة حقيقية ممكنة بينهما"[٥٢].

- ## حركة الفهود السود:

لكن هذا الموقف، في واقع الحال لا يعكس، بصورة نهائية، رفض اليهود" السفرديم" للتعاون في الصراع من أجل (السلام) داخل إسرائيل .. فلقد سبق في بداية عقد السبعينات (١٩٧١) أن ظهرت حركة نشطة وسط اليهود الشرقيين أطلق عليها اسم "الفهود السود" رفعت شعارات سياسية واجتماعية تدعو إلى تحقيق "المساواة" بين كافة فئات (الشعب) اليهودي، من جهة، ومن جهة أخرى نادت بالاعتراف بالحقوق السياسية للشعب الفلسطيني، ودخلت هذه الحركة في تحالفات تكتيكية مع عدد من الأحزاب (اليسارية) مثل "هعولام هاذيه" و"شيلي" و"راكاح"، وأوصلت بعض عناصرها إلى الكنيست، كما شاركت – بالتعاون مع "حركة السلام الآن" في مظاهرة احتجاج ضد تنامي حركة الاستيطان (يناير ١٩٨٠)[٥٣]، قبل أن تتفكك صفوفها،

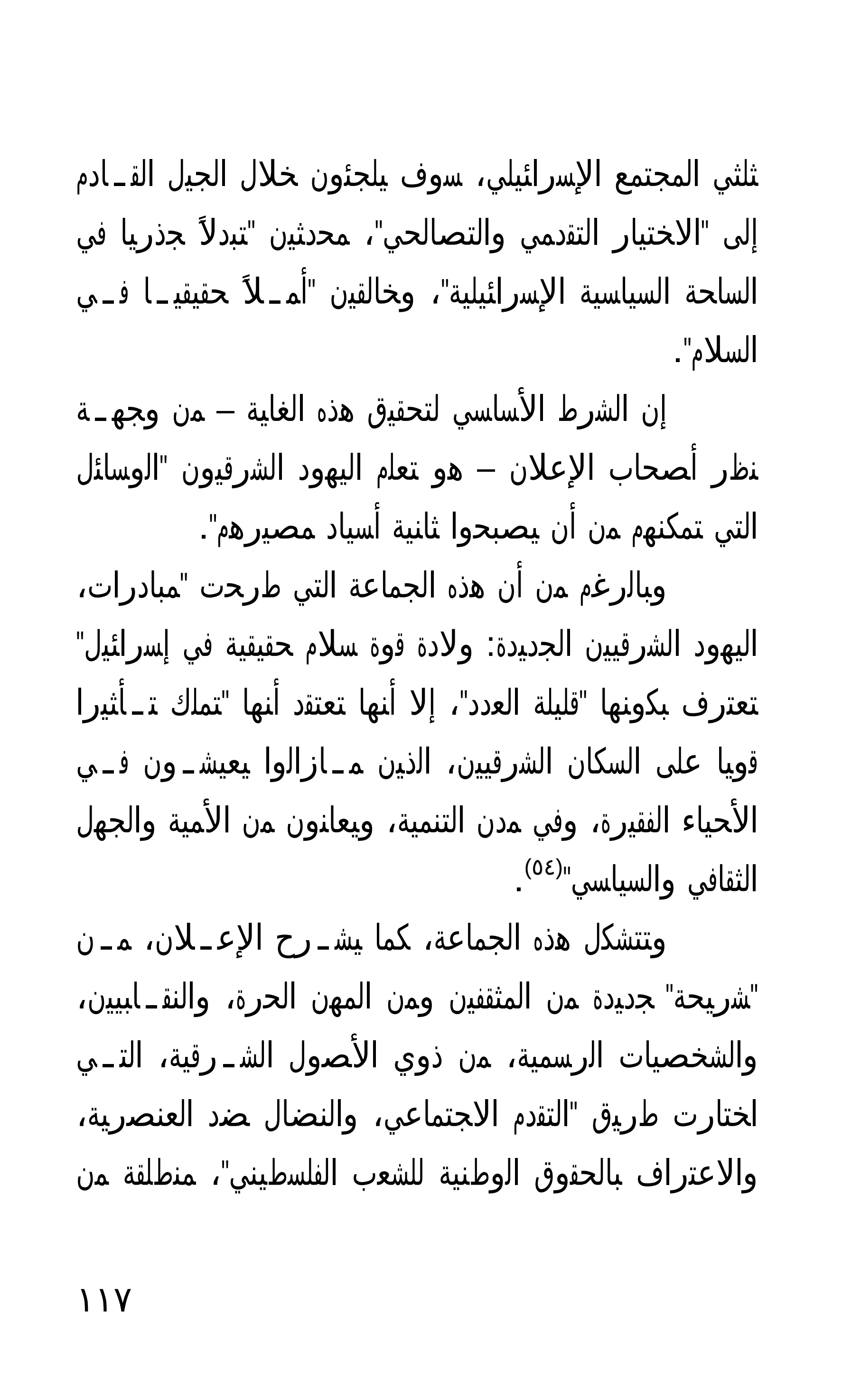
ويتلاشى نفوذها، وتنتهي وتماما، مفسحة الطريق لمجموعة أخرى من اليهود الشرقيين ذوي السمات الخاصة.

- **الموقف الثاني:**

وفيما لوحظ أن أغلب عناصـر المجموعـة التـي انحازت لليمين من اليهود الشرقيين، كانـت مـن الشـباب محدودي التعليم والثقافة، والمولود معظمهم في إسرائيل (من جيل الصابرا) لأسر عاشت فـي الـوطن العربـي سـابقًا، ومعظمهم من اليهود المغاربة، فإن قسما آخر مـن اليهـود الشرقيين، وهم في الأغلب من يهود العـراق، مثقفـين ذوي ميول (يسارية)، كانوا على صلة تاريخية بالحزب الشـيوعي العراقي ومحيطه. وقد رفضـوا الانضـواء تحـت الـلـواء العنصري لـ "الليكود"، كـذلك استشـعروا عـزلتهم عـن الأحزاب (اليسارية) الصـهيونية، فـدفعوا باتجـاه إعـلان مبادرات (سلامية) جديدة، جسدوها في ما أطلق عليه "مبادرة اليهود الشرقيين الجديدة"، المعلن عنها فـي منتصـف عـام ١٩٨٦.

• واقع بائس لـ "يهود الشرق" في (الوطن) الجديد!:

في مقدمة "إعلان المبادرات"، الكراس المعنون بـ "ولادة قوة سلام حقيقية في إسرائيل"، يرصد مصدروه واقع اليهود الشرقيين في إسرائيل اليوم، بوصفهم "طبقة اجتماعية مستغَلة ومكبلة في المجتمع الإسرائيلي حيث يعانون "ليس فقط من الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي، بل كذلك من التفرقة العرقية، والتي تمس حتى الذين تمكنوا فيهم من رفع مستواهم الاقتصادي"، ويرى الإعلان – في مقدمته – أن اليهود الشرقيين "يمرون اليوم بمرحلة حاسمة من تطور وعيهم السياسي بعد جيل كامل من الضياع الأيديولوجي، ضمن مجتمع أسس على مبدأ سيادة المثال الغربي، وهو مثال لم تستطع غالبيتهم السيطرة لا على قوانينه ولا على مضمونه" وأن هذا الوضع قد واجه اليهود الشرقيين باختيار "تاريخي": "بين مساندتهم للتشكيلات اليمينية العنصرية والعدوانية؛ أو أن يجعلوا أنفسهم طليعة حاملة لمثل العدالة الاجتماعية والتصالح مع الشعب الفلسطيني"، ويتوقع الإعلان، أن أغلبية من اليهود الشرقيين، الذين يشكلون نحو



ثلثي المجتمع الإسرائيلي، سوف يلجئون خلال الجيل القـادم إلى "الاختيار التقدمي والتصالحي"، محدثين "تبدلاً جذريا في الساحة السياسية الإسرائيلية"، وخالقين "أمـلاً حقيقيـا فـي السلام".

إن الشرط الأساسي لتحقيق هذه الغاية – من وجهـة نظر أصحاب الإعلان – هو تعلم اليهود الشرقيون "الوسائل التي تمكنهم من أن يصبحوا ثانية أسياد مصيرهم".

وبالرغم من أن هذه الجماعة التي طرحت "مبادرات، اليهود الشرقيين الجديدة: ولادة قوة سلام حقيقية في إسرائيل" تعترف بكونها "قليلة العدد"، إلا أنها تعتقد أنها "تملك تـأثيرا قويا على السكان الشرقيين، الذين مـازالوا يعيشـون فـي الأحياء الفقيرة، وفي مدن التنمية، ويعانون من الأمية والجهل الثقافي والسياسي"[٥٤].

وتتشكل هذه الجماعة، كما يشـرح الإعـلان، مـن "شريحة" جديدة من المثقفين ومن المهن الحرة، والنقـابيين، والشخصيات الرسمية، من ذوي الأصول الشـرقية، التـي اختارت طريق "التقدم الاجتماعي، والنضال ضد العنصرية، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني"، منطلقة من

الرغبة لديهم في تأكيد "هويتهم الشرقية بصفتهم يهودا ينتمون إلى العالم العربي".

- **"تاريخ مشترك": نعم.. ولكن!:**

وبعد هذه الديباجة، يعمد الكتيب / الإعلان، إلى تقديم تحليل سياسي/ تاريخي/ اجتماعي، لرؤيـة هـذا "التجمـع"، أو تلك "الشريحة" على حد وصفهم لأنفسهم، لواقع العلاقـات التي تربط اليهود الشرقيين بالفلسطينيين، ويمكن تلخيص هذه الرؤية في النقاط التالية:

١- الصورة التبسيطية، السائدة، المرسـومة لليهـودي الشرقي باعتباره متعطشًا للدماء وعنصريا ومساندا للاتجاهات اليمينية والفاشية، فـي مقابـل صـورة اليهـودي الغربـي، الأشـكنازي، "المسـتنير"، الديمقراطي، المحب للسلام "صورة غير صحيحة، وتحوي مضامين خاطئة، ذلك أنه "منذ وصول أول مستوطنين صهيونيين إلى فلسطين، وحتى يومنـا هذا"، فإن "كل قرارات الحرب والطرد، وانتـزاع ملكية الأراضي، والقمـع الـذي مـورس علـى الفلسطينيين. كل هذه الأعمال خططهـا وقررهـا

اليهود الأشكناز، وليس اليهود الشـرقيين"؛ حيـث "يسيطر الأشكناز على كل مراكز السـلطة، مـن أقصى اليسار إلـى أقصـى اليمـين: الحكومـة، والأحزاب السياسية والنقابات، والوكالـة اليهوديـة الجيش، والصحافة ووسائل الإعـلام، والبنـوك والقطاعات الصناعية الكبـرى". ووجـود اليهـود الشرقيين في هذه القطاعات يمثـل "أقليـة نـادرة" وبروز بعض وجوه هذه الأقلية – مثل دافيد ليفـي (الليكود) أو شارل بيتون (الجبهة الديمقراطيـة) – هدفه، وهو الاستثناء الخارج عن القاعدة العامـة، "أداء دور أن اليهود الشرقيين موجودون في هـذه الأجهزة"(٥٥) فقط أي "ذرا للرماد في العيون!" كمـا يقول المثل العربي.

٢- وطوال جيل أو أكثر، فإن اليهود الشرقيين، كـانوا ضحية تفرقة اجتماعية واقتصادية يصفها الإعـلان بأنها "حادة جدا"(٥٦) ، وكانوا كذلك "ضحية غطرسة وازدراء الحزب العمالي الحاكم الذي كان يعتبرهم متخلفين، صالحين للعمل اليدوية فحسب"، "وليكونوا

سـورا بشـريا علـى الحـدود. ولقـد وصـفهم بن جوريون مثلاً في صحيفته بأنهم "غبـار مـن الرجال"، كما يشـبههم اليـوم الصـحفي الشـهير والعضو الهام في حركة "السـلام الآن"، "أحنـون دوكنر"، بالقردة!"

وبالنسبة لليهودي الشرقي، "الذي بدأ يكتسب وعيـه خلال أوائل السبعينات بأن سبب معاناته كان ذلـك الحـزب العمالي، مما جعل التصويت الضخم نسبيا لصـالح الليكـود سنة ١٩٧٧"؛ فإن هذه الظاهرة تدل – في جوهرها – علـى "رغبة اليهود الشرقيين في طرد "المعـراج" المنـافق لأنـه يتظاهر بالاشتراكية واليسارية، في حين أنه في الحقيقة ممثل أرباب العمل والاستغلاليين".. لكن هذا الأمر، لا يعني اقتناع الجماهير الشرقية بنظريات الليكود "الوطنية المتطرفة"، بـل "يعكس رفضهم لسيطرة المعراج"، ويـدل علـى ذلـك، أن تصويت اليهود الشرقيين الكبير لصالح الليكود عامي ١٩٧٧، ١٩٨١ "ابتدأ بالانخفاض سنة ١٩٨٤"[٥٧].

ويلمس التحليل نقطة غاية في الأهمية، إذ يرى أن ما يصفه بـ "حقد الشرقيين القوي جدا" على "المعراج"، يجعـل

من غير المتوقع احتمال عودتهم للتصويت لصالح الحـزب العمالي(*)، كذلك فإن الذين صوتوا فـي الماضـي لصـالح الليكود ثم اكتشفوا أنه ليس هناك فارقًا كبيـرا بينـه وبـين "المعراج"، لن يتوجهوا سـوى لـ "الحركـات السياسـية الصغرى التي لا تتعامل البتة مع المعراج" فهم لن يلتحقـوا بـ "المبام" أو "راتز" أو "السلام الآن"، لقربها من "المعراج"، وإنما سيتوجهون إلى "الأحزاب الديماجوجية" مثـل حـزب "كهانا"، "الذي يدعي أنه قد "فهم الشرقيين" أو الأحزاب التـي تطرح "إعادة تقويم الهوية الشرقية"، مثل حزب "شاس"، وهو ما يفسر فوزه الكبير بأربعة مقاعد نيابيـة، فـي انتخابـات ١٩٨٤، فور إعلان تأسيسه[٥٨].

ويلحظ التحليل أن معظم مؤيدي "كاهانا" الشـرقيين، من صغار السن، المنتمين، إلى أكثر العائلات فقرا، وأغلبهم من العاطلين والجانحين والأميين، بينما معظم مؤيديـه مـن الأشكناز هم في غالبيتهم من المهاجرين[٥٩] الأثريـاء مـن الولايات المتحدة، أو المهاجرين من الاتحاد السوفيتي ورجال

(*) قال د. شلومو الباز، في ندوة "من أجل تجديـد الحركـة العماليـة"، ١٢/٢٧/ ١٩٨٤: "اليسار الصهيوني بالنسبة لـ إسرائيل الثانية"، (اليهود الشرقيون)، عبـارة عن عصابة من الأشكيناز الراضين عن أنفسهم"!.

الدين المتطرفين، وهؤلاء – كما يقول "الإعلان" – "ليسوا من المخدوعين بالحجج الديماجوجية، لكنهم يشـاطرون قيـادتهم آراءها وأهدافها الفاشية"[(٦٠)].

ويرجع "الإعلان" ما يصفه بـ "الأفكار الديماجوجية" المناهضة للعرب، والسبب في أنها تجـد لـدى "الجمـاهير الشرقية" آذانًا مصغية، إلى عدة عوامل موضوعية، أهمها:

أ- على المستوى الاقتصادي، يمثل العمال الفلسطينيين احتياطيا لأرباب العمل الإسرائيلي، يستخدمونه فـي مواقع العمال الإسرائيليين، الذين يتم طردهم أثنـاء الأزمات الاقتصادية، نظرا لرخص سـعر الأيـدي العاملة الفلسطينية، ولهـذا.. "تلقـى الديماجوجيـة المناهضة للفلسطينيين آذانًا مصغية في "مدن التنمية" مثل "بردهام" حيث ارتفع معدل البطالة بين السـكان الشرقيين إلى حدود ٨٠% في أوائل ١٩٨٦"[(٦١)].

ب- وعلى المستوى الجغرافـي: تـم توجيـه اليهـود الشرقيين منذ الخمسينات إلى مناطق الحدود، وإلـى أحياء القدس الموجودة على خطوط التماس الساخنة، وبما أن كل هذه المواقع المعزولـة أو المعرضـة

للخطر لا تحظى بحماية مجدية، فقد كانت عرضـة لصواريخ ورصاص القناصة الفلسطينيين، أكثر من غيرها من المواقع، "مما جعل المـدنيين الشـرقيين يعتبـرون أنفسـهم الضـحايا الأساسـيين للعنـف الفلسطيني، مما يجعلهم – أكثـر مـن غيـرهم – عرضة للاقتناع بالنظريات المعاديـة للفلسـطينيين التي يروج لها اليمين والأجهزة الحاكمة"[٦٢].

ت- أما على المستوى التاريخي: فيرصد الإعلان أربعة أسباب غيرت الأوضاع التي عاش فيها اليهود، في "أرض الإسلام"، خلال أجيال متتالية فـي "انسـجام نسبي"، جعلهم لا يعانون من الاضطهادات" المعادية للسامية"، مثلما كان الحال في أوروبا، وهذه الأسباب هي:

١- قدم الاستعمار الأوروبي لليهود في العديد من البلـدان عدة امتيازات جعلت المسـلمين يعتبـرون اليهـود خونـة وعملاء.

٢- ساهم استعمال الإسلام، في بعض البلدان، كأداة فعالـة لمحاربة الاستعمار، في فصل اليهود عن بقية السكان.

٣- أثار الاستيطان الإسرائيلي على أرض الفلسطينيين، في الشعوب العربية المساندة للشعب الفلسطيني، شعورا عدوانيا إزاء المواطنين اليهود، وانتشـرت دعايـات تقضـي بـأن المواطنين اليهود حلفاء الصهيونية الطبيعيون.

٤- بعد انتزاع الاستقلال في بعض الدول العربية، لجـأت بعض الأنظمة الرجعية إلى قمع اليهود بحجة أن العديد مـن مثقفيهم التحقوا بالأحزاب الشيوعية، وخاصة فـي العـراق ومصر، وبدرجة أدنى في أفريقيا الشمالية"(٦٣).

وبعد هذا التحليل الذي يلقي أضواء "كاشـفة" علـى أوضاع "اليهود الشرقيين"، وتاريخهم في العالم العربي، ينتقل الإعلان إلى طرح ثلاث مبادرات (سلامية) هي على النحـو التالي:-

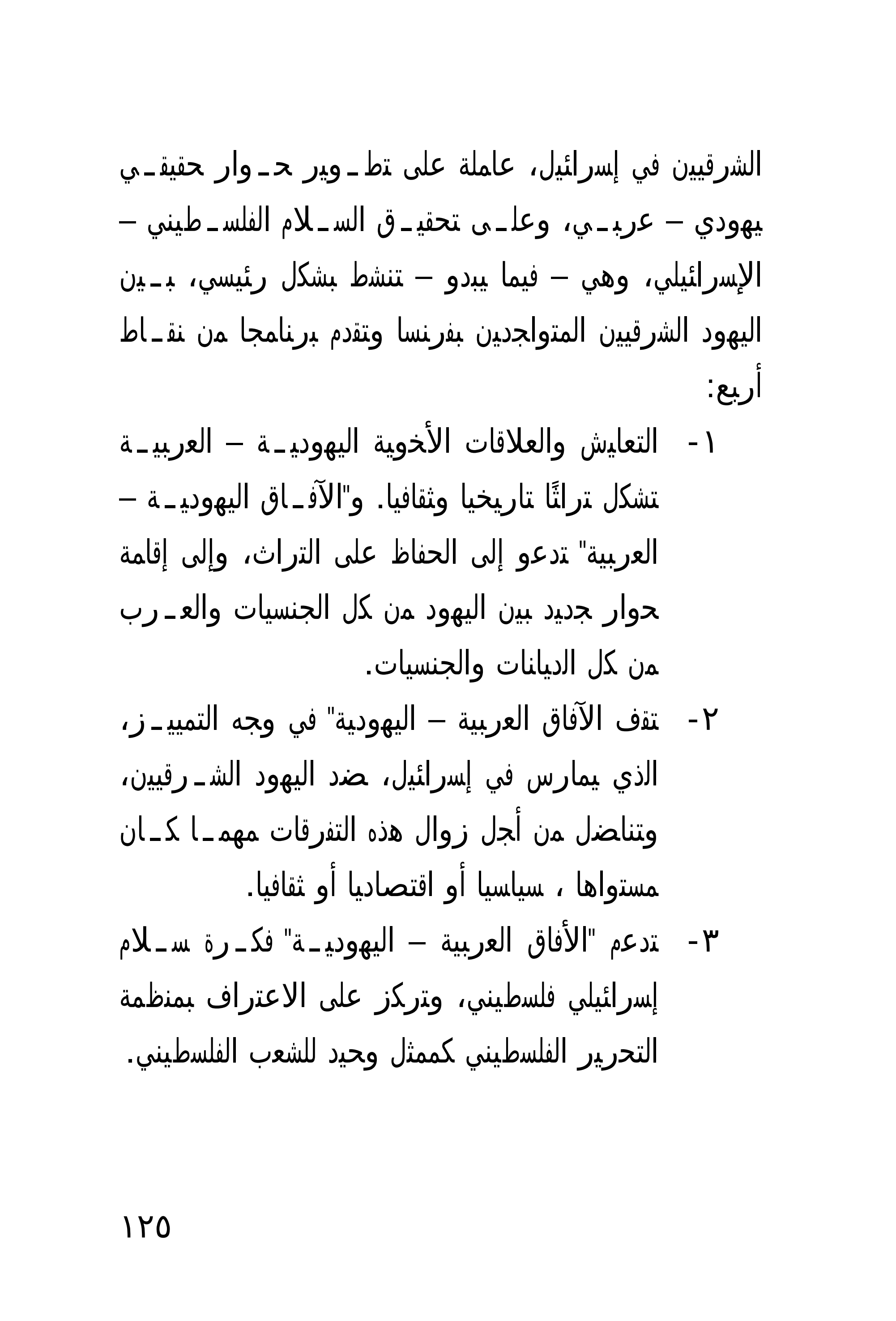
أ- "البرنامج السياسي لـ "آفاق يهودية – عربية".

ب- "بعث الجبهة الشرقية".

ت- "اللجنة الشرقية للحوار الإسرائيلي الفلسطيني".

أ- البرنامج السياسي لـ "آفاق يهودية – عربية":

تعرف "الآفاق اليهودية – العربية" نفسها باعتبارهـا جمعية تجمع حول نفسها "أولئك الذين يدعمون قضية اليهود



الشرقيين في إسرائيل، عاملة على تطوير حوار حقيقي يهودي – عربي، وعلى تحقيق السلام الفلسطيني – الإسرائيلي، وهي – فيما يبدو – تنشط بشكل رئيسي، بين اليهود الشرقيين المتواجدين بفرنسا وتقدم برنامجا من نقاط أربع:

١- التعايش والعلاقات الأخوية اليهودية – العربية تشكل تراثًا تاريخيا وثقافيا. و"الآفاق اليهودية – العربية" تدعو إلى الحفاظ على التراث، وإلى إقامة حوار جديد بين اليهود من كل الجنسيات والعرب من كل الديانات والجنسيات.

٢- تقف الآفاق العربية – اليهودية" في وجه التمييز، الذي يمارس في إسرائيل، ضد اليهود الشرقيين، وتناضل من أجل زوال هذه التفرقات مهما كان مستواها ، سياسيا أو اقتصاديا أو ثقافيا.

٣- تدعم "الأفاق العربية – اليهودية" فكرة سلام إسرائيلي فلسطيني، وتركز على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطيني كممثل وحيد للشعب الفلسطيني.

٤- وعلى الساحة الفرنسية، تدعم الآفـاق اليهوديـة – العربية" حق التباين لكـل الطوائـف المهـاجرة، والمناضلة ضد العنصرية بكافة أشكالها(٦٤).

ب- إعلان "بعث الجبهة الشرقية":

يبدأ الإعلان بآية من "سفر التكوين" تقول: "وخلق ا الإنسان على صورته، وفي ديباجة الإعلان، يقول الموقعون عليه أنهم "يهود شرقيون، قد عقدوا العزم على تدوين هـذه الآية على راية نضالهم، بهدف تطهير المجتمع الإسـرائيلي من آثار الرجس العنصري"، لأن العنصـرية "بمثابـة آفـة تتغذى بالجهل وتنعم به، كما أنها تشوه الفكر وتقضي علـى المنطق، وتلطخ النفس وتحجر القلوب".

ويقول الإعلان إن اليهود الشرقيين قد دفعوا ثمن هذا من لحمهم ودمهم فقد كانوا ومـازالوا "ضـحايا العنصـرية وفريسة للأحكام المسبقة"، ولكن رغم الحـروب والبغضـاء فإنهم لم يفقدوا الإيمان" بأننا وإخواننا العرب نشـكل شـعوبا عملت على تطوير ثقافتها هنا في الشرق"، ولذا "فإننا نتوجه بأنظارنا نحو مستقبل يسوده السـلام والمسـاواة، والتجديـد الثقافي والتقدم العلمي في إسرائيل وكل المشرق".

وبهذه الروح، يتوجه "إعلان بعث الجبهة الشـرقية" "إلى إخواننا الشرقيين" بهدف دعوتهم للانضمام إلى الجبهة، من أجل "تنظيم تجمع شعبي واسع، حتى نرسم جميعا الطرق الرئيسية للنضال ضد العنصرية"

وينتهي الإعلان بتوقيعات عديدة منها: فيكي شـيران (المتحدثة السابقة لحزب تامي)، كوخافي شـيميش (عضـو مؤسس لحركة الفهود السود)، يميني بن دورور (صحافي)، حاييين جانبكي باجابو (سكرتير _ برلماني).. إلخ[٥٦].

جـ - إعلان "اللجنـة الشـرقية للحـوار الإسـرائيلي – الفلسطيني":

هذا الإعلان – النداء، الذي نشرته ١٣ جريدة ومجلة إسرائيلية وعربية، منها "نيو أوت لوك" و"معـاريف" و"عـل همشمار" و"هـآرتس" و"جيـروزاليم بوسـت"، و"القـدس" و"الاتحاد".. وغيرها، وقعه مائـة مثقـف وفاعـل سياسـي واجتماعي، إسرائيلي، من أصـول شـرقية، بعضـهم مـن الموقعين على بيان "بعث الجبهـة الشـرقية" مثـل "يمينـي بن دورور" و"فيكي شيران" و"كوخـافي شـيميش"، وعلـى

رأسهم جميعا البروفيسور المشهور "ساسون سوميخ" صاحب الترجمات والدراسات المعروفة عن أدب "نجيب محفوظ".

ينص الإعلان على أن:

"نحن الموقعون أدناه، مجموعـة مـن المـواطنين الإسرائيليين، أبناء الطوائف الشرقية، قلقون لوضع الشـعبين اليهودي والفلسطيني، في أرضهما المشتركة، أرض إسرائيل – فلسطين .

نعترف بحقهما غير القابل للتصـرف (ثابـت) فـي العيش بسلام، كل شعب في ظل سيادته.

إنه من واجبنا الإسهام في النضال، في إسرائيل، من أجل السلام والديمقراطية. وإننا ندعو إلى:

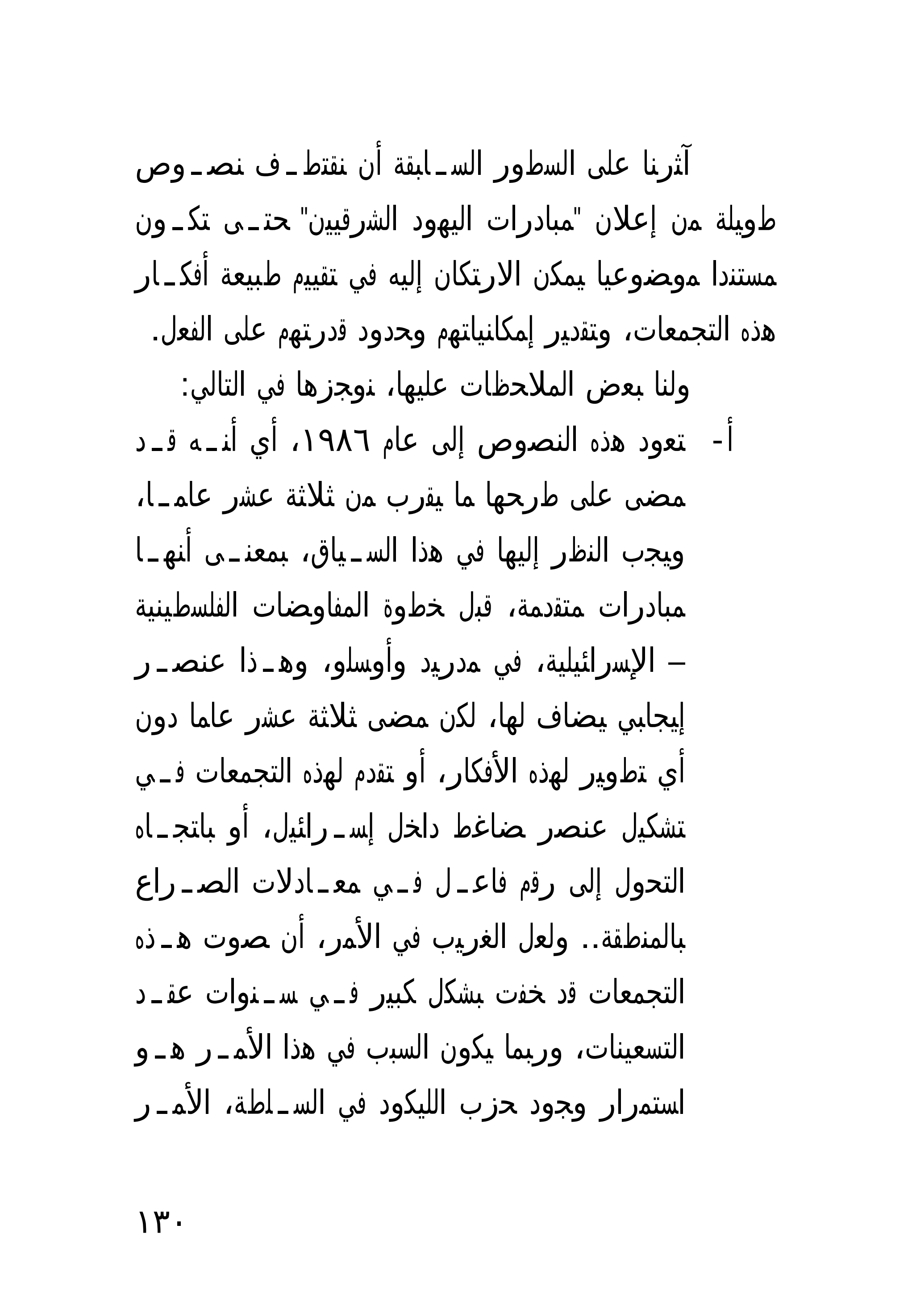
١- النضال الدءوب ضد كافة أشكال التمييز القـومي والطائفي (الإثني) في إسرائيل من أجل التعـايش السلمي، وقهر العنصرية التي تهدد وجودنا. وإننـا نرفض بشدة التعميم اللئيم، الذي يزعم أن اليهـود الشرقيين "يكرهون العرب"، خاصـة وأن قيـادات المعسكر القومي – الشوفيني في إسرائيل ليسـت من يهود الشرق.

وأن لليهود الشرقيين المقدرة والرغبة في بناء جسر بين العالم العربي والمجتمع الإسـرائيلي، وتجديـد الإبـداع الثقافي المشترك الذي تعود جذوره لمئات السنين، كخطـوة نحو اندماجنا في المنطقة.

٢- النضال الدءوب لتحقيق اتفاق سـلام يضـع حـدا للدمار والمعاناة وسفك الدماء، ونـدعو الطـرفين للبدء الفوري بمفاوضات سياسـية علـى أسـاس الاعتراف المتبادل بحـق الشـعبين فـي تقريـر مصيرهما. فهذا الاتفاق في حالة التوصـل إليـه، سيضمن مستقبلاً من الرخاء والازدهـار لشـعبنا ولشعوب المنطقة.

٣- العمل الجاد من أجل تعزيز وتعميق الحوار بـين الإسرائيليين والفلسطينيين المعنيين بتطوير وتنمية الوعي بالسلام[٦٦].

• مبادرات "اليهود الشـرقيين" مـن أجـل "السلام": نحو تقييم موضوعي:



آثرنا على السطور السابقة أن نقتطف نصوص طويلة من إعلان "مبادرات اليهود الشرقيين" حتى تكون مستندا موضوعيا يمكن الارتكان إليه في تقييم طبيعة أفكار هذه التجمعات، وتقدير إمكانياتهم وحدود قدرتهم على الفعل.

ولنا بعض الملاحظات عليها، نوجزها في التالي:

أ- تعود هذه النصوص إلى عام ١٩٨٦، أي أنه قد مضى على طرحها ما يقرب من ثلاثة عشر عاما، ويجب النظر إليها في هذا السياق، بمعنى أنها مبادرات متقدمة، قبل خطوة المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية، في مدريد وأوسلو، وهذا عنصر إيجابي يضاف لها، لكن مضى ثلاثة عشر عاما دون أي تطوير لهذه الأفكار، أو تقدم لهذه التجمعات في تشكيل عنصر ضاغط داخل إسرائيل، أو باتجاه التحول إلى رقم فاعل في معادلات الصراع بالمنطقة.. ولعل الغريب في الأمر، أن صوت هذه التجمعات قد خفت بشكل كبير في سنوات عقد التسعينات، وربما يكون السبب في هذا الأمر هو استمرار وجود حزب الليكود في السلطة، الأمر

الذي حيد قطاعات متعاظمة من "يهود الشرق" وكبل حركة مثل هذه التجمعات (السلامية) وسطها، ولعله مما يدعم هذا التصور أن نقرأ ما جاء على لسـان "أحد مثقفي (اليهود العـرب)، فـي تفسـير هـذه الظاهرة:

"... المشكلة أن الجيل الجديد من اليهود، من أصول عربية، لا يعلم التاريخ الحقيقي لأجداده الذين عاشوا بكرامة وعزة في بلادهم العربية قبل قيام دولة إسرائيل، المشكلة أن إسرائيل – الدولة – نجحت في إقناعهم بأن التاريخ اليهودي الوحيد المعتبر، هو التاريخ اليهودي الأشكينازي في أوروبا، وبأنهم، اليهود من أصل عربي، وجدوا في المنطقة العربيـة بدون تاريخ".

وبمعنى أكثر تحديدا، فإن الجيل القـديم مـن يهـود البلدان العربية قد انقرض أو أوشك على الانقـراض، فيمـا الجيل الجديد لا يشعر بانتمائه لهذه البقعة من العـالم وإنمـا يعتبر نفسه غريبا عنها أو بلا جذور، ومن كان هذا حالة فلا يمكن أن يعول على دعمه.

ب- تنطلق أغلب هذه المبادرات من "مواقـع أخلاقيـة" "الإخوة اليهودية – العربية".. إلخ، متجاهلة الأهـم والأكثر عمقًا، دون أن تمسه بكلمة أو تشـير إليـه باتهام، وهو جوهر الفكـر الصـهيوني التوسـعي العدواني الاستيطاني. فلا يكفي إدانة بعـض نتـائج هذا الجوهر – كالعنصرية – حتى نبرئ أنفسنا من هذا الأمر، ولا يكفي التعاون فـي النضـال ضـد المظاهر الثانوية، والأعراض الجانبية، دون مواجهة السرطان الرئيسي الذي ينهش في الجسد العربـي، وهو الصهيونية.

ت- تنهض هذه المبادرات – نتيجة لما أشرنا إليه سـابقًا – من واقع أن دولة إسرائيل القوية باقية، دون أدنى تحديد لحدودها النهائية، أو الموقف من الأراضـي العربية المحتلة، أو كيفية حل القضية الفلسـطينية، فالحديث عـن "الأرض المشـتركة" للفلسـطينيين، واليهود، لا يعني – في ظل موازين القوى الحاليـة وشروط التسوية الراهنة – أكثر مما هـو حـادث الآن.. كما تتجاهل إعلانـات هـذه "المبـادرات"،

الإشارة – بأي صورة من الصور – لترسانة الدمار الشامل التي تملكها إسرائيل – وفي مقدمتها الأسلحة النووية – الأمر الذي يقطع بأن أي تسوية مقترحـة ستكون تحت الهيمنة المطلقة لإسرائيل.

ث- يتحدث الإعلان عن الإخوة التاريخية بين الشـعبين "العربي"، و"اليهودي" وفي هـذا الوضـع مغالطـة كبرى.

فلم يكن اليهود في أي لحظة تاريخية، أثناء حيـاتهم في الوطن العربي، شعبا مستقلاً محدد الملامح، وإنما كـانوا طائفة أو تجمعا دينيا منتشرا في أنحاء العالم العربي، فهنـاك اليهودي اليمني، أو المغربي، أو العراقـي، أو المصـري.. إلخ، والإيحاء بأنهم – على مر التاريخ – كانوا شعبا مميـزا داخل (المنطقة) أمر له دلالاته السياسية غير الخافية.

ويرتبط بهذا الأمر أن هذه المبادرات، على صـحة الكثير مما تضمنت، لم تشر ولا مرة واحدة، إلـى "الـوطن العربي" باعتباره كتلة بشرية حضارية تاريخيـة مترابطـة، وإنما كان الحديث يتم دوما عن "المنطقة"، باعتبارها "أفقًـا" بديلاً.

هـ - لم تشر هذه المبادرات، بأي صورة من الصور، إلـى طبيعة ودور إسرائيل فـي العـالم العربـي، ولا ارتباطهـا التاريخي بالاستعمار الغربي وأساسا البريطاني، ولا دورهـا ككلاب حراسة للمصالح الإمبريالية – وبالذات الأمريكيـة – في وطننا، ولا للعلاقة الخاصة التـي تربطهـا بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وخصوصـا فـي إطـار"التحـالف الاستراتيجي" الذي كان قد أعلن عنه آنذاك.

• "يهود الشرق": دور مشكوك فيه!:

هذه الملاحظات لا تقلل من القيمة الموضوعية لأهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه "اليهود الشـرقيون" فـي تحديـد مستقبل الدولة الصهيونية، وطبيعة العلاقة مع العرب.

غير أنه من الواضح – بعد مرور هذا الوقت الطويـل – (نحو ١٣ عاما) حتى الآن، أن حركة "اليهود الشـرقيين" المعارضة لجموع المتطرفين الإسرائيليين العنصريين، سواء كانوا من حزب العمل أو الليكود، أضـعف مـن أن يعـول عليها، أو يستند إليها، في تقرير سياسات استراتيجية تتعلـق بالصراع الدموي الدائر على أرض وطننـا، فـي مواجهـة الاستيطان والعدوان وتصعيد التوتر، والتهديـد الإسـرائيلي

الدائم بالحرب؛ ليس هذا وحسب، بل يبدو أن عكس ذلك هو ما يحدث على أرض الواقع، فالاتجاهات اليمينية والعنصرية والمتطرفة استطاعت أن تستقطب الأجيال الجديدة من "اليهود الشرق"، وانهارت كل مبادراتهم وتبددت آثارها، في منـاخ المنطقة التي تندفع بقوة – لا يمكن السيطرة عليها – وبفعـل تطرف وعنصرية الدولة الصهيونية، نحو الهاوية.

• مستقبل العلاقـة مـع "حركـة السـلام الإسرائيلية:

"سلام الحثالة" .. لا "سلام العدل والحرية":

حاولنا في الدراسة السابقة أن نتتبع، بتفصيل نسـبي، ظاهرة "حركة السلام الإسرائيلية"، وأطروحاتها، وتبايناتهـا، وتاريخها، وبرنامج نشاطها السياسي، وتناقضاتها، ومواقفهـا الاستراتيجية والتكتيكية حتى يمكننا صياغة "نظرية" صحيحة لتقييم عملها، وتحديد الأسلوب الأمثل للتعاطي معها؛ وللرد – أيضا – على ادعاءات ومزاعم (دعاة السـلام)، المصـريين والعرب، الذين يرجون لهذه الحركة، باعتبارها نقطة تحـول

استراتيجي في الصراع العربي – الصـهيوني، أو عنصـر تطور نوعي في تاريخي القضية.

• فوضى واتهامات!:

يصف "يوري أفنيري" وضع "حركات السـلام الإسـرائيلية" الآن، بأنه يشكل "حالة من الفوضى" بينما تتصاعد الاتهامات بين أطرافها، فتتهم "حركة السلام الآن"، "كتلة السلام"، بأنها "حركة غير واقعية وغير مؤثرة"، وتسـتخدم "تهمـة ضـد الصهيونية" الخطيرة لكي تضعضع بنيان هذه الكتلة، في حين تشن "كتلة السلام" حملة على "حركة السلام الآن" متهمة إياها بالاعتدال والتحفظ، وتنتقد حركة "كل الجيل يريـد السـلام" باعتبارها تقوم بعمل "لا يؤدي إلى نتيجة"؛ ولا يحتاج الأمـر لمزيد من توضيح مدى التأثيرات السلبية التـي تـنجم عـن التراشق بالتهم بين الفئات (السلامية) الإسرائيلية، وانعكاسات ذلك على وضعها وقدراتها العملية.

• حقيقة "الحمائم"!:

وفي الوقت الذي تتصـاعد فيـه ممارسـات اليمـين العنصري بزعامة "بنيامين نتنياهو" وأركان حزب الليكـود،

يغيب تماما صوت (دعاة السلام) الإسرائيليين، وإذا حضروا فلكي يكرروا – مع تباين طفيف في الشكل – نفس ادعاءات ومواقف اليمين.. ولننظر إلى رأي "د. إدوارد سـعيد" فـي واحد من رموز "حركة السلام" الإسرائيلية الشهيرة. يقول "د. سعيد" إن "المتحمسين لكوبنهاجن" وعملية السـلام يحتفـون كثيرا بأشخاص مثل "يوسي بيلين" الذي اعتبـر دومـا مـن "الحمائم" وحليفًا للفلسطينيين.. لكنني بعـدما سـمعته السـنة الماضية، في "واشنطن" يدافع عن مجزرة "قانا"، لست مـن المقتنعين بهذا الرأي ويشير "إدوارد سعيد" إلى الاتفاق الذي عقده داعية (السلام)، "يوسي بيلين" مع ممثل الليكـود فـي الكنيست" وينص على عدم إزالة المستوطنات وعدم العـودة إلى حدود ١٩٦٧، وعدم قيام الدولة الفلسطينية (بل مجـرد كيان منزوع السلاح)، وبقاء وادي الأردن ضـمن المنطقـة الأمنية الإسرائيلية، وصرح بيلين عن ذلـك فـي صـحيفة "هآرتس"، في ٢٨ مارس ١٩٩٧، عندما توقع قيـام "كيـان فلسطين"، منزوع السلاح، بسيادة محـدودة، مقابـل القـدس الموحدة بكاملها"!!.. بل كان أكثر وضـوحا فـي منـاظرة تلفزيونية بثت في ١٧ مارس ١٩٩٧: "أنا من المؤيدين للبناء

في كل مكان من القدس، بما في ذلك إقامة "هار حوما"، لأن هذا من حقنا.. لكنها مسألة توقيت تكتيكي.. لقد قمنا (حكومة إسحق رابين) بتوسيع المستوطنات بنسـبة ٥٠% وبأعمـال البناء في "يهودا والسامرة"، لكننا تصرفنا بهدوء وحكمة.

أما أنتم (حكومة نتنياهو)، فإنكم تعلنون نيـاتكم كـل صباح، وتخيفون الفلسطينيين، وتحولون القـدس، كعاصـمة موحدة لإسرائيل – وهو ما يتفق عليه كل الإسرائيليين – إلى موضوع للجدل على الصعيد العالمي. الأمر الرئيسـي هـو الحصول على قبول الفلسطينيين بأن القدس عاصمة إسرائيل.

مرة ثانية: غايات الدعاة المزيفين للسلام في إسرائيل، الأنبياء الكذبة الجدد، هي ذات غايـات اليمـين العنصـري الفاشي، لكن الفرق هو في الإخراج، في الترويج، في الشكل لا المضمون!!..

- **... و"عمى أخلاقي":**

وها هي "هيلينا كوبان"، الكاتبة البريطانية، قد وضعت يدها على الجرح: "العمى الأخلاقي" الذي أصـاب عناصـر "حركة السلام" الإسرائيلية فجعل الحاجة إلى السلام، بالنسبة لهم، "تقتصر على مصالح إسرائيل، فيما لا يعتبرون الطرف

الآخر أخًا في الإنسانية، له مصالحه وتطلعاته التي لا تقـل شرعية عن مصالح إسرائيل وتطلعاتها!"[٦٨].

وهذا " العمى الأخلاقي"، في واقع الحال، هو المفاهيم الأيديولوجية العميقة الكامنة في بنية الفكر الصهيوني، والتي تبرر الغزو والاحتلال والقمع والإرهـاب، والتـي بـدون التخلص – نهائيا – منها، لن يكون هناك من يملـك الجـرأة لكن يزعم أنه من (أنصار السلام) وستظل حركـة أنصـار السلام: الآن، أو غدا، تخبو وتضمحل وتتلاشى.. مثلما هـو الواقع، في هذه الآونة، إذ بينما يبدو خطر الحرب محلقًا في سماوات المنطقة، لا نسمع حسا، ولا نرى حركة لـ "حركة السلام الإسرائيلية"... إنها لم تعد موجودة تقريبا"، كما يقـول أحد المراقبين" مع أن "الحرب قاب قوسين أو أدنى، والأعمى وحده لا يرى هذا الخطر"، على حد تعبيـر زعـيم حـزب العمل، "أيهود باراك"[٦٩].

وفيما يهدد "نتنياهو" بأن جيش إسـرائيل "لـن يقـف مكتوف الأيدي"[٧٠] في مواجهة تطـوير إيـران لصـواريخ باليستية، مؤكدا، دون لبس، على أن إعلان ياسـر عرفـات للدولة الفلسطينية [فيما لو صدق في تهديداتـه، فـي مـايو

١٩٩٩] سيعقبه اجتياح صهيوني عسكري للضفة الغربية، يصرخ أحد الصحفيين: "يشكل هذا المستقبل المظلم، مادة يومية" في وسائل الإعلام، فما هو رد فعل العامة؟!: لا شيء إطلاقًا.. كما لو أن الأمر يتعلق بتغيرات الطقس!!"[٧١].

• الركل في "المؤخرة !!":

لا "العامة" معنيين بدعاوى (السلام) أو مهتمين باحتمالات الحرب.

ولا "الخاصة" قادرين على الحركة أو راغبين فيها!

"نتنياهو"، وحزبه، وتحالفه مع القوى الدينية المتطرفة، وحركة المستوطنات الفاشية، يمضي قدما..

و"إرئيل شارون"، سفاح لبنان.. يعين وزيرا للخارجية!!، فيما يشبه استعادة تاريخية لواقعة رواها "ناحوم جولدمان"، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق، في كتابه "بورتريه يهودي".

يقول "جولدمان" إن بعد نجاح مساعيه في تحقيق المصالحة الألمانية اليهودية في عام ١٩٥٤، عرض على "ديفيد بن جوريون"، [الصهيوني اليساري!]، رئيس الحكومة

الإسرائيلية في ذلك الوقت، القيام بمساعي مماثلة لدى "جمال عبد الناصر"، لتحقيق المصالحة العربية الإسرائيلية.

لكن "بن جوريون" رفض قائلاً ما فحواه: "العرب مازالوا لم ينضجوا بعد للسلام [أي لم يركعوا ويتسلموا بما فيه الكفاية!].. ولا ينفع معهم إلا الركل في المؤخرة"، أي (الضرب بالشلوت!!] [٧٢].

هذا هو منطق الصهيونية الاستعلائي العنصري، الذي لا يرى في أهل البلاد الأصليين إلا عبيدا، لا سبيل للتعامل معهم إلا بالركل في المؤخرة، على حد تعبير "بن جوريون"، (اليساري المزعوم).. أو بحشرهم "ليأكلوا بعضهم بعضا" كالخنافس السامة المحشورة في زجاجات"[*] مثلما يصفهم "رفائيل إيتان"[٧٣]..

ففي القضايا الكبرى للدولة الصهيونية: "الكل في واحد".. لا يمين ولا يسار بل عناصر عدوانية شديدة الشراسة، تكشف عن نواياها وتكشر عن أنيابها، مهما كان

---

[*] ويكمل الصورة الحاخام القاشي، "مائير كاهانا": "لا أحد يستطيع أن يفهم هذه البهائم والصراصير العربية، فإما أن تقطع حناجرهم أو نطردهم!.. أما "مناحم بيجن"، فهو القائل – خلال حصار بيروت (١٩٨٢/٧/٧): "لن يهاجم أي حيوان بقدمين (أي عربي!) أي طفل يهودي! (انظر: مبادرات اليهود الشرقيين الجديدة"، ص:٤٧).

المعسكر الذي تنتمي إليه، أو الفكر الذي تزعم الانتساب إليه، وأيا كان الوضع العربي، وكيفما كانـت طبيعـة الظـروف والأنظمة الحاكمة والمزاج الجماهيري العام، وإلا.. فلمـاذا كما يقول الكاتب الفلسطيني "نظير مجلي": عندما أصـبحت كل الحكومات العربية حركات سلام مع إسرائيل... غابـت حركات السلام الإسرائيلية عن الساحة تقريبا!!"(٧٤).

- **"طعم " السلام!:**

لقد ابتلع العرب، والفلسطينيون في مقـدمتهم، طعـم (السلام) المسمم، لكن الإسرائيليين كانوا مقتنعين بأنـه "أداة تكتيكية" ذكية لا ضرر منها ولا خسارة، وفي ظـل رايـات السلام الوهمي، تم فرض "أمر واقع شديد الخطـورة علـى الأرض الفلسطينية المحتلة، تمثل في مضاعفة سرعة عملية الاستيطان الصهيوني المحموم التي أبادت المعالم وغيـرت الجغرافيا، وبـدلت مظـاهر الحيـاة، وفرضـت متغيـرا "ديموجرافيا" جديدا في المناطق الاستراتيجية، وبالذات فـي مدينة "القدس"، التي كشفت شـبكة " .C.N.N الإخباريـة الأمريكية مؤخرا، أن نسبة السكان اليهود في القسم الشـرقي منها، كان لدى احتلال إسرائيل لهـا فـي حـرب ١٩٦٧،

صفرا، إلا أن هذه النسبة ارتفعت إلـى ٤٠% فـي الوقـت الراهن.

وقد أدى هذا الوضع إلى أن أصبحت نسبة اليهود فـي مجمل مدينة القدس بشقيها، الغربية والشـرقية، ٧٠%، فـي حين تضاءلت نسبة السكان العرب إلى ٣٠% فقط!![٧٥].

وفي نفس الوقت أشار استطلاع للرأي نشرته جريـدة "معاريف" الصهيونية إلى أن نحو ثلثي الإسرائيليين "يؤيدون طرد الفلسطينيين إلى الدول العربيـة، إذا كانـت إسـرائيل لا تتعرض – بسبب ذلك – إلى إدانة دولية!!"[٧٦].

وقد رحب "رحبعام زئيفي"، زعيم حـزب "موليـديت" الفاشي، وصاحب فلسفة "الترانسفير" (طـرد الفلسـطينيين) بنتائج الاستفتاء.

وقال: "لقد أدرك الإسرائيليون أن من المستحيل العيش بسلام في دولة ذات قوميتين، وأن الحل الوحيد هو الفصـل بينهما (... بين العرب واليهود)، أي الترحيل!!"[٧٧].

• جريمة "المسالمين" العرب!:

وإلى أن يتم هذا الأمر المبيت له، يتزايـد الحصـار المضروب على الشعب الفلسطيني في مناطق الحكم الـذاتي،

التي تحولت إلى سجن كبير بلا نهاية ولا أمل وحيث تحـول الفلسطينيون، في ظله، إلى "أسرى حرب لدى إسرائيل" على حد وصف "نعوم تشومسكي"، ويضرب نتنياهو – في ظـل الصمت والتواطؤ من (اليسار)، و(دعاة السلام)، يوميا، بكل القيم والمواثيق والاتفاقيات، عرض الحائط، فيمـا لا يملـك عرب "الصلح" و(السلام) الضالعون في عملية التسوية سوى "انتظار رصاصة الرحمة لإعلان وفاة السلام!"!.

وفي ظل هذه الوضعية البائسة، فـإن دور المثقفـين المصريين والعرب، الذين يروجون لـ ـ "ثقافـة السـلام"، ويتاجرون بجمعيات "الصداقة" مع إسرائيل، ويجترئون على تجاوز الإرادة الشعبية بإدانة "التطبيع" مع العدو الصـهيوني، يرتكبون جريمة كبـرى فـي حـق وطـنهم ومصـالحه، ولا يخدمون سوى المصالح والسياسات العنصـرية للدولـة الصهيونية.

• "التجربة!" .. والخطأ !:

إن فيصل الحوراني، الكاتب الفلسطيني، الذي يعـرف نفسه باعتباره: "صاحب تجربة تنوعت فشـملت اتصـالات مباشرة وأخرى غير مباشرة، شخصـية ورسـمية، فرديـة

وجماعية، مع إسرائيليين من أطياف سياسية وثقافية شتى، قد تنبه إلى هذا المنزلق الخطر، وقدم حصاد تجربته لكي يستفيد منها الآخرون، وهذا هو مضمونها: "إن مؤيدي حزب العمل أو حزب الليكود، من المثقفين الإسرائيليين، لا يشغلهم هاجس التطبيع مع المثقفين الفلسطينيين والعرب الآخرين، إلا بمقدار ما يسهم التطبيع في حمل الطرف الفلسطيني (والعربي طبعا: ملحوظة شخصية) على تقديم مزيد من التنازلات، وتحريـر الطرف الإسرائيلي من الحرج، ومنتقدو الحكومات، هـؤلاء الذين يتحسسون مضار التعنت الإسرائيلي، معنيون في المقام الأول بتوسيع الاتصالات مع المؤثرين فـي الـرأي العـام العربي، بأمل الاتفاق معهم على تسويات توازي التسـويات التي تمليها إسـرائيل؛ وفـي المحصـلة يلتقـي الفريقـان الإسرائيليان في مجال الضغط على الطـرف أو الأطـراف العربية، والفارق أن أحد الطرفين يعمد إلى استخدام وسـائل ضغط فظة، فيما يتوفى الآخر الضغط بوسائل لائقة"(٧٨).

انتهى كلام "فيصل حوراني" الذي لا يحتـاج لأدنـى تعليق!

خـاتمة

تشكلت "حركة السلام الإسرائيلية" كرد فعل للتطورات المتصاعدة، والأحداث، والوقائع المتـواترة، علـى سـاحة الصراع بين العرب (الذين لا زالوا – مهمـا كـان حجـم التحديات والإغراءات والتسويات) يرفضون فـي مجملهـم، الوجود الصهيوني الاستيطاني على أرضهم، وبين الصهيونية التي نجحت في انتزاع الدولة، لكنها فشلت – بعد قرن مـن بداية المشروع، وخمسين عاما من تأسـيس الدولـة – فـي انتزاع قبول الجماهير العربية بوجودها.

وقد مرت حركات السلام في إسرائيل، وفي مقدمتها ما سمي بـ "حركة السلام الآن"، بـثلاث ذرى أساسـية فـي مسارها:

الأولى: خلال الفترة ١٩٧٨ – ١٩٧٩، بعـد زيـارة السادات للقدس المحتلة، فـي أعقـاب توقيـع مـع النظـام المصري.

والثانية: خلال عامي ١٩٨٢ – ١٩٨٣، بتقدم أنشـطة الاحتجاج على الغزو الصهيوني – بالقوة المسلحة – للبنان، واحتلالها موقع الصدارة.

والثالثة: خلال عام ١٩٨٨ – ١٩٨٩ ، مـع بـدايات الدعوة للاعتراف بـ "حق تقريـر المصـير" للفلسـطينيين، والتقدم في مسار التسوية الإسرائيلية – العربية، التي انتهت بتوقيع "اتفاقية أوسلو" بين إسـرائيل و م.ت.ف. ثـم خفـت صوت حركات السلام الإسرائيلية، حتى كاد أن يندثر، بعـد عشر سنوات من آخر ذرى نشاطها.

وفي كل هذه المراحل، فقد حملـت حركـات السـلام الإسرائيلية، وبالذات "حركة السلام الآن"، بذور أزمتها، تمثل ذلك في "مشاكل بنيوية" عديدة، أبرزها، على حد توصـيف "دان ليون"،: "تركيبة قيادتها ومؤيـديها، الـذين يتـألفون – بدرجة أساسية من الأشكيناز، والفئة الوسـطى، وفشـلها – إجمالاً. في اجتذاب اليهود الشرقيين والقطاعات المحرومـة اقتصاديا من السكان، من البلدات الجديدة، أو من القطاعـات الأكثر فقرا في المدن الكبيرة، بالإضافة إلى المهاجرين مـن الاتحاد السوفيتي السابق"(٧٩).

لقد منعتها هذه الأوضاع الحاكمة من الخـروج إلـى رحابة العمل الجماهيري الواسـع، فظلـت سـجينة "جيتـو النخبة"، وحالت دون تجذرها في الواقع، بحيث ظلت، حسبما

قال أحد مؤسسيها، "تسالي ريشيف"، مجرد "مزاج وليسـت حركة"[٨٠]؛ هذا المزاج الذي يفتقد في الوقت الحاضر – على حد تعبير "دان ليون" – "الثقة والرحية الكفاحية اللتين مكنتاها – في السابق – مـن اسـتقطاب مئـات آلاف الأشـخاص، وتحفيزهم للنزول إلى الشارع"[٨١].

ويضيف "دان" أنه بالرغم من كون "خطر تفجر أعمال عنف وحرب جديدة لم يختف، وعلى رغـم تـدني صـدقية نتنياهو داخل إسرائيل وخارجها، فإنـه يحـتفظ بسـيطرته كرئيس وزراء منتخب على رأس حكومة يمينيـة – دينيـة، تمضي قدما في إزالة كل آمال السلام ".. فإنه لا يوجـد مـا يشير على دور لحركة السلام، ويقدم محاولة لتفسير أسـباب "المأزق" الذي تعانيه الحركة حاليا في عجز حزب العمـل، وزعيمه الجديد، "أيهود باراك" عن تقديم "بديل سياسي" ممكن للنظام الحالي.. "فإذا كان زعيم المعارضة يتعهد أيضا، فـي سياق ما يبديه من رغبة في إرضاء الجميع، أن يحتفظ بكـل المستوطنات تقريبا.. يطرح إذن السؤال: لماذا ينبغي للمـرء أن يلجأ إلى التغيير في منتصف الطريق، إذا كان الطرفـان متماثلين إلى هذا الحد!!؟"[٨٢].

وهو ما يعني، باختصار، أن أغلب ألوان الطيف فـي الأحزاب السياسية الإسرائيلية متشابهة، ولا يختلـف يمينهـا عـن يسـارها، إلا فـي مرونـة التكتيكـات، مـع ثبـات الاستراتيجية.

• سلام "حثالة" !!:

أما "يهود العرب"، أو "اليهود الشـرقيين" أو "اليهـود السفارديم" فالواقع يثبت للأسف – عجزهم عن التبلور فـي تيار سياسي حقيقي، قادر، ومؤثر يكون أساسا لـ ـ "حركـة سلام" حقيقة، ترفض الصهيونية، وهيمنتها، وتعمـل علـى تغيير البنية العنصرية العدوانية الفاشية للدولة الإسـرائيلية، وتتبنى خطة منهجية لنزع أسلحة الدمار الشامل، وتفتح السبل أمام حل موضوعي للصراع، لا "تسويات" مؤقتة، تحمل في جوهرها بذور التفجر، وأسباب الانقـلاب عليهـا.. وتهيـئ الوضع لبناء سلام حقيقي يكون مدخل لازدهار الوطن، بكل طوائفه ومعتقداته، بما فيها اليهودية والمنتمين إليها، كـ دين، لا كأيديولوجيـة سياسـية عنصـرية كمـا تجسـدها فـي "الصهيونية".

- **السلام حلم "جميل..**

أما (السلام) الآن!! فمجـرد وهـم، وزع، وبضـاعة فاسدة!

على حائط كبير، في فيلم تسجيلي عرض مساء يـوم ١٩٩٨/٩/٢٩، في التليفزيون الإسرائيلي؛ ظهـرت الجملـة التالية، مكتوبة بخط عريض ضخم:

"إنه سلام حثالة!!"

"سلام حثالة".. نعم. وليس كما نحلم جميعـا.. بسـلام للعدل والحرية!..

هوامش الفصل الثاني

(١) جريدة الأهرام، ١٩٩٤/١١/١٢.

(٢) د. إيمان حمدي، "معسكر السلام الصهيوني: اتجاهات الثنائية القومية والتقسيم في الحيـاة السياسـية الإسـرائيلية (١٩٢٥ – ١٩٩٦)"؛ معهد الدراسات والبحوث العربية، القـاهرة، ١٩٧٠، ص: ١٦٤.

(٣) ليلى سليم القاضـي، "المنظمـة الاشـتراكية الإسرائيلية، (ماتسـبن)"، منظمـة التحريـر الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، تمـوز (يوليو)١٩٧١، ص ٣٠.

(٤) آدم كلـر، "الأيـام الرهيبـة: الانقسـامات الاجتماعية والمفارقات السياسية داخل الكيان الصهيوني"، دار الحمراء للطباعة والنشـر، بيروت، ١٩٩١، ص: ١٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٤١.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه، ص: ١٤٢.

(٩) المصدر نفسه، ص: ١٤٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص: ١٤٨- ١٤٩.

(١١) المصدر نفسه، ص: ١٦١.

(١٢) المصدر نفسه، ص: ١٦٩.

(١٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٤.

(١٤) المصدر نفسه، ص: ١٥٢.

(١٥) المصدر نفسه، ص: ١٥٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص: ١٥٧.

(١٧) المصدر نفسه، ص: ١٥٤.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) جعفر هادي حسن، "عوامل سياسية وإعلامية وراء تهميش منظمات السلام (في إسرائيل)"، جريدة الحياة، لندن، ١٩٩٨/٦/١٣.

(٢٠) دان ليون ،"حركة السلام الإسرائيلي: نقـاط البداية والتنوع.. والمأزق الـراهن"، جريـدة الحياة، لندن، ١٩٩٨/٦/١٣.

(٢١) آدم كلار، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦٤.

(22) Amos Oz Israel, Palestine and peace; Essays, London, Vintage Books, 1994, p. 124. مذكورة فـي "إيمـان حمـدي"، مصدر سبق ذكره، ص: ١٧٨.

(٢٣) إيمان حمدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٨.

(٢٤) الإذاعة الإسرائيلية، ١٩٩٨/٩/١٤.

(٢٥) جريدة الحياة، لندن، ١٩٩٨/٩/١٥.

(٢٦) آدم كار، مصدر سبق ذكره، ص: ١٤٥.

(٢٧) إيمان حمدي، مصدر سبق ذكره، ص، ص: ١٦٦ – ١٦٧.

(٢٨)المصدر نفسه، ص ١٦٧.

(29) Peace Now, ", Newoutlook, Nov – Dec 1980, "p. 52. Ideological workshop.

مذكورة في إيمان حمدي مصدر سـبق ذكـره ص: ١٨٣.

Mourice (30) shutamit Aloni, "Because of that kiss", Yadiot Goldberg, Bartura, (London), Vintage Books, 1991, pp- 220-221.

مذكورة في إيمان حمدي مصدر سبق ذكره ص:

(35)Amos of, "To stopping Dying and start living", New outlook, Nov – Dec 1991, p. 11.

(٣٦) جريدة "عل همشار" الإسرائيلية، ١٩٩٤/٥/٢٠.

(37) Amos of "From battles to Bridges", the Jerusalem Post", 3/9/1993.

(38) Yehoshaft harleabi, "Israel's Fateful Hour", New York, rarper and Row publishers, 1988, p. 197.

مذكورة في إيمان حمدي، مصدر سبق ذكره، ص:

(39) Edy Kaufman, "The Intifada and the peace Camp in Israel, American Prespective" Jornal of palertinian studies, Vol: 17-4, Summer 1988, Issue 68, p. 76.

المصادر ٢٩ – ٣٩ مستمدة من: د. إيمان يحيى – مرجـع سبق ذكره.

(٤٠) انظر إيمان حمدي، مصدر سـبق ذكـره، ص، ص: ١٧٩ – ١٨١.

Henery roserfeld, "A challenge in peace Now", New outlook, Feb. 1989, p. 15.

مذكورة في إيمان حمدي، ص:

(٤١) إيمان حمدي مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٣.

(٤٢) إيمان حمدي، مصدر سبق ذكره، ص:

(٤٣) إدوارد سعيد، "تاريخ قديم.. ديمقراطية جديدة"، جريدة الحياة، لندن، ١٩٩٨/٥/٢٦.

(٤٤) ملحق جريدة "هآرتس" الإسرائيلية، ١٩٩٥/١٠/٢٧.

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) يهودا كونبل، في "حوار شريموت ونيكودا"، شريموت، العدد ٢/١٢٦ (١٩٩٤) ص، ص: ٧ – ١٤، أزرييل أرييل: "هل كانت طريقة أجودا صـحيحة"؟! نيكـودا، العـدد ١٧٥ (١٩٤٤)، ويوري إليزار: "عن الخطيئة التي لـم نرتكبهـا"، نيكودا، العدد ١٨٠ (١٩٩٤)، ص: ٢٥.

مذكورة في: ليلة ويبسبرود، "الهوية الإسرائيلية تمر بمرحلة انتقال"،

Israel Affairs, Vol. No. 374, Spring/ Summer 1997.

(٤٧) مذكورة في: هيلينا كوبـان، "مـرة ثانيـة".. رسـالة أصدقائي في معسكر السلام الآن"، جريدة "الحيـاة"، لنـدن، ١٩٩٨/٦/١٨.

(٤٨) جعفر حسن، "عوامل سياسية وإعلامية وراء تهمـيش منظمات السلام"، جريدة "الحياة"، لندن، ١٩٩٨/٦/١٣.

(٤٩) إيمان حمدي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.

(٥٠) "مبادرات اليهود الشرقيين" الجديدة: ولادة قوة سـلام حقيقية في إسرائيل"، صادر في بـاريس، تمـوز (يوليـو)، ١٩٨٦، بدون دار نشر، ص: ٤٧.

(٥١) إيمان حمدي، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٨.

(52) Victor cygielman, "unansuered Questions, Refle- Ctions on the Tikkun Confereuce", Newoutlook, June – July – August, 1991, P. 12.

(٥٣) إيمان حمدي، مصدر سـبق ذكـره، ص: ٢٠٠ ص: ٢٠٤.

(٥٤) "مبادرات اليهود الشرقيين الجديدة"، مصدر سبق ذكره، ص، ص: ٥ – ٦.

(٥٥) المصدر نفسه، ص: ٧.

(٥٦) المصدر نفسه، ص: ٨.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) المصدر نفسه، ص: ٩.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦١) المصدر نفسه، ص: ١٠.

(٦٢) المصدر نفسه.

(٦٣) المصدر نفسه، ص: ١١.

(٦٤) المصدر نفسه، ص: ١٧.

(٦٥) المصدر نفسه، ص: ٢٢.

(٦٦) المصدر نفسه، ص: ١٩.

(٦٧) إدوارد سعيد، "مثقفو كوبنهاجن.. ونقـاش مسـتمر"، جريدة الحياة، لندن، ١٩٩٧/٥/٧.

(٦٨) أوري سافير، "إعادة قراءة تاريخ"، جريـدة "الحيـاة"، لندن، ١٩٩٨/٦/٢٦.

(٦٩) جريدة "الحياة"، لندن، ١٩٩٨/٩/١٥.

(٧٠) جريدة "الأهرام"، القاهرة، ١٩٩٨/٩/٢٨.

(٧١) "تقرير عن حركات السلام الإسرائيلية"، مترجم عـن الفرنسية في مجلة معلومات دولية"، مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، السنة السادسة، العـدد ٥٧، صيف ١٩٩٨، ص، ص: ٢١٩ – ٢١٥.

(٧٢) مذكورة في الصالح بوليد، "ما التفسير العقلاني لموقف حكام إسرائيل من السلام العربـي الإسـرائيلي؟!"، جريـدة "الحياة"، لندن، ١٩٩٨/٤/٢٥.

(٧٣) محمود صميدة، "استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب"، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، أبو ظبـي، ص، ص: ٤ – ٥.

(٧٤) مجلة اليسار، القاهرة، العدد ١٠٢، أغسطس ١٩٩٨.

(٧٥) جريدة "الأهرام"، القاهرة، ١٩٩٨/٩/٢١.

(٧٦) جريدة "الحياة"، لندن، ١٩٩٨/٩/٢١.

(٧٧) المصدر نفسه.

(٧٨) فيصل حوراني، "وجهة نظر في مسألة الحـوار مـع إسرائيليين"، جريدة "الحياة": لندن، ١٩٩٨/٩/٩.

(٧٩) دان ليون، "حركة السلام الإسرائيلية: نقـاط البدايـة والتنوع.. والمـأزق الـراهن"، جريـدة "الحيـاة"، لنـدن، ١٩٩٨/٩/٨.

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) المصدر نفسه.

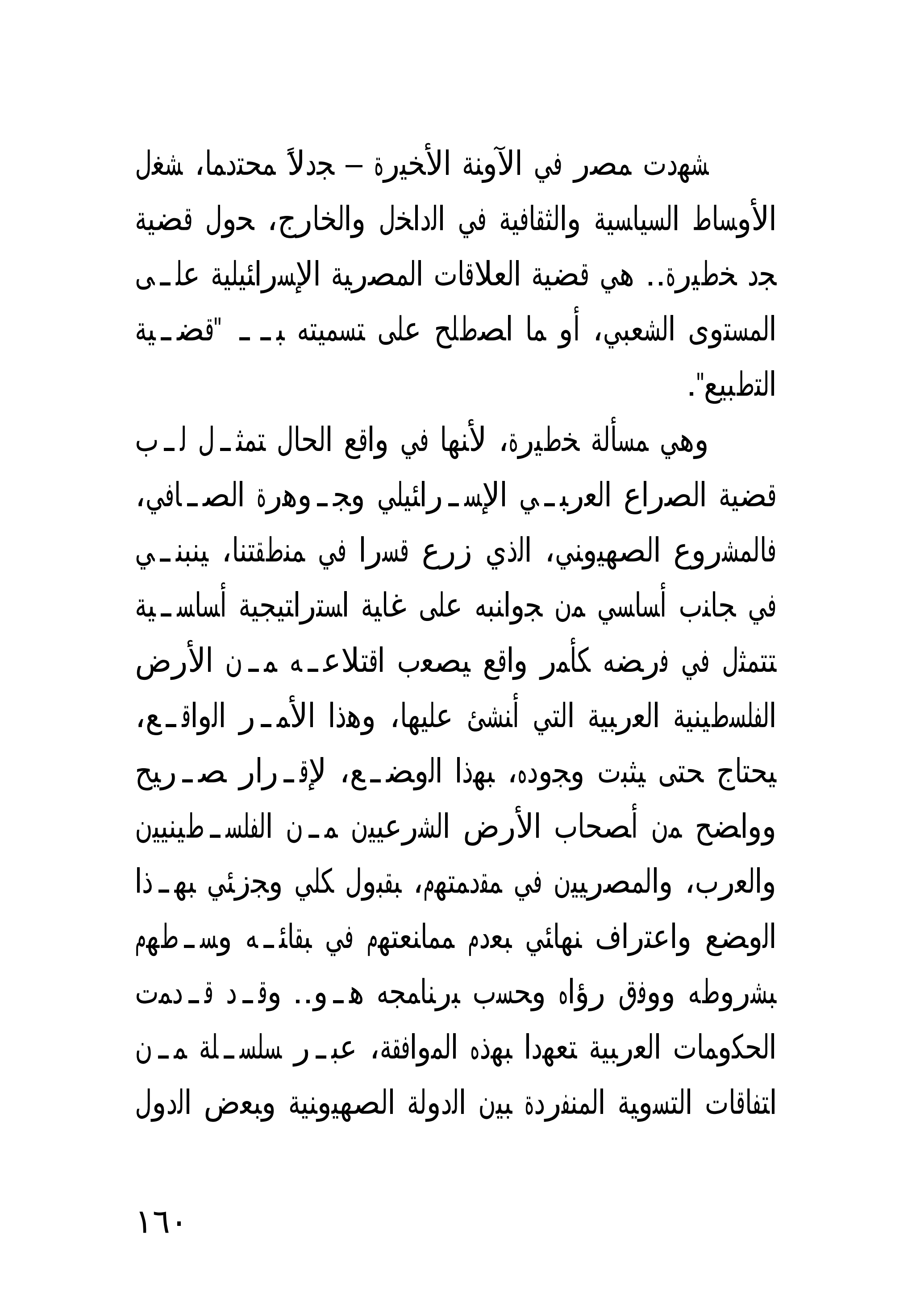
(٨٢) المصدر نفسه.

الفصل الثالث

أكذوبة "حركة السلام الإسرائيلية

مناقشة مقالات "أسامة خالد"

جريدة "الأخبار" القاهرية



شهدت مصر في الآونة الأخيرة – جدلاً محتدما، شغل الأوساط السياسية والثقافية في الداخل والخارج، حول قضية جد خطيرة.. هي قضية العلاقات المصرية الإسرائيلية على المستوى الشعبي، أو ما اصطلح على تسميته بـ "قضية التطبيع".

وهي مسألة خطيرة، لأنها في واقع الحال تمثل لب قضية الصراع العربي الإسرائيلي وجوهرة الصافي، فالمشروع الصهيوني، الذي زرع قسرا في منطقتنا، ينبني في جانب أساسي من جوانبه على غاية استراتيجية أساسية تتمثل في فرضه كأمر واقع يصعب اقتلاعه من الأرض الفلسطينية العربية التي أنشئ عليها، وهذا الأمر الواقع، يحتاج حتى يثبت وجوده، بهذا الوضع، لإقرار صريح وواضح من أصحاب الأرض الشرعيين من الفلسطينيين والعرب، والمصريين في مقدمتهم، بقبول كلي وجزئي بهذا الوضع واعتراف نهائي بعدم ممانعتهم في بقائه وسطهم بشروطه ووفق رؤاه وحسب برنامجه هو.. وقد قدمت الحكومات العربية تعهدا بهذه الموافقة، عبر سلسلة من اتفاقات التسوية المنفردة بين الدولة الصهيونية وبعض الدول

العربية (كل على حده) لكن إسرائيل تـدرك – وقـد عبـر سياسيوها في أكثر من مناسبة – أن هذه الاتفاقات لا تحمـل في ذاتها قيمة أكثر من قيمة الورقة المكتوبة عليهـا، وأنـه بدون "توريط" الشعوب في ضمانة هذه الاتفاقات والإقـرار بصحتها والالتزام بتطبيق بنودها، فإن أية ريح عاصفة تهب على المنطقة، وما أكثر احتمالاتها، كفيلة بـأن تـدفن هـذه الاتفاقات وتقبرها في أعماق الرمال العربية.. ومن هنا أولت إسرائيل، دائما، قضية التطبيع الشعبي، فائق اهتمامها وعظيم التفاتها، وبذلت – وتبذل – جهدها الكامل من أجل "اختراق" حائط الصد الشعبي، وخلخلة ركائزه.

ولأن إسرائيل تعرف أيضا أن الهزيمـة والانتصـار، والحروب والتسويات، يعكسها الواقع في الأفكار والضـمائر والعقول والثقافات، قبل أن تجسدها الحركة الفعلية في هيئـة خطط وبرامج وتحركات وحسـابات، فـإن الهجمـة علـى المثقفين الوطنيين المصريين بلغـت ذرى غيـر مسـبوقة، لاعتقاد الدولة الصهيونية – وهذا صحيح إلى حـد كبيـر – أنهم يلعبون دورا رائدا في فضـح ممارسـاتها والتصـدي لمؤامرتها، وإفشال تصوراتها، وهي تحملهم مسئولية عجزها

– حتى الآن – رغم مضي السنوات – عن بنـاء علاقـات حميمة بالعمق المصري، وقد اعترف – بمرارة غير خافيـة – كل السفراء والمسئولين الإسرائيليين الـذين تولـوا إدارة السفارة الإسرائيلية في مصر، وآخرهم "إلياهو ساسون"، (في كتابه ٧ سنوات في بلاد المصريين)، بعجزهم عـن تجـاوز القشرة المصرية إلى العمق، رغم كل المحاولات المسـتميتة لتحقيق هذه الغاية المرجوة.. إن حمايـة العقـل المصـري والذاكرة المصرية، والروح المصرية مـن الآثـار السـلبية للهجمة الإسرائيلية، كانت مسئولية تاريخية لمثقفيها الوطنيين، الذين مثلوا في هذه اللحظة جوهر الضمير الوطني، ودافعوا عن تراث الأمة في وجه الغزوة الصهيونية حتى النهاية.

ولأن هدف حمايـة المنجـز الحضـاري التـاريخي المصري، هو هدف كل الوطنيين المصريين الذين تصـدوا للمحاولات الصهيونية الأخيرة، كان احتشادهم القـوي فـي مواجهـة "حلـف كوبنهـاجن" ودعاتـه مـن المصـريين والإسرائيليين، وكانت حملتهم العنيفـة علـى رموزهـا، إذ استشعر الجسم الثقافي المصري خطورة ما يمثله حملة هـذه الدعوة المشبوهة على استقرار "الثوابت" الوطنيـة ورسـوخ

القناعات الاستراتيجية لديهم، ولم يكن موقفهم هذا بحال موقف من "السلام" – كفكرة إنسانية سامية – ولا دعوة للحروب التي تنبذها البشرية وتتضرر من نتائجها، وإنما – في حقيقة الأمر – كان الصراع حول مفهوم هذا السلام وشروطه وآلياته وتكتيكات تحقيقه هو جوهر الخلاف بين المعسكرين.

غير أن نقصا كبيرا قد شاب موقف الطرفين معا (مؤيدو التطبيع ومعارضوه)، يستشعره الكثيرون ويدركون مخاطره، جوهره هو قصورهما عن طرح الأساس النظري لدعاويهما سواء تلك التي تقف "مع"، أو تلك التي تقف "ضد".. وانزلاق الصراع الفكري بينهما إلى مباراة في رفع الشعارات والتنابز بالألقاب.. وقد تسبب هذا المناخ في ضياع الأفكار الرئيسية التي كان يتوجب طرحها للحوار، وأدى إلى خفوت الصوت الموضوعي والعقلاني والرشيد، الذي ينطلق من أرضية وطنية ويستهدف غايات وطنية، ويتجه إلى المؤسسات الوطنية، في مناقشاته، وجدله حول هذه القضية الحساسة.

على هذه الأرضية قرأت مقالات "أسامة خالـد" فـي جريدة الأخبار، واحترمت جهده الدءوب في محاولة تقصـي أعماق فكرته، وقدرت فيه دوافعه الوطنية الخالصـة التـي ينطلق منها وهو يطرح أفكاره بجرأة وشجاعة، وبدون لبس أو مناورة.. وهو أمر شديد الأهمية ومطلوب بإلحاح أن يـتم الحوار حولها واضحا بلا مواربة.. ما دام الغاية الوطنية هي الأساس في الأمر كله.

وبالرغم من أن "أسامة خالد" يمس "منطقة محرمة" في الصراع العربي الإسرائيلي الذي يكاد يقترب عمره الآن من القرن، دون حل، إلا أن اجتهاده في محاولة فهـم "الظـاهرة الصهيونية" المركبة، وسعيه لاسـتجلاء غوامضـها وفـك تشابكاتها المعقدة، يفرض على كل المهتمين بالقضية الوطنية مناقشة ما يطرحه من تحليلات وما يقدمه مـن اقتراحـات، بعين الاهتمام والانتباه، وهذه المهمة هي فـي المقـام الأول واجب كل وطني، أيا كان اتجاهه الفكري أو السياسي، ما دام تحركه المصالح الوطنية العليا للوطن والشعب.

من العسير، في هذه العجالة، ومن الخطـأ المنهجـي، الرد كلمة بكلمة أو فكرة بفكرة على الكثيـر الـذي طرحـه

"أسامة خالد" في المقالات العديدة المنشورة حول هذه القضية، إنما من الأفضل، في ظني تناول القضـايا الكبـرى التـي ناقشها، ومحاولة الرد عليها إجمالاً، على أنه تتبقى الحاجـة لمناقشة أفكاره تفصيلاً، ربما في مجال آخر أوسع، مستقبلاً.

وقد اخترت من جملة ما طرحه الكاتب أن أناقش ثلاث قضايا أساسية هي على النحو التالي:

(١) المفاهيم الرئيسية المغلوطة كمسألة "الأمة اليهوديـة" و"الشعب اليهودي" و"الحق التاريخي" و"الصراع بين الحقين".. إلخ.

(٢) مسألة حقيقة ما يطلق عليه "اليسـار الصـهيوني"، أو "قوى السلام في إسرائيل".

(٣) موقف "عاموس عوز" الكاتب الإسـرائيلي، الـذي استند إليه أسامة خالد في مقالاته وعـرض لآرائـه وأفكاره، حول "السلام" في سطورها.

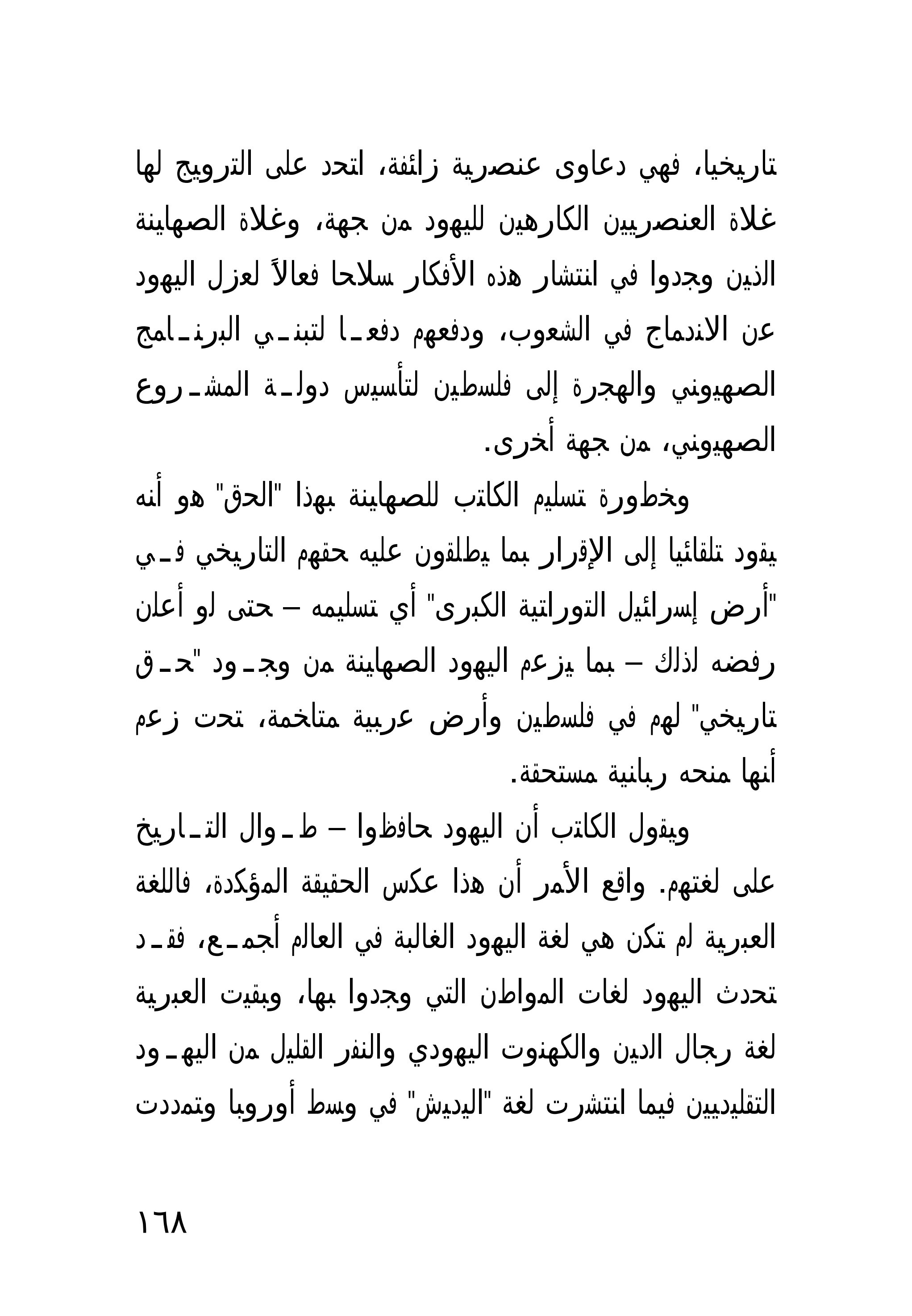
• أولاً: مفاهيم استراتيجية مغلوطة:

إن أخطر ما تضمنته مقالات "أسامة خالد" هو إقراره بأن اليهود قد حافظوا، عبر التاريخ الطويل، علـى هـويتهم "القومية وعلى لغتهم، كما أنهم لم يفقدوا الأمل في أن يعودوا

إلى (وطنهم) القديم في أرض فلسطين، وارتكازا على ما تقدم يخلص الكاتب إلى أن "لب المشكلة إذن بين العرب وإسرائيل هو سياسات النخبة الحاكمة الإسرائيلية، وليس أي سبب آخر"[1]، إن الخطأ المنهجي في هذا الطرح هو الإقرار بفكرة "الحق الزمني" للإسرائيليين في فلسطين استنادا إلى كونهم مروا عليها مرورا عابرا ذات حقبة في تاريخها الممتد، فهذا الزعم – في واقع الحال – يقوض أسس الاستقرار السياسي في العالم أجمع وهو يعطي الإمبراطوريات القديمة والمنتمين إلى الممالك البائدة الحق في المطالبة بأوطان فقدوا السيطرة عليها منذ آلاف السنين.

كما أنها فكرة غير صحيحة علميا، تدعي نقاء جنس بشري بعينه واستحقاقه لإرث تاريخي متقادم، وهي تثير العديد من التناقضات البينية داخل المنظومة الفكرية للكاتب نفسه، الذي يرفض الجماعات السياسية الأصولية (الإسلامية) ويقاوم أفكارها المتعصبة من جهة، ثم يقر – من جهة أخرى – بحق المنتمين لدين آخر في أرض يزعمون أنها منحت لهم بمقتضى تفويض إلهي، كما أن هذه الفكرة تطرح مفهوم "الأمة" والقومية وشروطهما على طاولة البحث.. فهل يكفي

أن ننتمي إلى دين واحد حتى يمكن لنا الحديث عـن قوميـة واحدة وشعب واحد.. وهل يمكن للمسلم الصـيني والمسـلم العربي مثلاً – أن يتحدثا عن أنهما يمـثلان شـعبا واحـدا، يطالب بإرثه التاريخي في ممتلكات الإمبراطورية العباسـية القديمة استنادا إلى ذلك، وهل صحيح أن اليهودي القادم مـن الولايات المتحدة أو بولندا ويهودي الحبشة (الفلاشـا) أبنـاء قومية واحدة، إن العلم والمنطق وواقع الحـال يكـذب هـذه الادعاء، بـل إن المشـهود داخـل إسـرائيل الآن تفجـر الصراعات العرقية بـين الأشـكناز والسـفارديم، أي بـين الطوائف اليهودية المختلفة، وهو صراع مرشح للتفاقم فـي المستقبل بشـكل أكبـر، ولا يجـب أن ينزلـق الوطنيـون المصريون إلى ترداد نفس المزاعم الصهيونية التـي سـعت الدعاية الصهيونية لترسيخها حول فكرة "التجانس اليهـودي" الكلي المستمر طوال التاريخ، تلك الفكرة التي تزعم وحـدة "الشعب اليهودي" الدائمة غير المنقطعة، والتي تبرز ادعاءات "تمايز" هذا "الشعب" وتفرده وبقاءه عصيا علـى الانـدماج والاختلاط محتفظًا بـ "الخصائص الجوهريـة الثابتـة" لـه والمشخصة في صورة "أمة يهوديـة" مسـتقرة الأوصـاف


تاريخيا، فهي دعاوى عنصرية زائفة، اتحد على الترويج لها غلاة العنصريين الكارهين لليهود من جهة، وغلاة الصهاينة الذين وجدوا في انتشار هذه الأفكار سلاحا فعالاً لعزل اليهود عن الاندماج في الشعوب، ودفعهم دفعـا لتبنـي البرنـامج الصهيوني والهجرة إلى فلسطين لتأسيس دولـة المشـروع الصهيوني، من جهة أخرى.

وخطورة تسليم الكاتب للصهاينة بهذا "الحق" هو أنه يقود تلقائيا إلى الإقرار بما يطلقون عليه حقهم التاريخي فـي "أرض إسرائيل التوراتية الكبرى" أي تسليمه – حتى لو أعلن رفضه لذلك – بما يزعم اليهود الصهاينة من وجـود "حـق تاريخي" لهم في فلسطين وأرض عربية متاخمة، تحت زعم أنها منحه ربانية مستحقة.

ويقول الكاتب أن اليهود حافظوا – طـوال التـاريخ على لغتهم. واقع الأمر أن هذا عكس الحقيقة المؤكدة، فاللغة العبرية لم تكن هي لغة اليهود الغالبة في العالم أجمـع، فقـد تحدث اليهود لغات المواطن التي وجدوا بها، وبقيت العبرية لغة رجال الدين والكهنوت اليهودي والنفر القليل من اليهـود التقليديين فيما انتشرت لغة "اليديش" في وسط أوروبا وتمددت

باعتبارها اللغة الأوسع انتشارا بين اليهـود فـي تجمعـاتهم الغالبة بأوروبا الشرقية، أما يهود باقي البلدان فلقـد تحـدثوا اللغات السائدة في مـواطن إقـامتهم: الإنجليزيـة لليهـود الإنجليز، والفرنسية ليهود فرنسا والعربيـة ليهـود العـالم العربي.. وهكذا، وقد قام الصهاينة بانتشال اللغـة العبريـة وأعادوا ضخ الروح فيها بعدما جعلوها اللغة الرسمية للدولة، هناك يهود كثيرون – داخل وخارج إسرائيل – لا ينطقـون بها حتى الآن.

أما الحديث عن أن مشكلتنا مع إسرائيل هو سياسات النخبة الحاكمة، فهو حديث غير علمي ولا يمس إلا السطح، فالحقيقة أن جوهر الصراع بين الدولـة الصـهيونية وبـين العرب أعمق من ذلك بكثير، وهـو يمـس طبيعـة الدولـة الإسرائيلية ودورها في خدمة المشروع الاستعماري الغربي، المبني أساسا على أيديولوجيتها المتعصـبة، والتـي ارتـأى للقائمون عليها منذ هرتزل، أنها لن تتحقـق إلا بالالتصـاق بدولة استعمارية كبرى (إنجلترا ثم أمريكا) وخدمة مصالحها، حتى تؤمن هذه الدولة لإسرائيل الناشئة الحمايـة والرعايـة وتفرضها فرضا على الوسط المعادي. وقد حـدد "هرتـزل"

بوضوح حدود هذا الدور في كتابة "الدولة اليهودية" – منذ مائة عام – باعتباره "مهمة استعمارية خالصة"، ووصف الإرهابي الصهيوني "شارون" في لقاء مع الرئيس الأمريكي الأسبق "ريجان" إسرائيل بكونها "حاملة طائرات مثالية" لخدمة المصالح الأمريكية والغربية، "كبيرة، وآمنة، وتبحر في منطقتنا، ومن على متنها يمكن الوصول إلى أي مكان، وتستطيع العمل في مختلف الأحوال الجوية، وفي مواجهة كل عاصفة محتملة!"(٢). وهذه النشأة وسمت سياسات إسرائيل منذ قيامها وحتى الآن، وحددت دورها "التاريخي" في تعويق إمكانية قيام نهضة عربية شاملة، والتصدي لأي قوة بازغة تقود المنطقة نحو الاستقلال والتقدم (مصر على سبيل المثال)، وحراسة مصالح الغرب البترولية والاستراتيجية في بلادنا، وهو دور أدته إسرائيل بكفاءة ومقدرة. ولا يتسع المجال هنا لقول الكثير مما ينبغي قوله حول هذه القضايا الهامة والواجب مناقشتها باستفاضة في مجال آخر.

- **ثانيا: أكذوبة "اليسار" و"معسكر السلام" في إسرائيل**

وكما قدمت إسرائيل نفسها للغرب (الرأسمالي) باعتبارها واحة الديمقراطية في الشرق الاستبدادي، وحارسة مصالح الغرب الرأسمالي والمدافعة عن قيمه وأفكاره في بلادنا، قدمت نفسها للشرق (الاشتراكي)، (قبل انهياره) باعتبارها مشروع تقدمي في بيئة متخلفة، وركيزة اشتراكية في عالم قبل رأسمالي، وقد لعبت الدورين ببراعة، قبل أن يكتشف الكثيرون حقيقة الخدعة (اليسارية) الزائفة ويكتشفون أن إسرائيل مشروع رأسمالي غربي التكوين والهوى والتوجهات والمطامع، بل هو كلب حراسة لمصالح الولايات المتحدة والغرب الاستعماري لا غنى عنه.

إن أساس النظرة اليسارية تنهض على أن من يضطهد أو يقبل باضطهاد شعب لا يمكن أن يكون يساريا، باعتبار أن اليسار فكر عالمي التوجه، أممي الانتماء، وإسرائيل قامت أساسا على اضطهاد أمة وطرد شعب واستغلال وطن، فكيف لذلك كله أن يتفق مع اليسار أو يتحد مع غاياته الإنسانية؟!

كما أن إسرائيل نشأت تاريخيا فـي كنـف الـدول الرأسمالية الغربية الكبرى، وتمتعت دوما برعايتها ودعمها، ولا يعقل أن تدعم الدول الاستعمارية نقيضها، أو تساند مـن يدعو لهدمها؛ وبرنامج ومسار إسرائيل التاريخي يقوضـان هذا الزعم ويؤكدان دورها المسـتمر فـي خدمـة الغـرب الرأسمالي ومصالحه.

وعودة إلى الواقع المشخص، فلنر إلى واقع القـوى السياسية التي تزعم أنها تنتمي لليسار في إسرائيل:

١- أكبر القوى التي تزيف واقعها بهذا الزعم هو حزب العمل الإسرائيلي، وهو الحزب الـذي لعـب دورا هائلاً في تأسيس الدولة الصهيونية وتثبيت أركانها، وتنفيذ مخططاتها العدوانية في بلادنا، وعلى يديـه وقعت أكبر المجازر والحـروب العدوانيـة، وهـو مخطط سياسة الالتصاق بمصالح الولايات المتحـدة والغرب الاستعماري منذ الإمبراطورية البريطانية، وهو صانع آلة الحرب الإسرائيلية الباطشة، وراعي مشروع القنبلة النووية الإسرائيلية ("حمامة" السـلام المزعومة "شمعون بيرس"، كـان أحـد المشـرفين

الرئيسيين على هذا المشروع الخطير)، وهو الـذي نفذ مجزرة "قانا" في جنـوب لبنـان قبـل صـعود "نتنياهو" إلى سدة الحكم بأيام، لكي يؤكـد أركـان حزب العمل أنهم لا يقلون دموية أو عدوانيـة عـن الليكود وأنصاره.

٢- الهستدروت: أو "الاتحاد العام للعمال الإسرائيليين"، وهو منظمة تأسست عام ١٩٢٢ ، بواسطة زعمـاء "اليسار الصهيوني" كأداة لخلق ما أطلقوا عليه اسـم "البروليتاريا اليهودية"، ويعد أكبر وأهـم دعامـات الكيان الصـهيوني الاسـتيطاني، وهـو مؤسسـة رأسمالية ضخمة يمتلـك المئـات مـن الشـركات والمصارف ومؤسسات التشـييد وبـرامج التـأمين الصحي والهيئات الاقتصادية الأخرى، وتبنيه هدف "خلق عمال وفلاحين يهود" كانـت غايتـه تحريـر الكيان الصهيوني الوليد من الاعتمـاد علـى اليـد العاملة العربية، وقد رفع شعار "العمل اليهودي فقط" تعبيرا عن توجهاته العنصرية، إذ يرفض اشـتراك العرب فيه، كما أنه تبنى، روح، ودعم كل، توجهات

السياسة الرسمية الإسرائيلية العدوانية على مدار تاريخها، وكان مشهورا أن من يسيطر على "الهستدروت" يحكم إسرائيل ومن قادته التاريخيين "بن جوريون" و"أشكول" و"لافون".. إلخ، ودورهم المعادي لنا لا يمكن تجاهله.

٣- الكيوبتزات: على الرغم من المظاهر اليسارية المرتبطة بفكرة المستوطنات الزراعية الجماعية الطوعية التي عرفت باسم الكيوبتزات، فالثابت انتماء هذه المستوطنات، التي هي منظومة شبه عسكرية بالمؤسسات الرأسمالية الإسرائيلية، إن تمويلاً أو توزيعا لحاصل إنتاجها، ولذا فهي مرتبطة بها كذلك في الأهداف الاستراتيجية.

وتدين الكيوبتزات للأحزاب "الصهيونية" الرئيسية بالفضل في وجودها، وقد لعبت دورا هاما للغاية في تثبيت المشروع الاستيطاني العدواني على أرض فلسطين، وشكلت قلاعا دفاعية حصينة في مواجهة عرب فلسطين العزل، ويمثل أعضاؤها الثقل الأساسي في بنية الجيش العدواني الصهيوني.

وكذلك استوعبت هذه المؤسسات المهاجرين من شتى بقاع الأرض إلى إسرائيل، وسعت لدمجهم في بنية المجتمـع الإسرائيلي وتوفير أسباب الاستقرار لهم، وخرج منها نخبـة من أشرس المدافعين عن المشروع الصـهيوني، والقـائمين علـى تثبيتـه بالعـدوان والقهـر فـوق الأرض العربيـة والفلسطينية.

٤- وأيضا، وعلى سبيل المثال، فهناك واحد من أبـرز من يطلق عليهم وصف "اليسار" في إسرائيل، وهـو يوري أفنيري، والذي يقدم نفسـه دائمـا باعتبـاره "حمامة" إسرائيلية، لم يجد غضاضة في أن يتبنى في كتابه "إسرائيل بدون صهيونيين" الفكرة الخادعة التي تقول بأن حرب ١٩٦٧، "حرب لم يكن يريدها أحد"، وهذا الزعم يغطي على واقع كونها حرب عدوانيـة تم التخطيط والإعداد لها بدقة وعن عمد في انتظار اللحظة المناسبة، وقد وصف "أفنيري" في الكنيسـت هذه الحرب الغاشمة باعتبارها "حربـا دفاعيـة!!"، ودافع عن "توحيد القدس"، تحت الهيمنة الصهيونية، أي ضمها إلى إسرائيل.

٥- أما الجماعات التي تطلق على نفسها اسـم "اليسـار الجديد" والتي تبرز على هامش الحيـاة السياسـية الإسرائيلية ثم تختفي، فإن دورها دائما، كما يصفها كاتب إسرائيلي، هو العمل "كنـوع مـن التجميـل اليساري للصهيونية".

٦- وبالنسبة للحزب الشيوعي الإسـرائيلي، "راكـاح"؛ فعلى الرغم من وجود عدد كبير من نشطاء العرب الفلسطينيين بين صفوفه، وبالرغم من تبنيه للعديـد من القضايا العربيـة، إلا أن مـا يضـعف موقفـه الاستراتيجي هو إقراره بإمكانيـة حـل (النـزاع) العربي الإسـرائيلي علـى أسـاس بقـاء "النظـام الصهيوني"، وهو حل غير واقعي ولا محتمل، فضلاً عن أن ضعف نفوذ "راكاح" ومحدودية نفوذه علـى عملية صنع القرار في الدولة الصـهيونية يجعلـه عاجزا عن التأثير الفعال فـي مجريـات السياسـة الرسمية في إسرائيل.

٧- ويبقى ما يطلق عليه اسـم "حركـة السـلام الآن". والحقيقة أنها لا تزيد عن كونها كيان هلامي غيـر

محدد الأبعاد والقسمات وهي جزء عضـوي مـن الكيان الإسرائيلي، تنحاز لفكرته وتدافع عن بقائـه ونقاء توجهاته، ومواقف "حركة السلام الإسـرائيلي" مائعة، لا يمكن الركون لها أو الاعتماد على ثباتها، وليس هذا رأينا وحدنا، بل هو رأي ردده العديـدون من الإسرائيليين ومن أصدقاء إسـرائيل والآملـين خيرا في قواها (السلامية).

فالكاتب الإسرائيلي "موردخاي بار – أون" – علـى سبيل المثال- في مؤلفة "السعي وراء السلام: تاريخ حركـة السلام الإسرائيلية" يدين أعضاء هذه الحركة الـذين كـانوا "يخشون أن يروا فعلاً ما يجري في الأراضي المحتلة".

ويشير بوضوح إلى أن "دوافع حركتهم إنمـا هـي "الحرص على مصالح إسرائيل الذاتية" التي يتهـددها نـزق حكام الليكود وسياساتهم الحمقاء، ويرى أن أعضاء الحركـة دعاة عنصريين يواجهون "التأثير المفسـد للاحـتلال علـى المجتمع الإسرائيلي" قبل أن يكون غايتهم تأمين حياة إنسانية للشعب الفلسطيني أو وضع للسياسات العدوانية الصهيونية".

أما الكاتبة البريطانيـة الصـديقة "لـدعاة السـلام" الإسرائيليين، "هيلينا كوبان" فتلمس "التردد القوي لدى معظم أعضاء "السلام الآن" في أن يقفوا بالكامل إلى جانب الحقوق المتساوية لكل البشر، بغض النظر عن ديانتهم أو جنسـيتهم، أو يؤيدوا الاعتراف الصادق بآثام الحركة الصهيونية ديانتهم أو جنسيتهم، أو يؤيدوا الاعتراف الصـادق بآثـام الحركـة الصهيونية في الماضي والحاضر والتعويض عنها"[٣]، وهي تصرخ في رسالة مفتوحة إلى "أصدقائي في معسكر السـلام الإسرائيلي"، على صفحات الجرائد[٤] "عليكم أن تقرروا: هل ستهتدون بمثل التعاطف ونقاوة الضمير والمساواة بين الخلق أم تقودكم السياسات الصهيونية – العمالية الضيقة، بإيمانهـا الأعمى بالتفوق؟!"، وهي ترى أن اتفاقية أوسـلو "أدت إلـى تغيير رئيسي في الوضع، وهو أن الإسرائيليين لـم يعـودوا بحاجة إلى ممارسة الاضطهاد بأنفسهم، تاركين هذا العمـل القذر لوكلاء فلسطينيين"، في حين تتبنى وصـف الصـحفي البريطاني "أيان ويليامز" للوضع الراهن، بقوله إن "ما يردده مسئولو إدارة بيل كلينتون من أن الأفضل ترك الإسرائيليين والفلسطينيين ليحلوا الخلافات بينهم بأنفسهم يشبه إغلاق باب

الغرفة على مصارع سومو ياباني هائل الحجم، مع طفل في الثانية من العمر وتركهما ليحلوا خلافاتهما!"، وهـي تـدين صمت "حركة السلام الآن" عن الكثير والكثيـر.. وتتسـاءل مستنكرة: فأي معسكر للسلام هذا؟! "إذن.. وليس من الغريب والحال هكذا أن يؤيد العديد من أبرز رمـوز "السـلام الآن" الإسرائيلية أحط ممارسات حكام إسرائيل الدموية، فهذا هـو "يوسي بيلين" أحد أبرز من يقدموا في هذا السياق يدافع عـن مجزرة "قانا"، وهو الذي وقع وثيقة مشتركة مع عضو بارز في الليكـود بالكنيسـت، تتضـمن الالتـزام بعـدم إزالـة المستوطنات وعدم العودة إلى حدود ١٩٦٧، وعدم قيام دولة فلسطينية (بل كيان منزوع السلاح ضمن المنطقـة الأمنيـة الإسرائيلية)، وهو يدافع عن بقاء القـدس الموحـدة (تحـت السيطرة الإسرائيلية بالطبع) [٥]، وفي مناظرة تليفزيونيـة[٦] أعلن بوضوح "أنا من المؤيدين للبناء في كـل مكـان فـي القدس، بما في ذلك إقامة مستوطنة هارحوما (علـى جبـل أبو غنيم)، لأن هذا من حقنا، ولكنها مسألة توقيـت وذكـاء تكتيكي"؟؟!!.. لقد قمنا (حكومة اسحق رابـين[السـلامية!])، بتوسيع المستوطنات بنسبة ٥٠ في المائة، وبأعمال البناء في

(يهودا والسامرة)، لكننا تصرفنا بهدوء وحكمـة، أمـا أنـتم (حكومة نتنياهو) فإنكم تعلنون نياتكم في كل صباح، وتخيفون الفلسطينيين، وتحولون القدس كعاصمة موحدة لإسـرائيل – وهو ما يتفق عليه كل الإسرائيليين – إلى موضوع للجـدل على الصعيد العالمي، الأمر الرئيسي هو الحصول على قبول الفلسطينيين بأن القدس عاصمة إسرائيل، ولن يكـون هنـاك اتفاق ما لم يقبلوا!"[٧].

وعلى هذا يمكن فهم لماذا صوت ثلاثة من الـوزراء الذين ينتمون إلى حزب (يساري) هو "ميريتز"، ومن كبـار دعاة "السلام الآن"، بالموافقة على إبعاد ٤٠٠ فلسطيني عـن وطنهم – بالقوة – إلى أحراش لبنان، كذلك يمكن فهم رفض قيادة حزب "ميريتز" خطة لجعل القدس عاصـمة لـدولتين، فلسطينية في قسمها الشرقي، وإسرائيلية في قسمها الغربـي، بحجة أن هذا الموقف "من شأنه أن يعزل الحزب لدى الرأي العام الإسرائيلي"، على حد تعبير النائب "يوسـي سـاريد"، رئيس الحزب[٨].

وقبل هذا كله، فإن التفكك والضعف وهشاشة البنيان، هي سمات حركة "السـلام الآن" ويعتـرف بـذلك "لطفـي

الخولي" في حوار مع مجلة "المصور" عقب "مظاهرة" هزيلة لعناصر "حاف كوبنهاجن" فوق جبل أبو غنيم، ويقر بوصف جريدة "هآرتس" القائل بأن "الذين حضروا المسيرة الاحتجاجية لجماعة كوبنهاجن على جبل أبو غنيم، كان عددا ضئيلاً، ولم يكن هناك حماس كبير، والناس لم تحضر لأن "حركة السلام الآن" تعيش أزمة حقيقية، حيث تعاني من هجرة الشباب وفوضى واضطراب التفكير" كما أن "موسى راز" سكرتير عام الحركة، اشتكى من "خروج الشباب، وعدم انتمائهم إلى الحركة وأنها بالفعل تكاد تكون مهجورة"[٩]..

وفي أبسط الأحوال فإن كل ما تقدم يجعلنا نراجع صحة الموقف الراهن على حركة السلام الآن وقوتها على التأثير في مسار السياسات الصهيونية.

• ثانيا: غايات الأدب الصهيوني ووسائله: "عاموس عوز" نموذجا

كل أدب حتى ولو بدا غير ذلك، هو أدب منحاز لأيديولوجية محددة ولمصالح ثابتة.. ويعكس – حتى ولو ادعى غير ذلك – موقفًا من الوجود والحياة وفلسفة ورؤية

للكون والإنسان، وكلما كان صاحب حرفـة الأدب محنكـًا ودربا، ممتلكًا لأدواته الفنية، كلما تخفت هـذه الانحيـازات، وخفتت حدتها وذابت في العمق، وبـدت كالغلالـة الشـفيفة الرقيقة الهائمة.. حتى لا تكاد ترصدها إلا العـين المدربـة، أو يدركها غير الذهن المجرب، أو يلمحهـا سـوى الفهـم المتعمق القارئ لما وراء السطور.

ولا تنطبق هذه القاعدة – في واقع الحال على أدب – كما تنطبق على الأدب الصهيوني.. فهو أدب منحـاز حتـى النخاع، ينطلق من تحزبات مسبقة، ويستهدف غايات محددة سلفًا.. ويدافع عن "قضية" واضحة المعالم والقسـمات: إنهـا قضية تبرير سحق شعب عربي مسالم، وإزاحته عن طريـق "البلدوزر" الاستعماري الغربي، لزرع الشـجرة الصـهيونية المسمومة في موقعه؛ وتثبيت أركان المشروع الاسـتعماري الاستيطاني الإحلالي على ترابه، وكما في كـل أدب علـى امتداد العالم كله، أحيانًا تعلوا النغمـة الخطابيـة، المباشـرة الزاعقة الممجوجة فنقرأ أدبا ركيكًا محدود التـأثير ضـئيل العائد، ويقتضي الأمر حرفية عالية، وتقذية رفيعة حتى يمكن تغليف "البضاعة" الأيديولوجية في ورق "السوليفان" اللامـع،

ولكي تصبح قادرة على لفت أنظار "الزبون" أو"ترويجهـا"، بلغة السوق لدى "العميل"!

ولا يقع أدب "عاموس عوز" خارج هـذه المعادلـة أو مناقضا لشروطها كل ما هنالك أن الكتّاب المحنكين مـن نوع "عوز" ومن هم على شاكلته، قادرين – نظرا لخبـرتهم الرفيعة بأدواتهم الفنية – على إخفـاء مضـامين أعمـالهم الحقيقية في الدهاليز الخلفية، ولفها في غطاء مخملي يخفـي حقيقة نواياها، ثقة من أن الهمس الناعم أكثر أثرا في النفوس والوجدان من الشعارات المكشوفة.. ودليل نجاح هذه الطريقة المدروسة والمضمونة، هو أن عديدا من المثقفين الكبار فـي العالم، بل وفي عالمنا العربي، يعتقد بـ "إنسـانية" أعمـال بعض رموز الأدب اليهودي، وكبـار علامـات إسـرائيل الثقافية، ونموذج لهذه النوعية من المفكرين (الإنسانيين) ذوي الحضور الكبير الفيلسوف والمفكر اليهودي المعروف "أشعيا برلين"، وقد رحل عن عالمنا في الخامس من شهر نـوفمبر ١٩٩٧.

ولد "أشعيا برلين" في روسيا ثم هجرها فـي مقتبـل عمره إلى بريطانيا ودرس في مدارسها وتخرج من جامعـة

أكسفورد التي ظل يدرس بها حتى غادر الحيـاة فـي سـن الثامنة والثمانين.

وقد أتقن "أشعيا برلين" الروسية والفرنسية والألمانية والإيطالية، إضافة إلى الإنجليزية والعبرية بـالطبع ومكنتـه معرفته الموسوعية من تحقيق مكانة مرموقـة فـي الفكـر الغربي المعاصر، وقد وصفه "د. إدوارد سـعيد"[٩] – الـذي كانت لديه معرفة شخصية بـه باعتبـاره "ألمـع محاضـر استمعت إليه بسبب وضوح أفكاره وغزارة مادتـه وجملـه الإنجليزية الرائعة"، ومع هذا فإن هذا الاسم الكبيـر الـذي اعتبره الجميع "من الدرر النادرة في الغرب" كان مصابا بـ "عمى الألوان" إزاء إسرائيل والمأساة التي صنعها وجودهـا على أرضنا، فيذكر "إدوارد سعيد" أن "النغمة الوحيدة الناشزة في برلين كانت صهيونيته المتحمسة التي لا تعرف أي شـك أو تردد، وإيمانه بإسرائيل ومساندته لها، التي ساهمت فـي شكل كبير في الصورة الإيجابية لإسرائيل وتلـك المشـاعر حولها التي اصطنعت في الغرب (...) وهو حسب أقصـى معرفتي – يقول "إدوارد سعيد" – لم ينطق بكلمة واحدة عن الفلسطينيين، ويبدو أنهم لم يكونوا في نظره أكثر من عوائق

متوقعة يمكن نسيانها تماما، وإلغاؤها من الفكر بعد إزاحتهـا عن طريق المهمة الأكبر (...) وقد أغفـل "بـرلين" تمامـا الاحتلال العسكري والمستوطنات وكل أعمال الغزو والقتـل والسلب (...) أما عن "القدس" فيقول برلين: "عليها أن تبقـى عاصمة إسرائيل".. لكن برلين لم يقتصر على تأييد إسرائيل وعدم التساؤل عن أخلاقية أعمالها في سلب وقمـع شـعب بأكمله، بل حاول منع الآخرين من القيام بـذلك، مسـتعملاً صيته ونفوذه لخنق المنشـقين وإخـراس المعارضـة!!".. ويخلص "إدوارد سعيد" إلى نتيجة هامة للغاية، وثيقة الصـلة بموضوعنا الرئيسي، فيقول أن "التناقض في كل ذلك واضح تماما: "برلين" كان شخصا مؤمنًـا بالإنصـاف والاعتـدال المتحضر في كل شيء إلا في ما يخص إسـرائيل. وكـان اندفاعه المتحمس والأعمى في هذا المجال مشـابها لسـلوك المتطرفين سواء من اليمين أو اليسار، الذين استنكر "برلين" مواقفهم دوما في كتاباته، بهذا المعنى كـان بـرلين "مثقفًـا عضويا" بالنسبة إلى إسرائيل، لصيقًا بمصالح تلـك الدولـة، خصوصا عندما يجتاح تلك المصالح اعتبـارات الإنصـاف والإنسانية، إلى درجة دفعت قراءه والمعجبين به إلى السـير

على طريقه، وإعلاء شأن إسرائيل، والتغافل عما ترتكبه من مظالم (..) تجاه شعب لم تكن جريمته سوى الوجود في أرض، حسب بلفور، لها أهمية جغرافية عظيمة إلى درجة لا يمكن تركها لرغبة وأهواء سكانها الأصليين"[(١٠)].

انتهى كلام "إدوارد سعيد" ونعود لكي نكتشف أن ما حكاه عن "أشعيا برلين" يكاد ينطبق بحذافيره على الكتّاب الإسرائيليين والصهاينة، بل والغربيين، ذوي الاتجاهات (الإنسانية) المتسقة، حيث ينعدم اتساقهم الفكري وتتبدد أمانتهم العقلية حينما يمس الموقف إسرائيل من قريب أو بعيد. وهذا الأمر بالطبع له تفسيره التاريخي والثقافي، ويمكن إدراك أبعاده الدفينة والعميقة الغور في النفسية الغربية والإسرائيلية، وهي كلها أبعاد لا ذنب فيها بحال للإنسان العربي. أو واقع حياة اليهود في المنطقة العربية، الذين عاشوا فيها – باعترافهم – أقل أشكال الاضطهاد وتمتعوا خلالها بوضعية طيبة لا يمكن تكرارها.

• سمات الأدب الصهيوني:

وفي واقع الأمر فقد كانت حرب ١٩٦٧ هي الضوء الكاشف الذي خلع أردية الزيف التي ارتداها الأدب

الصهيوني، وكشف سوءاته، وكان السؤال الهام المطروح في إثرها ما الذي جعل الأديب أو الشاعر أو المفكر الصهيوني، الذي يفترض فيه ألا يخضع سوى لنبض الحقيقـة وحـدها، يمشي مسلوب الإرادة خلف أحذية الجنود الغزاة الفـاتحين، وهم يغتصبون الأرض ويدوسون على أشلاء الأبرياء؟ وقـد عبر الأديب الإسرائيلي "موشيه شامير" عن موقـف قطـاع كبير من الأدباء الصهيونيين الذين لا يرفضون في أعمـالهم ما يحققه العمل العسكري من توسـع إقليمـي،"لأن شـامير لا يرى أن هناك أي تعارض أو تناقض بين ما يحققه الجيش الإسرائيلي انطلاقًا من النداء: "ورائـي"، وبـين دور الأدب العبري في "خلق الإحساس بالارتباط الجذري للجيل بـبلاده، دون ارتباط بحدود هذه البلاد"[11].

والمتتبع للعديد من نماذج الأدب الصهيوني سيكتشف نزعها إلى تمجيد الحرب والقتال، والتأكيد على قيمة (القوة) كعنصر رئيسي في الوجود، وقد لمس "نيكوس كزنتـزاكس" الكاتب اليوناني الأشهر، هذه النزعة لـدى اليهـود، والتـي تنعكس جلية في أدبهم وتراثهم الفكري والديني: "إن الـروح اليهودية تريد أن تقهر الأرض "تريد أن تجعل كل الشـعوب

تابعة لإيقاعها، وتريد سحق الواقع المعاصـر، لأن الأرض لا تسـتطيع أن تحتملـه: هـذه هـي خاصـيتهم المميـزة العميقة"[١٢].

إن السمة الرئيسية التي تتبدى من خلال قراءة الأدب الصهيوني هي الإجماع شبه الكلي على الحـط مـن شـأن الشخصية العربية الفلسطينية، وتسفيه تراث الإنسان العربـي والفلسطيني ومكوناته النفسية، ومقومات حضارته.. "لقد عمد اليهود إلى نزع هوية هذه الشخصية حتى يمهـدوا لفكـرتهم التي روجها الروائي الصهيوني "إسرائيل زينجويل": "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"[١٣].

فشخصية العربي الفلسـطيني فـي الأدب العبـري تجسدت في هيئة البدوي والفلاح التي وسموها بكل الصفات البدائية المكروهة، وألصقوا بهـا كافـة النعـوت الذميمـة، واستهدفت هذه الصورة ترسيخ فكرة التقدم الإسرائيلي مقابل التخلف العربي، وتأكيد دونية الفلسطيني مقابـل الشخصـية الإسرائيلية الريادية المبادرة، وتثبيت الإيحاء بـأن العربـي "مجرد مخلوق يجب التخلص منه بشكل أو بآخر"[١٤].

- **"عاموس عوز" أديبا:**

السياسة خلف الفكر، والتعصب وراء الادعاءات الإنسانية

إنني يهودي، وإسرائيلي، وصهيوني..

والصهيونية: حركة تحرر وطني!

"عاموس عوز"

ينتمي عاموس عوز إلى الجيل الخامس مـن الأدبـاء الصهاينة، الذين ولد معظمهم في فلسطين (مواليد القدس عام ١٩٣٩) وبالرغم من اتجاه بعضهم إلى نقد بعـض التقاليـد اليهودية، وحتى بعض عناصر الحركة الصهيونية ذاتها، إلا أن أعمالهم ركزت على فترة إنشاء الدولة والتحديات التـي كانت تواجه الشخصية اليهودية. على المسـتويين: النفسـي والخارجي، وقد دافع أدب هذا الجيل عن انسجام اليهودي مع الأيديولوجية الصهيونية، وحاول تقديم المبـررات لـرفض اليهود الاندماج في مجتمعات "الشتات"، ولاغتصاب الأرض الفلسطينية كذلك، ومن أبرز رمـوز هـذا الجيـل "يزهـار سميلانسكي"، و"بنيامين تموز"، و"موشيه شامير"، و"أهـارون ميجد"، و"دافيد شحر"، و"عاموس عوز"[١٥].

وقد يقول قائل أن الآخر المقصود بتحرر اليهود منه، هو هنا الأوروبي الـذي اضـطهد اليهـود – كالنـازي – وطاردهم، وهذا محض افتراء، فلم تدر رحى حرب التحرر اليهودي المزعومة على أرض أوروبا، وإنما على أرضـنا نحن.. أرض المصريين والعرب وفي مواجهتنا نحن: نحـن المصريين والعرب، بالأساس، بل إن الحركـة الصـهيونية، حينما عرض عليها – في أكثر من مناسبة – أراضٍ بديلة في أفريقيا أو أمريكا اللاتينية، رفضت هذا العرض بحسـم مـع سبق الإصرار، وتم التمسك بغاية إنشاء الوطن اليهودي على الأرض العربية الفلسطينية، وعلى حساب بشر من العـرب الفلسطينيين.. وحدهم لا غير!.

وإعلان "عوز" عن إيمانه بالصهيونية – كحركة تحرر وطني – يعني من جهة أخرى أنه من المستحيل عليه مغادرة هذا اليقين، وإلا كان كمن يقوم بفعل خيانة عظمى لأفكـاره ومعتقداته.. وهذا ما لم يحدث، ولن يكون.. وهـو يكشـف زيف ادعاءات السلام لعوز ومماثليه.. فأن تكون صهيونيا.. وألا تتبرأ من هذه الصفة، يحمل في طياته كذلك – منطقيا – رفضا قاطعا للتسليم بالآخر النافي للكينونة، مهما زعمنا غير

ذلك؛ والآخر هنا هو الفلسطيني والعربي الذي نهضت "حركة التحرر الصهيوني" المزعومة، في مواجهته، ومن أجل تصفية وجوده المادي والمعنوي والتاريخي، والحلول محله، وهو ما يعني إذن رفضا منطقيا وكليا للسلام الحقيقي المبني على الحق والعدل والإنسانية، أو هو في أحسن الأحوال، يرفع شعار السلام كغاية تكتيكية ولمصلحة آنية وليس كاستراتيجية تستحق الدفاع والكفاح من أجل الفوز بها.

وفي أدب "عوز" ينعكس هذا الموقف بوضوح وقطع.. فلأني صهيونيا، يقول لسان حال "عوز" في كتاباته، أؤمن – عن يقين – أن من حقي السيطرة على هذه البقعة من الأرض ومعناه أيضا العجز عن التسويغ الأخلاقي لفكرتي تلك إلا إذا صاحبها ادعاء بأنها أرض جدباء، بلا صاحب أو هوية، حينئذٍ سأكون أنا معمرا وبنّاء، بدلاً من أن أصبح مغتصبا وسارقًا.. ويحق لي الزعم بأني مناضل صاحب قضية، بدلاً من أن أوصم بوصفي لصا وقاطع طريق، وسأبدو كحامل رسالة التنوير والتقدم والمدنية للعرب المتخلفين الأجلاف!!.

وهذا هو صلب ما فعله "عوز" في أدبه، ففي رواية "في مكان آخر أسود ربما" التي طبعت بالعبرية عام ١٩٦٩

ونشرت طبعتها الإنجليزية عام ١٩٧٣؛ يقول عوز "لمـدة ألف عام كان هذا المكان قفرا، إلـى أن جـاء مسـتوطنونا الأوائل ونصبوا خيامهم فجعلوا الصـحراء تزهـو بأحـدث الوسائل الزراعية، بالطبع كان هناك فلاحون عـرب قلائـل قبل مجيئنا، ولكنهم كانوا فقراء وبـدائيين كـانوا بملابسـهم القاتمة فريسة سـهلة لعوامـل الجـو وكـوارث الطبيعـة: للفيضانات والجفاف والملاريا. لم يتبق منهم أثرا عدا خرائب متناثرة، أخذت أطلالها تشحب وتختفي تحت التـراب الـذي جاءوا منه، هرب سكانها إلى الجبال، ومن هناك أخذوا يلقون عليها كراهيتهم التي لا تستند إلى أساس(!)، والتي تفتقد كـل معنى(!)، لم نسبب لهم ضررا(!). جئنا بالمحاريـث فـردوا على تحيتنا بالسيوف. ولكن سيوفهم ارتدت عليهم!".

رسالة "عوز" هنا واضحة وضوح الشـمس: اليهـود، البنائين، صناع الحضارة، أتوا بالمدنية والتقدم إلـى الأرض اليباب المسكونة بـالخراب والأمـراض والمـوات، لكـن المتوحشين العرب رفضوا – دون أدنى مبرر – هذه المنحة الملائكية المجانية، بل وقاوموهـا بضـراوة، وردوا تحيـة الصهاينة بالعنف الهمجي الذي ارتد إلى نحرهم!!.. المحرات

اليهودي الصهيوني في جانب والسيف الدموي العربي في جانب آخر، وبالطبع فلينتصر المحراث، ولننتصر نحن جميعا له، وليمت ذلك العربي الهمجي المنحط الذي لا يستحق الحياة، لأنه لا يدرك لها قيمة، أو يفقه لها معنى!!.

وهذه هي بالطبع المزاعم التي روج لها الاستعماري، الإمبريالي، العنصري، الأبيض دائما، وبرر عن طريقها اغتصاب الأرض والثروات والأعراض أيضا، في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ولازال حتى الآن، وإن بأشكال أخرى.

إن "عوز" يدافع بضراوة ضد عملية اندماج اليهودي في المجتمع البشري الأوسع، وهو الحل الإنساني الأمثل لـ "المشكلة اليهودية" المزمنة، ويشبهه بعملية اغتصاب "علني للذات اليهودية أو "دعارة" علنية لمن يمارسه، ويؤكد مرارا على قدسية "الحلم الصهيوني"، وفي روايته "تل المشورة الشريرة"، تبدو فلسطين أرضا صحراوية قبيحة المنظر والمخبر، بلا شعب أو صاحب، وعندما تتحقق النبوءة، ويعود لها شعبها(!) (اليهودي) المنفي والمشتت، تدر اللبن والعسل، وتعود إليها أسباب الحياة، ويقتضي ذلك أن يعيش

على أرضها إما العرب البدائيون أو اليهـود المتحضـرون الصهاينة، إذ (لا يوجد أدنى احتمال لأن نلتقي في منتصـف الطريق)، كما تصرح إحدى شخصيات الرواية.

إن الطبيعة الاستعمارية للمشروع الصهيوني، غائبـة تماما، (أو هي على وجهة الدقة مغيبة) عن ذهنيـة "عـوز" وأمثاله، ويتم تحريف الوقائع التاريخية لخدمة هـذه الغايـة، وتلوي عنق الحقيقة للتعمية على ما لا يخدم أغراض الدعاية الصهيونية العميقة الغور، ففي روايته "الحـروب الصـليبية" يصورها كحملات كراهية موجهة ضد اليهود فقط لا غيـر، ويتجاهل دوافعها المستبطنة، والآلام والفظائع التي تعـرض لها سكان الأرض العربية التي واجهت الحملات، وتعرضت لنهبها وضحت لمقاومتها، وانتصرت عليها، لقد مثلت هـذه الحملات، في وجه من وجوهها الأساسية، مخرجـا لأزمـة الإقطاع الأوروبي الاقتصادية والاجتماعية التي حاول حلهـا عن طريق نهب الثروات في البلدان العربية، المكدسة بفعـل النشاط التجاري المكثف آنذاك، ولم يكفه ذلك، بل جعل ذلك الصراع المتوازن صراعا بين مسيحيين مصابين بـالجنون والانحراف الخلقي وبين اليهود كضحايا بريئة، علـى حـد

تعبير الكاتب والأديب العربي الراحل، "غالب هلسـا"، فـي دراسته الرائدة "نقد الأدب الصهيوني: دراسـة أيديولوجيـة ونقدية لأعمال الكاتب الصهيوني "عاموس عوز""(١٦).

وغياب "البصيرة" التي تمكن "عوز" من إدراك السمات الاستعمارية الواضحة للمشروع الصهيوني، أو تدفعه لإعلان ذلك إذا كان قد أدركه، تجعله يخلـط متعمـدا بـين الحـق والباطل، والأصيل والمزيف، وتدفعه إلى مواقف واضـحة التناقض، فهو إذ يدعو للتخلص مما أسماه "وطنية الراية"، أي العلم والنشيد، والانتقال إلى "الوطنية الإنسانية"، التي تخلـي مكانها لـ "وطنية الأرض والماء والهواء والضوء" لا يلبـث أن يبرر الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية بالاستناد إلـى مقولة مغلوطة تزعم "عدم التساوي بين احتلال ألمانيا لجـزء من الأراضي الفرنسية، واحتلال القوات الفرنسية بعد ذلـك لجزء من الأراضي الألمانية" فالاحتلال الأول مدان والثـاني مبرر ومشروع، مثله مثل الاحتلال الصهيوني لأجزاء مـن الأرض العربية ردا على العدوان العربي (النـازي!) علـى (الأرض الإسرائيلية)!!، وهو تشبيه سيئ النية، يحمل قـدرا كبيرا من الكذب والمختلة وسوء القصد، فلم يحدث أن احتل

العرب (لا سمح ا) أرضا لإسرائيل، التي كانت هي دومـا المعتدية أو المبادرة بالهجوم، والمتعنتة في الانسـحاب ممـا استولت عليه بالقوة والعدوان، من أرض عربية وأساسا كـل الأرض الفلسطينية التي قامت عليها الدولة المغتصبة.

ولا ينفك "عوز" يؤكـد دائمـا انتمائـه إلـى الدولـة الإسرائيلية والأيديولوجية الصهيونية باعتبار أن الصـهيونية "تمثل حركة تحرير وطني" لـ "الشعب اليهودي"[١٧]، وهو إذ ينادي بالتخلي عن بعض "الأراضي المحتلة"، (بعـد حـرب ١٩٦٧)، فلا يفعل ذلك استجابة "لدواعٍ إنسانية، وإنما لأسباب محض "برجماتية"، تتعلق بالحفاظ على "النقـاء العنصـري" للدولة ولأن هذه الخطوة تمثل شـرطًا أساسـيا "لاسـتمرار المشروع الصهيوني الخلاق في فلسطين"[١٨]، كـذلك فـإن بصيرة "عوز" وبصره، يغيبان تماما حين ينظر إلـى كفـاح الشعب الفلسطيني المشروع دفاعا عن وجوده، فهـو يـتهم "الحركة الوطنية الفلسطينية"، باعتبارها "واحدة مـن أكثـر الحركات التي شهدها هذا القرن شرا وتعصبا(!!).. لقد كانت أهدافها وأساليبها بصورة مستمرة تقوم على تدمير أمة وطرد شعب!!.. إن لم يكن الأسوأ من ذلك[١٩]، وتبلغ أكاذيبه قمـة

ادعاءاتها حين يقلب الآية تمامـا، فيبـرئ القاتـل، ويـتهم الضحية: "إن القسوة والتطرف لدى قادة الشعب الفلسـطيني هي التي أفقدته كل ما كان لديه: المدن، والقـرى، البيـوت، الحقول، الهوية، واحترام الذات، وأمله في المسـتقبل علـى وجه الخصوص"[٢٠].

فهل يمكن أن يكون ما سبق، منطلقًا طبيعيـا لداعيـة سلام يركن إليه، أو لصاحب موقف يتم الترويج له، والدعوة للتعامل معه، في وطننا، كما يتصور الأستاذ أسامة خالد؟!

إن "عاموس عوز" صهيوني حتى النخاع، وصهيونيته صهيونية جهيرة، غيـر مسـتترة، ودفاعـه عـن عقيدتـه الصهيونية مبثوثة في ثنايا قصصه وأحاديثه الصحفية، ومن عجب أن البعض لا يرى كل هذه المواقف الفاضحة، لعـوز وأمثاله، ويجهد نفسه، هنا وهناك، باحثًا عن لفظة أو جملـة، تثبت أو تدعم ادعاءاته (السلامية) الموهومة!

في رواية "حنا وميخائيل" مثلاً، التي ترجمها ونشـرها صديق إسرائيل الناشر (المصري) "أمين المهدي" تقول بطلة الرواية، وهي تصف أعضاء مسـتوطنة (مـن الإرهـابيين والقتلة): "إنهم مجموعة من الشجعان، الذين أخفوا في غشاء

من المسرح علامات المسئولية الجادة، رأيـت مـنهم ذلـك الأساس المتين والمناضل، كأنهم يتمتعون وينكتون دائما من شدة بأس القرار الذي اتخذوه بشفاه مضـمومة.. أحببـتهم " وهذا الرأي طبيعي من صهيوني عتيد، ولد لأسرة صهيونية متطرفة"، وعاش أغلب سنوات عمره وتربى في المستوطنات التي اقتطعت من اللحم الحي لشعبنا الفلسطيني، ثم هـو قـد اشترك أيضا فـي حربـي ١٩٥٦، ١٩٦٧ ضـد بلادنـا، ولا يخفي احتقاره لشعبنا، ولنضال أبطالنا، الذين لا يشكلون من وجهة نظره سوى "عصابة من المجرمين"[٢١].

وإذا أضفنا لما سبق كله موقف "عوز" من القدس، التي "لا أعتقد لدقيقة واحدة أنها يجب أن تقسم بحوائط، أو أسلاك شائكة.. (وإنما يجب) أن تبقـى المدينـة موحـدة"، تحـت السيطرة الصهيونية بالطبع، لأدركنا كم كان "أسامة خالـد"، متفائلاً أو ربما مخدوعا، وهو يتحدث عـن "قـوى السـلام الإسرائيلية": و"عوز" نموذجا!.

- فالموقف من الصهيونية واحد، بين (اليمين) و(اليسـار) الصهيوني.

- والموقف من (الأغيار)، أي العرب أصـحاب الأرض، واحد أيضا.
- والموقف من الأراضي المحتلة واحد.
- والموقف من القدس واحد.
- والموقف من بقاء الثكنة العسكرية الصهيونية، المدججـة بالسلاح النووي وأدوات الدمار الشامل.. واحد كذلك!

كل ما هنالك هو تباين في النسب ودرجات اللون، بين اليمينيين و(اليساريين) الصهاينة.

فالموقف الحقيقي لدعاة السلم الإسرائيلي، إذا كان هناك من يستحق بالفعل هذا الوصف – يجـب أن يبـدأ بـنقض المشروع الصهيوني في جذوره الأيديولوجية، قبل أن يتم نقد ممارساته، وإدانة مسلكياته الهمجيـة، كواجـب لا يحتمـل التأجيل، ذلك وحده هو معيـار مصـداقية مـدعي السـلام الإسرائيليين، وبدونه يحق لنا أن نسـتريب فـي دوافعهـم ونتشكك في أغراضها.

هل هناك في إسرائيل من هم علـى هـذه الشـاكلة؟ ربما.. لكنهم – إن وجدوا فهم خافتي الصـوت، محـدودي العدد والقوة ، غائبي التأثير.. ومن يجرؤ منهم على تجـاوز

تخوم "المؤسسة" يتعرض، مثلما تعرض بعـض المفكـرين الأحرار في الغرب، إلى السخط الصهيوني العـارم، الأمـر الذي يدفعه للسكوت، أو قضاء عمره كله خلف القضبان وهذا ما حدث مع "موردخاري فعنونو" التقني الإسـرائيلي الـذي هاله اكتشافه لحجم ومخاطر الترسانة النوويـة الإسـرائيلية، وتمرد عليها، فحكم عليه بالسجن الانفرادي منذ عـام ١٩٨٦ وحتى الآن.

والأهم من تبديد الطاقة في مثل هـذا المسـعى، فـي اعتقادي، هو مساعدة هذه القوى فعليا على التطور والنمـو، ولن يكون ذلك بالبحث عنهم، والتحالف معهم، مثلما نبحـث عن إبرة وسط كومة من القش، كما يفعل أعضـاء "حلـف كوبنهاجن" و"جمعية القاهرة للسلام"، وإنما بتطـوير أعمـال النضال داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وخارجها ضـد العدو الصهيوني.. فالثابت أن ذلك وحـده (ونمـوذج عليـه انتفاضة الحجارة، وحرب أكتوبر) كان هو الدافع الأساسـي لطرح التساؤل عن هوية إسرائيل ومستقبلها فـي المنطقـة، وطبيعة وحدود دورها وعلاقتها بالجوار العربـي، ولـيس استجداء السلام الصهيوني الأمريكي الذي لن يأتي أبدا.

وبدلاً من عقد التحالفات مع عملاء المخابرات الإسرائيلية (الموساد)، وممثلي اليمين وحزب العمل الصهيوني، وغيرهم، كما يفعل دعاة التطبيع مع العدو الصهيوني في مصر والعالم العربي، من الضروري أن نبحث عن قنوات اتصال مع جسدنا العربي في المناطق المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨. فهم أهلنا وناسنا، وبسبيلهم لأن يصبحوا قوة ذات وزن داخل دولة العدو الصهيوني.

فليس من الطبيعي أن يتم حوار باسم السلام تحت أسنة الرماح بين الضحية والجلاد، ومع عناصر لازالت تؤمن وتنتمي لمعسكر العدو، حتى وإن كان لها بعض الاعتراضات أو التباينات في المواقف عن النظام السائد فيه الآن.

فحزب العمل الإسرائيلي لا يقل خطورة ولا تمسكًا بأهداف الصهيونية عن الليكود بل إنه – في واقع الأمر – هو الذي صنع إسرائيل، وكفل لها سبل الحياة والتطور، غير أن صهيونيته صهيونية (مخملية) إذا صح التعبير، مزوقة بادعاءات (يسارية)، و(إنسانية) و(أخلاقية) براقة وخادعة، تخفي عورتها وتغطي على حقيقتها.

ثم: هل كان مباحا أو مقبولاً أن يتم الحوار بين مثقفين أوروبيين أو أمريكيين ومثقفين نازيين، تحت علم الرايخ الثالث، يبدون يقينهم في صحة منطلقاته ويفخرون بأيديولوجيته، ويعتبرون أنفسهم ألمانًا ونازيين، ويرون أن للنازية حقا تاريخيا في غزو أوروبا واحتلال أرض من بلدانها، وينظرون لمواطنيها باحتقار وكراهية وازدراء، إلخ.. مثلما ينظر إلينا "عوز" وأشباهه؟!

وهل كان يمكن لأوروبا أن تعقد صلحا مع ألمانيا الهتلرية، قبل أن يتم سحق آلة الحرب الألمانية العملاقة، وتصفية الأسس الفكرية، والركائز النظرية والسياسية والاجتماعية والثقافية للأيديولوجية العنصرية الوطنية الألمانية المتطرفة (النازية)، بل وقبل وضع عشرات الشروط والضمانات والضوابط التي تحول دون استعادة الفكرة النازية لمواقعها مرة أخرى في المستقبل؟!.

وهل يمكن حقا عقد سلام مع إسرائيل، في ظل ابتزاز الاحتكار النووي والتهديد المستمر بأسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية، وقبل أن يدين "دعاة السلام" الإسرائيليين هذا المسعى الإسرائيلي المستمر لتصعيد سباق التسليح في

المنطقة، وللاستناد على سياسة القـوة فـي فـرض الأمـر الواقع؟!.

هذه الأسئلة وغيرها، أوجهها إلـى "دعـاة الحـوار" المصريين والعرب، وينبغي أن نبحث عن إجابات صـريحة عليها، حتى نحسم أمرنا في قضية لا ينبغـي وجـود أدنـى التباس بشأنها.

هوامش الفصل الثالث

١- جريدة "الأخبار"، القاهرة، ١٩٩٧/٩/٣٠.

٢- جريدة "معاريف" الإسرائيلية، ١٩٨١/٩/٢٥.

٣- جريدة "الحياة"، لندن، ١٩٩٧/٢/٦.

٤- المصدر نفسه، ١٩٩٧/٦/١٨.

٥- جريدة "هآرتس" الإسرائيلية، ١٩٩٧/٣/٢٨.

٦- التليفزيون الإسرائيلي، ١٩٩٧/٣/١٧.

٧- مذكورة في: إدوارد سعيد، "مثقفو كوبنهاجن ونقاش مستمر"، جريدة "الحياة" ، لندن، ١٩٩٧/٥/٧.

٨- جريدة "الحياة"، لندن، ١٩٩٧/٧/٦.

٩- جريدة "الحياة" ، لندن، ١٩٩٧/١٢/٩.

١٠- المصدر نفسه.

١١- انظر: د. رشاد عبـد ا الشـامي، "عجـز النصر: الأدب الإسـرائيلي وحـرب ١٩٦٧"، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص:٦٦.

١٢- نيكوس كازانتزاكس: "ماذا جرى كي تكوني صهيونية؟!"، مجلة "الكرمل"، العدد ٢٨- ١٩٨٨.

١٣- د. محمــود حميــدة، "الســتراتيجية الأدب الصهيوني لإرهـاب العـرب"، مؤسسـة الاتحـاد للصحافة والنشر، دولة الإمارات العربية المتحـدة، أبو ظبي، ١٩٨٨، ص: ١٧.

١٤- المصدر السابق، ص: ٢٠.

١٥- المصدر السابق، ص: ٣٢.

١٦- غالب هلسا، "نقد الأدب الصهيوني: دراسـة أيديولوجية ونقديـة لأعمـال الكاتـب الصـهيوني "عـاموس عـوز"، دار التنـوير، عمـان، الأردن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٩٥.

١٧- Amos Oz, "peace Now: Ideological work shops", new out look, Nov. – Dec. 1980, P. 25.

١٨- المصدر نفسه ، ص، ص: ٥٢ – ٥٣.

١٩- Amos Oz, "on the slopes of Lebanon", London, Vintage Books, 1991, P..

٢٠- Amos Oz, "state of Israel, state of Palestine", Each side Source and

responsible", the International Herald Tribune, 3/2/1995, p. 4.

٢١- انظر: د. علاء الأسواني، "حنة وميخائيل.. رواية صهيونية مليئة بالأكاذيب"، جريدة "الشـعب"، القاهرة، ١٩٩٤/٤/١٢.

الفصل الرابع

تهافت الخطاب التطبيعي

ا ثقفون ا صريون مواجهة
"حلف كوبنهاجن"

"الثقافة هي ذاكرة الشعب، وتفريغ أمة من ثقافتها؛ أي من ذاكرتها وأصالتها، يعني الحكم عليها بالموت".

الكاتب التشيكي: ميلان كونديرا

"لقد أتى الاستعماريون إلينا عن طريق الكتاب المقدس، وبعد فترة تركوا لنا الكتاب المقدس، وأخذوا أرضنا بكل مـا فيها ومن عليها أيضا".

كوامي نكروما

"كل علاقة بإسرائيل: اعتراف صلح أو تطبيع، تعامل، تعايش.. إلخ إلخ.. هي الخيانة بحذافيرها".

جمال حمدان.

يشكل الخطاب التطبيعي، في منظوره العام، نموذجـا مبتذلاً لفكر انهزامي معزول ومعاد، منقلـب علـى الـذات، واستعلائي، يحتمي بادعاءات هزلية وهزيلة، لا تستند إلـى الواقع عن "وكالة" مختلقة تتيح له التحـرك باسـم الشـعب، و"نيابة" مفتعلة تؤهله للتحدث باسم الجماهير، التي لم تفوضه أبدا في التحدث باسمها، بالرغم من أنه – في قرارة نفسه –

يحتقر هذه الجماهير، ويعلن عن رءوس الأشهاد براءته ومن "جهلها"، كما سيأتي فيما بعد!

وهو يعكس – من ناحية أخرى – سلوكًا انتهازيا مراوغًا، هلاميا، غامضا، سريع التحول، من مواقع شديدة "المبدئية" بل والتطرف، في مواجهة الفكر الصهيوني، و"العدو التاريخي" للأمة و"الدولة المزعومة" إلى مواقف شديدة الممالأة والانحياز والرياء، مغطاة بمسحة "سلامية" خادعة، في نزوع تبسيطي، تسطيحي، يتجاهل أسس الصراع ويقفز من المقدمات التي لابد وأن تقود إلى نتائج موضوعية، وصولاً لتصورات ذهنية، يهيئ لنفسه من خلالها دورا رياديا، ويمنح نفسه عبرها أهمية رفيعة المقام!!

وككل انتهازية فهي قدرة محضة على التلون والتكيف، وهكذا فحينما تكون رايات الدولة هي مقاتلة العدو الصهيوني، يكون هؤلاء دعاة صمود، وداقين لطبول الحرب، وعندما تتحول الدفة، يركبون الموجة، و"يبدعون" في الترويج لفلسفة "السلام" والمستقبل الذي يبنيه "الجيران" حاليا (الأعداء سابقًا).. وهلم جرا.

وككل خطاب انتهازي، رائعـي، انتقـائي، لا يـأنف الخطاب التطبيعي من الاستناد إلى خلـيط مـن المنطلقـات المتنافرة لتدعيم أسانيده المهتزة، وتبرير دعواه المهترئة، فهو "إسلامي" المرجعية حينًا، انطلاقًا من الآيـة القرآنيـة ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾!.. إذا تطلب الأمـر ذلـك، وهـو "أوسطي" النوازع، حينًا انطلاقًا من الادعاء بأوسطية الجذور المصرية التي تنتمي إلى عالم "المتحضرين"، مثل إسرائيل.. إذا اقتضى المقام، وهو "كوكبي" الهوى إذا دار الحديث عـن "العولمة" يدعي انتفاء الصراعات القومية، وضرورة تجـاوز الروح الوطنية (الضيقة)، وهو "يساري" المنابع حينًا آخـر، يزعم وحدة "اليسار" المصري والإسرائيلي، فـي مواجهـة التطرف اليميني، لكلتا الضفتين.. إلخ.. وهو في كل الأحوال فاشي النزعة، إرهابي المنحى، لا يقبل الاعتراف بهزيمتـه الفكرية، فيزيف إدارة الجماهير ويهرب من الإقرار بعزلـة مواقعه السياسية، ويستند إلى "ترسانته" اللغوية، وإلى مواقعه قريبا من النظام لشن حربا صليبية ضد خصـومه، ولقطـع الطريق على اجتماع كلمة مناوئية.

ولعلنا نستطيع أن نقسم التطبيعيين في مصر، وربمـا في العالم العربي إلى أربعة أقسام محددة المعالم:

الأول: القطاع الأكبر، وهو الذي تحكمـه "تهويمـات" إنسانية عامة، وتؤثر فيـه خـدع التكنولوجيـا الإعلاميـة المعاصرة، فيظن أن السلام قد استتب، منطلقًا من فكـرة أن "الصلح خير". وهو يأمل – كما وعـدوه – فـي أن حلـول "السلام" سيكون مدخلاً مؤكدا للرخاء والتقدم، وهـذا هـو – على الأرجح – موقف القطاع الأعرض، غيـر المسـيس، المتأثر بتوجيهات – أجهزة الإعلام ومواقف الدولة الرسـمية وسدنة النظام.

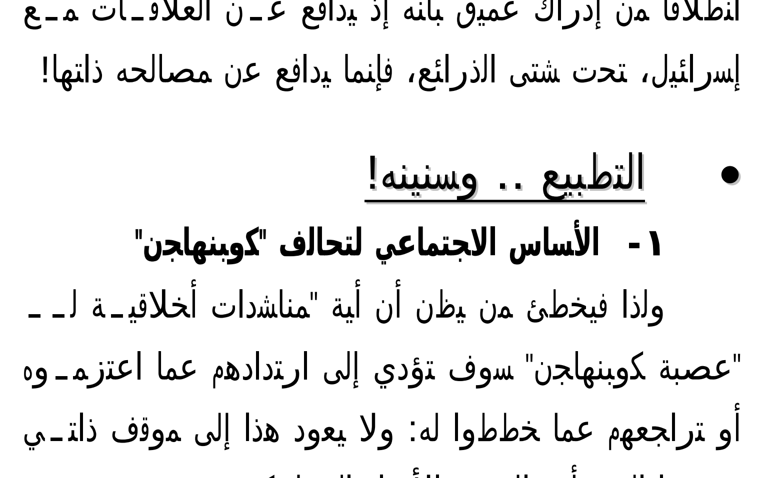
والثاني: وهو موقف القطاع الـذي ينتمـي بصـورة أو بأخرى لأجهزة الدولة أو للحكومة – فهو تطبيعي حينمـا يضاء الضوء الأخضر للتطبيع، وشديد العداء للعلاقـة مـع إسرائيل، حينما تدفع تكتيكات السلطة لموقف مناقض، وهـو على اتساع قاعدته النسبية موقف لا قيمة له وغير ثابت، لأنه يؤدي دوره بروتينية لا روح فيها ولا حياة ولا إبـداع، وإن كان موقفه مؤثرا في تشكيل وجهات نظر "الجماهير" لأنه – في الأغلب – يسيطر علـى الصـحف وأجهـزة الإعـلان

والمؤسسات الصحفية الرسمية، وأخطرها التليفزيون والصحف المسماة بـ "القومية".

والثالث: ذلك الجناح الذي يقوده تحرره الفكري، وتطلعاته الاستراتيجية لتخوم التطبيع – حتى وإن كان في أعماقه رافضا لنتائجها، مدركًا لمخاطرها، وهو حين يدعو للحوار مع الإسرائيليين يحيط دعوته بعشرات من التحفظات، التي تصادر عليها، وتنفيها في جوهرها، وبعض من عناصر هذا القسم يربط بين الديكتاتوريات القائمة في العالم العربي وما قادت إليه من هزائم وانهيارات وتخاف، وبين بقاء قضية الصراع العربي الإسرائيلي معلقة على امتداد نصف القرن الماضي، ويظن (وبعض الظن إثم!) أن حل هذه الإشكالية المزمنة، سيكون المدخل لتوسيع قاعدة الحريات الديمقراطية، وبناء مجتمع جديد متقدم ومتحررا!!.

الرابع: وهو الأخطر، ذلك الذي يدعو للتطبيع عن وعي وإدراك نابع من مصالح استراتيجية تربطه بالعدو الإسرائيلي، وتضعه مع الإسرائيليين في علاقة ذات أبعاد عميقة، تدفعه لأن يقوم بعملية تزييف واسعة، تستهدف تجميل وجه العدو والدفاع عن ممارساته، والتماس المبررات له،

انطلاقًا من إدراك عميق بأنه إذ يدافع عـن العلاقـات مـع إسرائيل، تحت شتى الذرائع، فإنما يدافع عن مصالحه ذاتها!



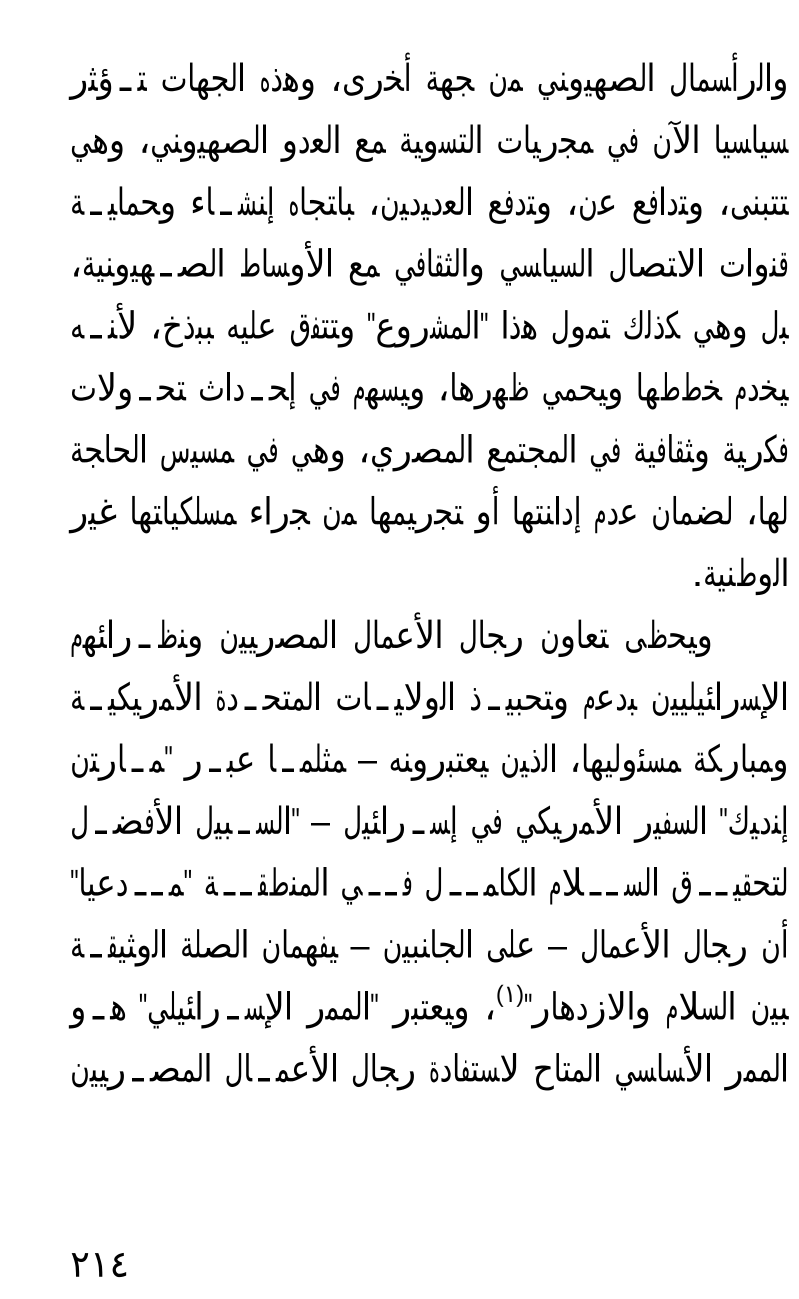
• التطبيع .. وسنينه!

١- الأساس الاجتماعي لتحالف "كوبنهاجن"

ولذا فيخطئ من يظن أن أية "مناشدات أخلاقيـة لـ ـ "عصبة كوبنهاجن" سوف تؤدي إلى ارتدادهم عما اعتزمـوه أو تراجعهم عما خططوا له: ولا يعود هذا إلى موقف ذاتـي من هذا الفرد أو ذاك من الأفراد المشاركين،

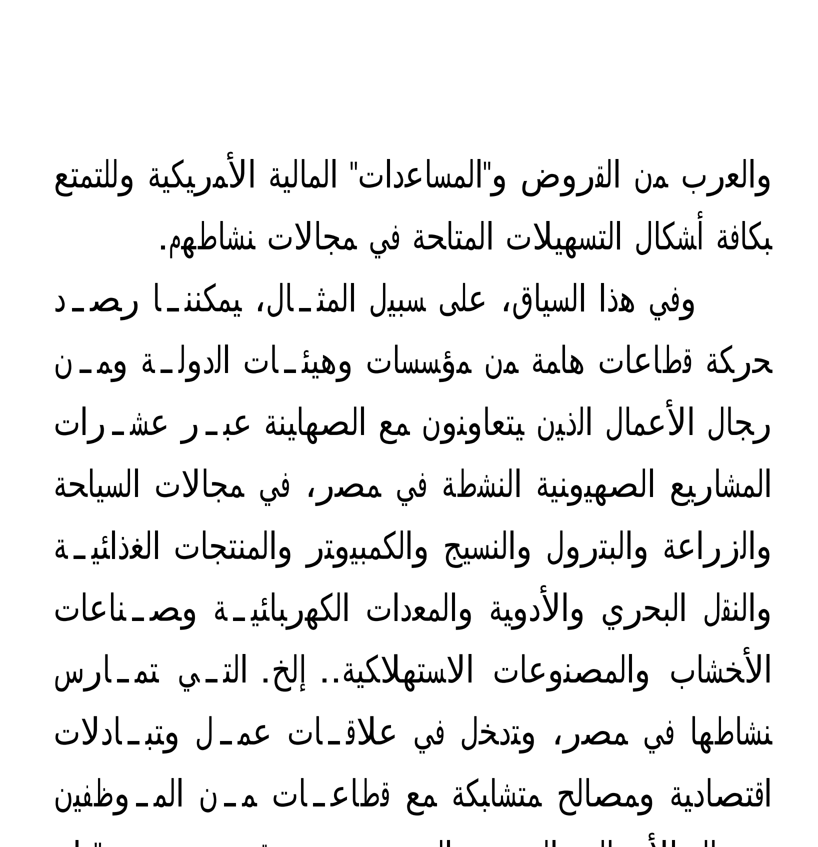
وإنما يستند رأينا هذا إلى فهم موضوعي أعمق لواقـع ما تم، وحقيقة ما قطعوه من مسار، ويعكس إدراكنـا لعمـق التحولات الطبقية في المجتمع، تلك التحولات التـي مهـدت لهذه النظرية الخطرة، وجعلتها ممكنة، ويسرت حركة هـذه المجموعة ودافعت عن سلوكياتها.

وبمعنى آخر فلا جدال أن عمليات التحول الاجتماعي والاقتصادي والسياسي – التي تجري على قدم وساق – فـي مصر، منذ ما يقرب من ثلاثة عقود قد أتت أكلها، وخلقـت فئات اجتماعية وطبقات، ارتبطت عضويا بمصالح ضـخمة ومتداخلة مع كل من الأوساط الرأسمالية العالمية، من جهة،



والرأسمال الصهيوني من جهة أخرى، وهذه الجهات تؤثر سياسيا الآن في مجريات التسوية مع العدو الصهيوني، وهي تتبنى، وتدافع عن، وتدفع العديدين، باتجاه إنشاء وحماية قنوات الاتصال السياسي والثقافي مع الأوساط الصهيونية، بل وهي كذلك تمول هذا "المشروع" وتتفق عليه ببذخ، لأنه يخدم خططها ويحمي ظهرها، ويسهم في إحداث تحولات فكرية وثقافية في المجتمع المصري، وهي في مسيس الحاجة لها، لضمان عدم إدانتها أو تجريمها من جراء مسلكياتها غير الوطنية.

ويحظى تعاون رجال الأعمال المصريين ونظرائهم الإسرائيليين بدعم وتحبيذ الولايات المتحدة الأمريكية ومباركة مسئوليها، الذين يعتبرونه – مثلما عبر "مارتن إنديك" السفير الأمريكي في إسرائيل – "السبيل الأفضل لتحقيق السلام الكامل في المنطقة "مدعيا" أن رجال الأعمال – على الجانبين – يفهمان الصلة الوثيقة بين السلام والازدهار"[١]، ويعتبر "الممر الإسرائيلي" هو الممر الأساسي المتاح لاستفادة رجال الأعمال المصريين



والعرب من القروض و"المساعدات" المالية الأمريكية وللتمتع بكافة أشكال التسهيلات المتاحة في مجالات نشاطهم.

وفي هذا السياق، على سبيل المثال، يمكننا رصد حركة قطاعات هامة من مؤسسات وهيئات الدولة ومن رجال الأعمال الذين يتعاونون مع الصهاينة عبر عشرات المشاريع الصهيونية النشطة في مصر، في مجالات السياحة والزراعة والبترول والنسيج والكمبيوتر والمنتجات الغذائية والنقل البحري والأدوية والمعدات الكهربائية وصناعات الأخشاب والمصنوعات الاستهلاكية.. إلخ. التي تمارس نشاطها في مصر، وتدخل في علاقات عمل وتبادلات اقتصادية ومصالح متشابكة مع قطاعات من الموظفين ورجال الأعمال والمهنيين المصريين، وقد صرح "دان بروبر" رئيس الغرفة الصناعية الإسرائيلية أن "الاستثمارات الإسرائيلية في مصر قد شهدت قفزة خلال السنوات الماضية، فيما أكد رئيس الغرف التجارة الإسرائيلية "داني جلر" أنه على الرغم من التوتر الذي يسود المستوى السياسي بين كل من مصر وإسرائيل، فقد تم عقد عشرات الصفقات مؤخرا عن طريق اتحاد الغرف التجارية ومعظمها تتمثل في

تصدير واستيراد أدوات ومعدات زراعيـة حديثـة وقطـن وملابس، وقد قـدمت إسـرائيل خـلال "مـؤتمر القـاهرة الاقتصادي" الذي عقد أوائل ١٩٩٧ مجموعة متكاملـة مـن المشروعات التي أثارت اندهاشًا داخل أوساط رجال الأعمال المصريين (ولم الاندهاش!!) بسبب طبيعتهـا الاسـتراتيجية ودقتها وترابطها، وحسبما نشر في جريدة "العالم اليوم"، فإن المشروعات التي تقدم بها الإسرائيليون خلال "مؤتمر القاهرة الاقتصادي" كانت متعددة وذات دراسات عالية الجودة بشهادة المصريين أنفسهم، ولكن طبيعتها غريبة وخطيـرة لدرجـة توحي بأن هناك نوايا مخططة من وراء هذه المشاريع[٢].

ومجموع هذه المشـروعات ذات التوجـه الإقليمـي (Network) – حسبما نشرت الجريدة – بلـغ عـددها ٣٥ مشروعا بقيمة ٢,٢ مليار دولار، أحـد هـذه المشـروعات "حماية مناطق مصر الصناعية" ويتضمن إقامة حائط أمنـي ودفاعي في مصانع مصر الكبرى ضد التجسس الصـناعي والحرائق، ومقترح للمشروع مدينة العاشر مـن رمضـان، كتجربة نموذجية، على أن يعمل فيه في السـنوات الأولـى خبراء من إسرائيل، وهناك مشروعات أخرى مقترحة أهمها:

- مشروع طابا – إيلات – العقبة: كشبكات لمياه الشـرب وإقامة شبكة صرف صحي وشبكات ربط كهرباء وتقدر قيمة المشروعات بـ ٤٥٠ مليون دولار وتحـدد سـنة ٢٠٠٠ لاستكمال هذا المشروع.
- مشروع قناة بين البحر الميت والبحر الأحمـر: ويقـدر استثماراته بـ ٥٠٠٠ مليون دولار.
- مشروع الربط الكهربائي بين مصر وغـزة وإسـرائيل: وتقدر قيمته بـ ١٨٧ مليون دولار.
- إقامة قنوات للغزل الطبيعي بـين مصـر والأردن، ثـم إسرائيل: وتقدر قيمته ٨٠٠ مليون دولار.
- في مجال النقل والمواصلات: عرضت إسـرائيل عـدة مشاريع لإنشاء الأتوستراد (High Way) على سـاحل البحر الأبيض، ويربط بين مصـر وإسـرائيل وغـزة، إضافة إلى ربطه بسكة حديد بـين مصـر وإسـرائيل وقيمتها ٦٠٠ مليون دولار، يضاف مطار دولـي فـي رأس النقب بتكلفة ١٠٠ مليون دولار.
- في مجال الاتصالات: عرضت إسرائيل ٦ مشـروعات بقيمة ٨٣ مليون دولار.

- في مجال السياحة: هناك ١٧ مشروعا إقليميا منهـا ١٠ تدخل فيها مصر وتقدر قيمتها الإجماليـة ٥٠٠ مليـون دولار.
- وفي مجال البيئة والصناعات البيئية: هناك ١٣ مشروعا بقيمة ١٠٠ مليون دولار.
- وبالنسبة للتجارة والصـناعة: عرضـت إسـرائيل ١٣ مشروعا منها إقامة مناطق حرة وقدرت بـ ٥٠٠ مليون دولار.
- ورصدت ٢٠٠ مليون دولار أخرى قيمـة مشـروعات خاصة بإقامة منتزهات ومحميـات وخـدمات خاصـة بالسياحة والتجارة البحرية[٣].

وعلى الضفة الأخرى من النهر، فإن بعـض رجـال الأعمال المصريين الكبار، ردوا التحية بأحسـن منهـا(!).. وتبادلوا عمليات الاستثمار المالي والصناعي فـي مشـاريع بالدولة الصهيونية، وتم – حسب رأي العديـد مـن خبـراء البنوك المصرية نزح الملايين من الدولارات مـن البنـوك المصرية لإعادة توظيفها في إسرائيل، في الوقت الذي تحتاج البلاد فيه لكل استثمار وطني للحد مـن البطالـة المتفشـية،

وارفع معدلات المعيشـة المتدنيـة، وعلـى رأس هـؤلاء الرأسماليين المصريين، يقـف "إبـراهيم كامـل" – رئـيس مجموعة "كاتو". الملياردير المصري، صـاحب العلاقـات رفيعة المستوى والوثيقة الصلة، بالأوساط الحاكمة، الذي زار إسرائيل في شهر فبراير الماضي، يرافقه كل من "د. طـاهر حلمي"، رئيس شركة "بيكر وماكنزي" في مصر، و"منصور الطرزي"، رئيس شركة "البيت الاستثماري المصري". وقـد التقوا في زيارتهم مع "بنيامين نتنيـاهو" رئـيس الـوزراء الصهيوني، وكذلك مـع "شـمعون بيـرس" رئـيس وزراء إسرائيل السابق، ورئيس حزب العمل. و"دان ميردور" وزير المالية الصهيوني، وكذلك التقى "الوفد المصري" مع "ديفيـد ليفي" وزير الخارجية الصهيوني و"شارنسكي" "محافظ البنك المركزي الإسرائيلي"، وقد اشترى "إبراهيم كامل "حصصـا في رأس مال مجمع "كور" الصناعي الذي يمارس أنشـطته في تصنيع الأسلحة والتكنولوجيا المتقدمة ولـه اسـتثمارات كبيرة في صناعة الأسمنت، ويمثل نحـو ٧% مـن مجمـل القطاع الصناعي الإسرائيلي، وأعلن في لقائه مـع نظرائـه الصهاينة أنه "ليس هناك تحفظ على الإطلاق علـى قيـامهم

بالاستثمار في مصر في المجالات المفتوحة أمام الاستثمار الأجنبي وهي مجالات عديدة واسعة، كما أننا شرحنا لهم التسهيلات والتيسيرات الجديدة التي أدخلتها الدولة مؤخرا على القواعد والإجراءات المنظمة للاستثمار في مصر، والحوافز التي أضيفت بقوانين سنها البرلمان أو بقرارات صدرت عن مجلس الوزراء ودخلت على الفور إلى حيز التنفيذ"[٤].

وكان "سعيد الطويل" رئيس جمعية رجال الأعمال المصريين، قد زار إسرائيل عام ١٩٩٥، على رأس وفد اقتصادي، والتقى – خلال الزيارة – مع "شمعون بيرس"، رئيس الوزراء الإسرائيلي – آنذاك – ومسئولين في وزارات الخارجية والاقتصاد والمال، وأبرم اتفاقات للتعاون المشترك مع مؤسسات مالية إسرائيلية، وبرر "سعيد الطويل" زيارته قائلاً: "إن التعاون الاقتصادي قد يصلح ما أفسدته السياسة، وما نفعله ليس إلا حلقة وصل مع جهود السلام"[٥].

وحتى في ذروة الصدام مع السياسات العدوانية المتطرفة لبنيامين نتنياهو وحكومته، وفي ظل قمة الغضب الجماهيري على ممارسات الدولة الصهيونية الخطيرة التي

أغلقت كل نوافذ الضوء أمام مسارات التسوية، ودفعت المنطقة إلى تخوم الحرب، كانت العلاقات الاقتصادية بين الرأسماليين المصريين، والعرب، من جهة، وبين نظرائهم الصهاينة من جهة أخرى.. "سمن على عسل" كما يقول التعبير الدارج.

ففي شهر مارس عام ١٩٩٧، مثلاً، عقد في نيويورك مؤتمر "مصر – إدارة "النجاح"، حضره ممثلاً للشركات الإسرائيلية – "بن جاعون"، رئيس مؤسسة "كور" الصناعية الإسرائيلية العملاقة (السابق الإشارة لها)، والتي تعمل في مجالات التسليح وتكنولوجيا الاتصالات والصناعات الكيماوية والمقاولات والإنشاء والتشييد والصناعات المكملة والتوريدات وخلافه.

وقد أعلن "بن جاعون" أن رجال الأعمال المصريين، الذين اصطحبوا "إبراهيم كامل" في زيارته لإسرائيل، قد ناقشوا مع المسئولين فيها عدد من المشروعات المشتركة التي تخضع للدراسة منها مشروعات متقدمة للاتصالات، ومشروعات لشراء وتطوير أحد مصانع الأسمنت، وأخرى تتعلق بالزراعة والكيماويات.

وتمتد علاقات "شركة كور" – التي افتتحت مقرا لها في مصر منذ عام ١٩٨٠ – فتشمل مشروعات شبيهة في كل من الأردن، ومناطق "السلطة الوطنية الفلسطينية"، ويقول "بن جاعون" أن "لا سلام بدون تعاون اقتصادي"، وأن "خصخصة السلام هو طريق النجاح"!.. ومن وجهة نظره فإن لمصر – في مخطط التطبيع الاقتصادي/ السياسي/ الثقافي، موقعا رئيسيا، لأن "مصر سوق ضخم، بل أضخم أسواق المنطقة" وهو يثمن خطوة "إبراهيم كامل" بشراء حصة من أسهم شركة "كور"، لأنه أثبت أن "البيزنس مع إسرائيل حلال.. وهذا المبدأ هو أهم ما حققته صفقة د. "إبراهيم كامل" مع "كور"، وهو مبدأ يعني لنا (أي لإسرائيل) الكثير!"(٦).

ومن الطبيعي، والمنطقي، أن يكون لهذه العلاقات الاقتصادية، المادية، الوثيقة والمتنامية، بين قطاعات من الطبقة الحاكمة المصرية ونظائرها الإسرائيلية، وبين العديد من أجهزة الدولة المصرية (وبالذات في مجال الزراعة والسياحة) ومثيلاتها في إسرائيل. انعكاسات اجتماعية وسياسية وفكرية وثقافية (بالمنظور الواسع) أيضا، خاصة

وأن الدولة باركت وتبارك مساعي هذه الفئات – في مناسبات عديدة – مثلما تبدى من تصريح "عمرو موسى"، وزير الخارجية المصري، المؤيد لاتفاق "كوبنهاجن"، والمنتقد لمعارضيه.

وكخطوة في هذا السياق، شديدة الأهمية والدلالة – التقى وفد من رجال الأعمال المصريين، ضم "محمد فريد خميس" رئيس اتحاد الصناعات المصري السابق، و"محمود عبد العزيز"، رئيس اتحاد البنوك المصرية، و"محمود أبو العينين" رئيس مجموعة "سيراميكا كليوبترا"، والدكتور "أحمد بهجت" رئيس مجموعة "جولد ستار"، و"عبدالوهاب قوطة" عضو مجلس الشعب، و"كمال أبو الخير"، رئيس مجموعة "كميدار" للاستثمار والتنمية السياحية، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الكتّاب والمثقفين، مع رئيس الوزراء الصهيوني "بنيامين نتنياهو"، في زيارته لمصر.

ومن الغريب (!!) أن هذا اللقاء شهد طلبا تقدم به أحد رجال الأعمال المصريين، إلى "نتنياهو"، يدعوه فيه للضغط على "البابا شنودة" والكنيسة المصرية، حتى تسمح للأقباط المصريين "بزيارة القدس والحج إلى بيت المقدس!!"(٧)، وهو

تصرف يعكس بوضوح المستوى الهابط لوعي بعض رجال الأعمال المصريين، إلى الحد الذي يدفعهم للاستعانة بعـدو أمتهم من أجل حسم خلافات داخليـة، ولتغليـب مصـالحهم الضيقة على مصالح الوطن!.

وتلتقي هذه الانعكاسات الهامة، مع تطلـع صـهيوني عميق، يستهدف تطويع الإرادة الثقافية المصرية الموافقة لـه والمعادية لمشاريعه وطموحاته فـي الهيمنـة علـى بلادنـا ومنطقتها، وهذه التطلعات ليست حديثة العهد، وإنما تعود إلى سنوات طويلة ماضية، حتى قبل أن تتبلور العلاقات السياسية والاقتصادية أو تتخذ ملامح مستقرة، الأمـر الـذي يقطـع بخطورة هذه التوجهات وأهميتها القصـوى مـن منظـور الاستراتيجية الصهيونية.

٢- التطبيع الثقافي غاية صهيونية:

في أوائل عام ١٩٧٨، وبعد فترة وجيزة للغايـة مـن رحلة "السادات" إلى القدس (الأمر الذي يقطع بـأن الأمـور كانت مهيأة ومعدة مسبقًا)، صدر عن مؤسسـة "فـان ليـر" بالقدس (the van leer Jerusalem Foundation) دراسة متعددة الاتجاهات، تناولت الرؤية الإسرائيلية لسبل تحقيـق

"السلام الأمريكي – الإسرائيلي، في المنطقـة، ومردوداتـه بالنسبة لإسرائيل على كل المستويات: الاستراتيجية والفكرية والاقتصادية، الدراسة نشرت تحت عنـوان: "إذا مـا حـل السلام: المخاطر والتوقعـات: If peace Coming Risks and prospects وحررها "ألوف هاريفين"، وشـارك فيهـا نخبة من علماء السياسة والاقتصاد والثقافة الإسرائيليين هم: "شلومو أفنيـري"، "مـائير دوشـاليت"، "يتسـحاق دورر"، "أجيديون هاشمشوني"، "شاهليفيت فرير"، "إلياهو كانوفسكي"، "إسحق رابين" "العازار شمولي"، الذي كتب بحثًا مكثفًا وشديد الأهمية فيها، تحت عنوان "التعليم والثقافة بـدأه بتحديـد أن السلام بين إسرائيل و"جيرانها" ينبغي أن يكون له انعكاسات قوية على الثقافة ونظم التعليم لمواطني المنطقة، ومشيرا إلى أن هذه التأثيرات سوف تمتد إلى التشكيلات الثقافية ولخريطة النشاطات الثقافية للأفراد، ومؤكدا على أن عمليـة "إعـادة تشكيل"، أو "نمذجة" (Remodel) عملية التعلـيم بشـقيها: النظري والتطبيقي ستمتد للتأثير على الحياة اليومية للبشـر، وعلى مكونات الرؤى الاجتماعية والثقافية للمجتمعـات فـي المنطقة.

فعملية فتح الحدود – كما ذكر "شمولي"، لن تؤثر فقط على التبادل التجاري، وإنما سيمتد تأثيرهـا إلـى عناصـر المعرفة وحركة الأفكار والمعارف، وكذلك سيتأثر بها العلماء والمعلمون والفنانون.. وعبر عملية "التدفق الثقافي" هذه يمكن إحداث تغييرات ممكنة للنظم المعرفية، التعليمية والثقافية، يتم بمقتضاها نشر اللغات المتبادلة وتعرف كل طرف على أفكار وثقافة الطرف الآخر، وتشجيع القبول به وبتاريخه وحضوره "الزمني والجغرافي" كمدخل أساسي وضـروري لاسـتقرار عملية التسوية السياسية، وكشف "شمولي" الستار عن مؤتمر نظمته جامعة "هارفارد" الأمريكية (في ديسمبر ١٩٧٦)، أي قبل رحلة السادات للقدس بنحو عام كامـل، لاثنـي عشـر مسئولاً في مجال التعليم من مصر وإسرائيل وإيران وتركيا، تدارسوا معا "معضلات التعليم" خلال فترة انعقاد المـؤتمر، وهيئ خلال هذا الملتقى ما أسماه الباحـث "منـاخ تـوافقي" لاجتماع المسئولين المصريين والإسـرائيليين، بعيـدا عـن المؤثرات الناجمة عن المشكلات السياسية اليوميـة. لبحـث مستقبل العلاقات الثقافية بين البلدين فـي ظـل احتمـالات التسوية المرتقبة.

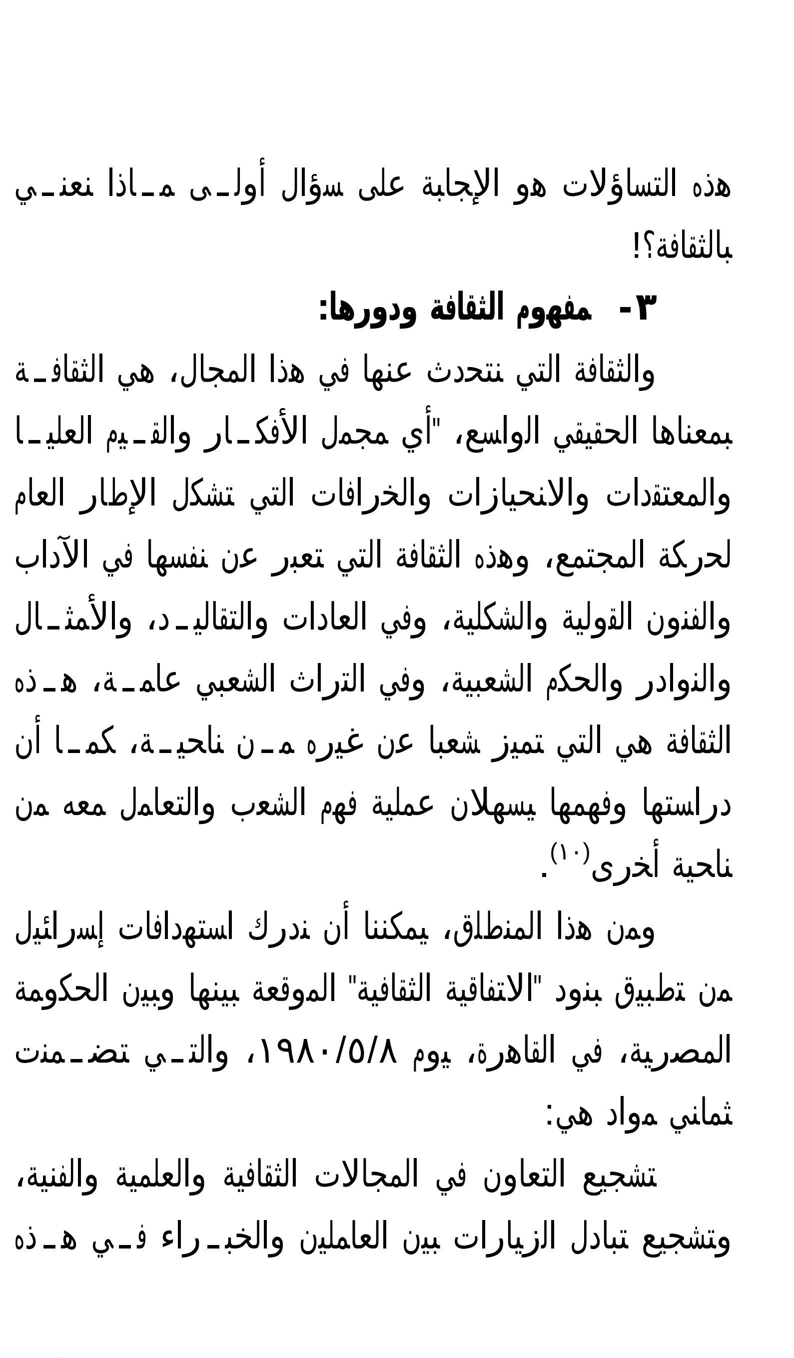
تشير هذه الوقائع وغيرها، بوضوح قاطع إلى مستوى الاهتمام الذي أولته الدولة الصهيونية، منـذ لاحـت بشـائر المفاوضات السياسية بينها وبين الأطراف العربية والسـلطة المصرية على رأسها، لموضوعية الثقافة والفكر والعقل فـي بلادنا، فهي تعرف جيدا أن الصخرة التي تتحطم عليها خطط التسوية هي صخرة المثقفين الذين وقفـوا بالمرصـاد فـي مواجهة محاولاتها الدائبة لاختراق جدار الرفض المصـري الشعبي، وهي تعرف جيدا أن تغييـر الأفكـار والمشـاعر الكامنة في أعمال العقل والوجدان، هو الـذي يضـمن لهـا استقرار ما تتوصل إليه من اتفاقات مع النظم العربية، وبدون حدوث هذا الأمر، فكل شيء يمكن أن ينهار في لحظات.

وقد كان "إسحق" نافون الرئيس الصـهيوني الأسـبق، واعيا أشد الوعي إلى هذا البعد المحوري من أبعاد الصراع، وفي خطابه بجامعة "بـن جوريـون" (٢٧ مـايو ١٩٧٩)، وبحضور "أنور السادات"، ذكر أن "تبادل الثقافة والمعرفـة لا يقل أهمية عن أية ترتيبات عسكرية وسياسية"، وقد أعلـن هذا الخطاب أن الإسرائيليين عاشوا طويلاً يرافقهم شعورهم المبتور "المرسوم عنا في أدبكم ووسائل إعلامكم، والتي لـم

يكن لها أساس من الواقع !!![8]، ثم عاد وكرر لدى زيارته لمصر، فيما بعد، هذا الزعم، داعيا إلى اتخاذ إجراءات محددة تستهدف تبديل "صورة الإسرائيلي" لدى العقل العربي، وقال إن كل صياغة أدبية أو دينية تخالف التصورات الصهيونية "تعد مساسا بالسلام!" وأعلن عن الحاجة إلى تشكيل قيادة مشتركة أسماها "قيادة السلام العليا!"، تتألف من المفكرين وعلماء النفس وأساتذة علم الاجتماع وبعض السياسيين، "مهمتها بحث الوسائل المناسبة لإقرار السلام وتعميقه بين الشعبين"[9].

لماذا تهتم إسرائيل هذا الاهتمام البالغ بالتطبيع الثقافي بينها وبين العرب، والمصريين في المقدمة؟! ولم تول مسألة "إعادة نمذجة" العقل المصري كل هذه العناية؟! ولماذا تضع عملية إعادة رسم "صورة الإسرائيلي" في المخيلة العربية والمصرية، على نفس مستوى أهمية الترتيبات السياسية والعسكرية بينها وبيننا؟!

للإجابة على هذه الأسئلة الهامة، وغيرها، ينبغي أن نبدأ "الحكاية" من أولها، فيكون المدخل الطبيعي للإجابة على



هذه التساؤلات هو الإجابة على سؤال أولى ماذا نعني بالثقافة؟!

٣- مفهوم الثقافة ودورها:

والثقافة التي نتحدث عنها في هذا المجال، هي الثقافة بمعناها الحقيقي الواسع، "أي مجمل الأفكار والقيم العليا والمعتقدات والانحيازات والخرافات التي تشكل الإطار العام لحركة المجتمع، وهذه الثقافة التي تعبر عن نفسها في الآداب والفنون القولية والشكلية، وفي العادات والتقاليد، والأمثال والنوادر والحكم الشعبية، وفي التراث الشعبي عامة، هذه الثقافة هي التي تميز شعبا عن غيره من ناحية، كما أن دراستها وفهمها يسهلان عملية فهم الشعب والتعامل معه من ناحية أخرى[١٠].

ومن هذا المنطلق، يمكننا أن ندرك استهدافات إسرائيل من تطبيق بنود "الاتفاقية الثقافية" الموقعة بينها وبين الحكومة المصرية، في القاهرة، يوم ١٩٨٠/٥/٨، والتي تضمنت ثماني مواد هي:

تشجيع التعاون في المجالات الثقافية والعلمية والفنية، وتشجيع تبادل الزيارات بين العاملين والخبراء في هذه

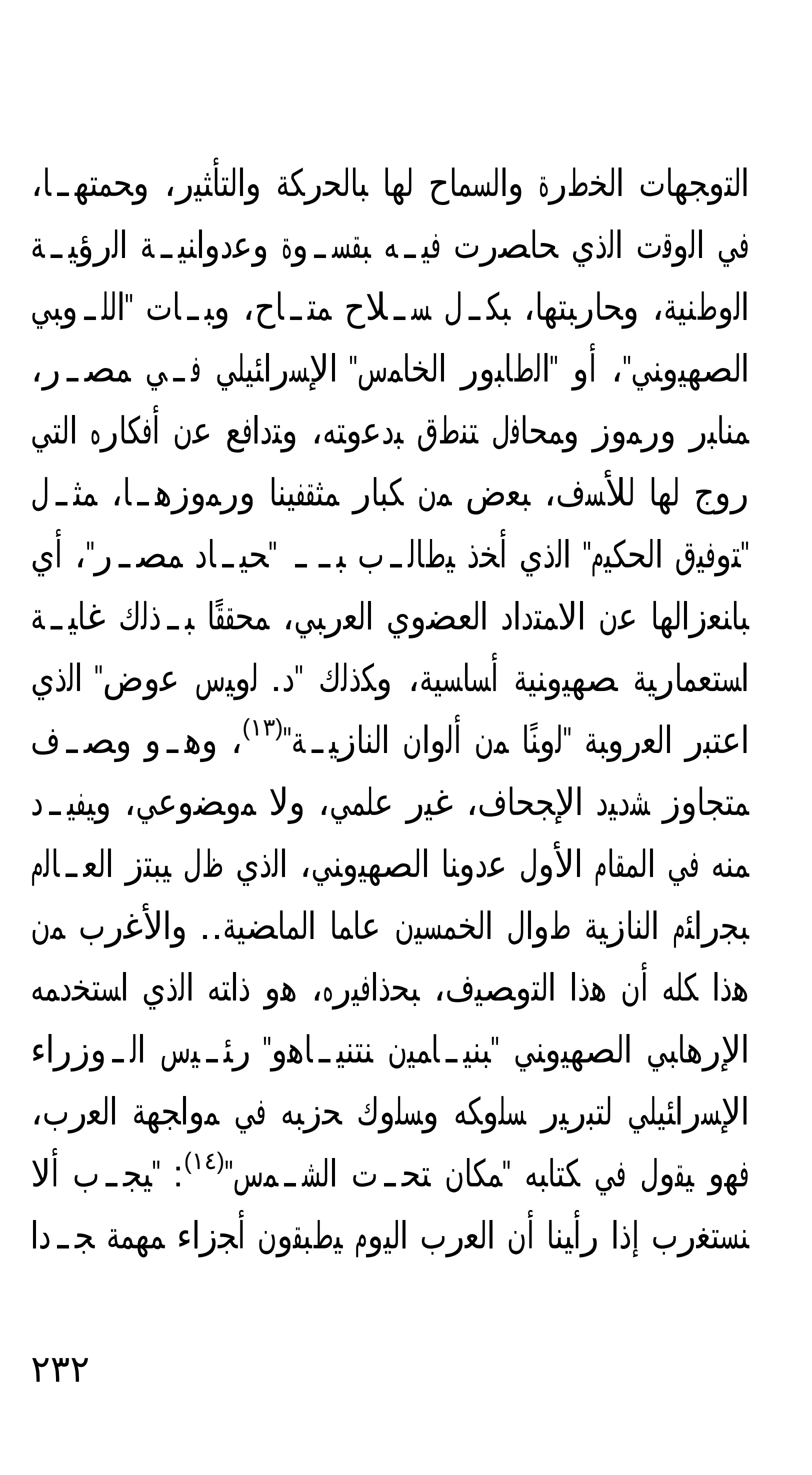
المجالات، فضلاً عن تبادل المطبوعات الثقافيـة والعلميـة والتعليمية وبرامج الإذاعة والتليفزيـون والأفـلام الثقافيـة والعلمية.. وغير ذلك[١١].

وكما هو معروف فإن الثقافة تشكل السـياج الحـامي لتراث الأمة وأفكارها وتجلياتها الإبداعية، ومن هذا المنطـق تتجسد الاستجابة الإيجابية للتحديات الثقافيـة بتبنـي ثقافـة المقاومة والفعل والإنجاز والانفتاح والتسـامح، أو تتجسـد الاستجابة السلبية للتحـديات بسـيادة المفـاهيم الماضـوية، الانتكاسية، السكونية الارتدادية المغلقة، ونرى هـذا البعـد الأخير "السلبي" في الثقافة الهروبيـة التـي تتخنـدق فـي الماضي، وتستدعي نموذج العصـور الذهبيـة. لمواجهـة تحديات الحاضر، وتروغ من حل إشكاليات اليوم بالحياة في الأمس، وهذا أمر طبيعي، ذلك أن "ردة الفعل المباشر علـى كل ما هو طارئ ووافد بقوة، هي العـودة إلـى المخـزون التراثي، لذا توافقت المقاومة المباشـرة للغريـب والمحتـل والغرب ببعث الثقافة القومية، وبلغ هذا السلوك سـقفه مـع الاتجاه الأصولي"[١٢].

وربما كان العدو الصهيوني أكثر إدراكًا – بحكم وعيه بمكامن القوة والضعف فينا، وبحكم الخبرة العمليـة أيضـا، لأهمية دور العنصر الثقافي الوطني في التصدي لمحـاولات اختراقه الدائبة لبلادنا، فهو يعرف جيدا أنه طوال عقدين من السنين (١٩٧٧ – ١٩٩٧) فشل في تحقيق أية إنجازات ذات قيمة، على المستوى الشعبي، وظلت الشكوى الدائرة لممثليه الرسميين من عجزهم عن الوصول إلى الشارع المصـري، أو اختراق حاجز الكراهية الشعبية والعزلة القاتلة مثلما عبر "موشيه ساسون" السفير الإسرائيلي السابق في كتابـه "سـبع سنوات في بلاد المصريين"، ومن ثم فقد تبلورت خططه في هذا السياق في المحاولة المستمرة لتفتيت الإجمـاع الثقـافي المصري الرافض – جذريا – لوجوده أو التعامل معه، عـن طريق السعي للتدمير الداخلي للقيم الثقافية الوطنية المحتشدة في مواجهته، واستبدالها بمنظومة جديـدة رخـوة، ضـعيفة التماسك، قابلة للاجتياح، سهلة التطويع.

٤- انحطاط الخطاب التطبيعي:

وقد نجح هذا المخطط المعادي للـوطن ومصـالحه، وساعدت الأنظمة العربية، مجتمعة ومنفردة، في دفـع هـذه


التوجهات الخطرة والسماح لها بالحركة والتأثير، وحمتهـا، في الوقت الذي حاصرت فيـه بقسـوة وعدوانيـة الرؤيـة الوطنية، وحاربتها، بكـل سـلاح متـاح، وبـات "اللـوبي الصهيوني"، أو "الطابور الخامس" الإسرائيلي فـي مصـر، منابر ورموز ومحافل تنطق بدعوته، وتدافع عن أفكاره التي روج لها للأسف، بعض من كبار مثقفينا ورموزهـا، مثـل "توفيق الحكيم" الذي أخذ يطالـب بـ ـ "حيـاد مصـر"، أي بانعزالها عن الامتداد العضوي العربي، محققًا بـذلك غايـة استعمارية صهيونية أساسية، وكذلك "د. لويس عوض" الذي اعتبر العروبة "لونًا من ألوان النازيـة"[١٣]، وهـو وصـف متجاوز شديد الإجحاف، غير علمي، ولا موضوعي، ويفيـد منه في المقام الأول عدونا الصهيوني، الذي ظل يبتز العـالم بجرائم النازية طوال الخمسين عاما الماضية.. والأغرب من هذا كله أن هذا التوصيف، بحذافيره، هو ذاته الذي استخدمه الإرهابي الصهيوني "بنيـامين نتنيـاهو" رئـيس الـوزراء الإسرائيلي لتبرير سلوكه وسلوك حزبه في مواجهة العرب، فهو يقول في كتابه "مكان تحـت الشـمس"[١٤]: "يجـب ألا نستغرب إذا رأينا أن العرب اليوم يطبقون أجزاء مهمة جـدا

من استراتيجية الدعاية النازية"، (ص: ١٩٠)، "إن التشـابه الكبير بين نظريتي القومية النازية والعربيـة، يبـدو أمـرا طبيعيا ومفهوما لدى كثيرين من الشـعب العربـي!!" (ص: ٢١٧)، وهو أكبر دليل على انحطاط الخطـاب التطبيعـي، ودونيته، في مواجهة منطق الأعداء التاريخيين للأمة، والذي ينتهي به المقام إلى تبنـي أطروحـاتهم والنطـق بلسـانهم الصريح(!).

وإذا كان مثقفون وكتاب كبار من وزن "توفيق الحكيم" و"لويس عوض" قد جانبهم الصواب فـي رؤيـتهم لجـذور الصراع وأبعاده، واستهدافاته في المنطقة، إلى هذا الحد، فإن الرعيل الجديد من مفكري التطبيع، في مصر والعالم العربي، قد تمادوا في غيهم، ووصلوا في أطروحاتهم حـدودا غيـر مسبوقة، وبذلوا في سبيل خدمـة أهـدافهم التطبيعيـة كـل مرتخص وغالٍ، وبلغ انحطاط الخطاب التطبيعي لديهم حـدا يثير الرثاء، ويعكس – بصورة جلية – إحساسـهم الـدفين بعمق الجريمة التي ارتكبوها في حق الوطن، بتخطيهم "الخط الأحمر" للثوابت الوطنية المستقرة في ضمير الأمة، وأولهـا الدفاع عن مصالحها الوطنية وتراثها وثقافتها.

ويمكن لعينة من نماذج هذا الخطاب أن تشير إلى مضمونه ومحتواه ولغته، وأن تعكس مستوى الانحطاط "الموضوعي" الذي وصل إليه.

علي سالم: لا خطر من إسرائيل ولا طموحات لها في بلادنا والشعب المصري شعب جاهل(!):

"علي سالم"، الذي يصفه الكاتب "محمود مراد" في جريدة "الأهرام"، باعتباره: "النصير الأول لإسرائيل، وحامل لواء الدفاع عنها، والمبشر بعظمتها، وبما يمكن أن نجنيه، نحن المصريين والعرب، من خسارة إذا تجرأنا وتشجعنا على التصدي لها، ليس بالعدوان – كما فعلت – وإنما لكي نطالب بحقوقنا، وبالتمسك بالعدل والعدالة"[١٥]، هو أحد رواد التطبيع الثقافي (المصري) / الإسرائيلي، وقد بادر بالسفر إلى إسرائيل أكثر من مرة بتمويل ورعاية جهات صهيونية، كتب بعد عودته كتاب "رحلة إلى إسرائيل" (كتاب اليوم – ١٩٩٦)، الذي ينضح بالإعجاب بالأصدقاء الصهاينة، وبالتهجم على مصر وتراثها وثقافتها، ونعرض – هنا – لأهم الأفكار التي يتبناها على سالم، ويطرحها في أحاديثه وكتاباته[١٦].

١- لا تمثل إسرائيل أدنى خطـر علـى المنطقـة "علـى الإطلاق لا في المدى القريب ولا في المدى البعيـد"!، وهي كذبة صفيقة ينكرها الماضي والحاضر وتفضحها النوايا الصهيونية والمخططـات الإسـرائيلية المعلنـة والمستورة.

٢- الخطر الحقيقي – على مصر والمنطقة العربية – كمـا يحدده "علي سالم"، يأتي من "أصحاب الأفكار الشمولية، (اليساريين)، والفاشست (الناصـريين). و"حـزب ا " و"حماس" الجماعات الإسلامية والإخوانية، (أي الشعب كله بكافة طوائفه واتجاهاته).

٣- "المدافعون في مصر عن القطاع العام"، "هم المدافعون عن استمرار الحرب مع إسرائيل، وهم ليسوا أكثر من أدوات لجهات حكومية!" وكأن الدفاع عن ثروة الأمـة جريمة، وكأن "الجهات الحكومية" المزعومة هي التـي تدفع معارضي نهب الوطن للمعارضة، من وجهة نظر "علي سالم"، متجاهلاً أن هذه الجهات ذاتها هي صاحبة القرار الأول والأخير في تبديد ملكية الوطن وتصـفية

ركائز نهضته الاقتصادية تحت شـعار "الخصخصـة" الشهير.

٤- "الشعب المصري جاهل، لن يستطيع أن يفهـم معنـى زياراته (أي زيارات على سالم لإسرائيل) إلا إذا تخلى عن هذا الجهل(!) (من حديث مع ليلى نجـار، مذيعـة التليفزيون الإسرائيلي في برنامج "لقاء مع ليلى")؛ وهو من جهله ضد مصلحته(!!).

٥- "المثقفون المصريون بشيخهم (نجيب محفوظ)، وفتحي غانم مع السلام (الصهيوني!).. ولا أريد أن أورط أحدا بذكر اسمه(!)"؛ وعندما سألته المذيعـة عـن موقـف النقابات المعارض بقوة للعلاقات مع إسرائيل (مثل نقابة الصحفيين والمحامين)، كان رد على سالم: "إنها ضـد السلام لأنها نقابات تأسست في "أيام الحكم الشـمولي، ومازالت تحكم من الداخل بالحكم الشمولي"!!.

٦- " إسرائيل ليس لها طموح للهيمنة على النظام الشـرق أوسطي والخطر الأصولي المدعوم برغبـات إيـران التوسعية هو الذي يهدد المنطقة بالحرب".

٧- "أقرب شعبين لبعضهما البعض في المنطقة هما المصريون واليهود، ففي أعماق اليهودي ما يدفعه للتصور أنه ينتمي إلى قبيلة مصرية خرجت من مصر، ومن ناحية درجة التحضر، يرى أنه والمصري مكملان لبعضهما، وهو يكره أن يكون على عداء مع المصريين!!.

٨- الشعب المصري ضحية لحركة إعلامية مبتذلة، تجعله ضد حلفائه (أي إسرائيل)، حملة تصب في أذنه وعقله كل يوم أكاذيب عن ذلك العدو المرعب المخيف، وهذا العدو في تحليل الجيش الإسرائيلي نفسه، ليس أكثر من قرية إذا ما قورن بالمصريين!".

سميح القاسم: معارضو التطبيع: "مزايدون" و"عنصريون" و"جبناء" و"أولاد كلب"!:

لسميح القاسم. كشاعر من شعراء المقاومة الفلسطينية، رصيد كبير من الاحترام والإعزاز لدى قطاع كبير من أبناء الشعب الفلسطيني والجماهير العربية، ولذا كانت الصدمة كبيرة للغاية في تحولاته الاستراتيجية التي مسخته إلى بوق ساقط من أبواق التطبيع، يدافع عن العلاقة مع الإسرائيليين،

ويهاجم القوى الوطنية المصرية والعربية بأقذع الاتهامات والكلمات المبتذلة، التي لا تصدر إلا عن إنسان موتور، مهزوم، محبط فاقد الإحساس غائب الوعي.

وهذه عينة من خطاب التطبيعيين العرب، على لسان واحد منهم هو "سميح القاسم" المناضل السابق[١٧].

يدين القاسم كل الذين يأبون أن يكونوا مطية لعدو أمتهم، ويسبهم بأقذع كلمات السباب فهم "مزايدون"، و"تجار مبادئ"، "يركبون المرسيدس"، و"عنصريون"، و"عرقيون"، و"جبناء أقدامهم من قصب"، ويعتبر أن كل من يرفض الحوار مع الإسرائيليين هو "ابن كلب يزايد علينا .. ولن نسمح له بذلك"!!

وبصرف النظر عن سوقية الحجج والألفاظ والاتهامات التي يوجهها "سميح القاسم" لنا، نحن المعارضين للتطبيع مع عدو أمتنا، وهي مسائل لا يمكن – بأية حال – التغاضي عن مدلولاتها مع مثقف عربي وفلسطيني كبير بحجم "سميح القاسم". بصرف النظر عن ذلك، فما هي الحجج أو المبررات (القوية) التي يستند إليها "سميح" في إقراره لهذا الموقف؟!

يقول "سميح" مدافعا عن الدولة الصهيونية ومواطنيهـا الإسرائيليين، أنهم "جيران لنا وشركاء في الوطن والحضارة ولا مجال لتجاهلهم، ولا ينبغي للعداء السياسي أن يتحول إلى عداء عرقي"!!، والحق أن هذه الحجة شديدة الظلم والادعاء، وهي طعنة نجلاء ليس لنا فحسب، وإنما أيضا لسميح القاسم ذاته، الذي عاش عمره، واستمد مقومات شهرته من التغنـي بالوطن المسلوب وبمقاومة العنصرية الصهيونية الباطشة.

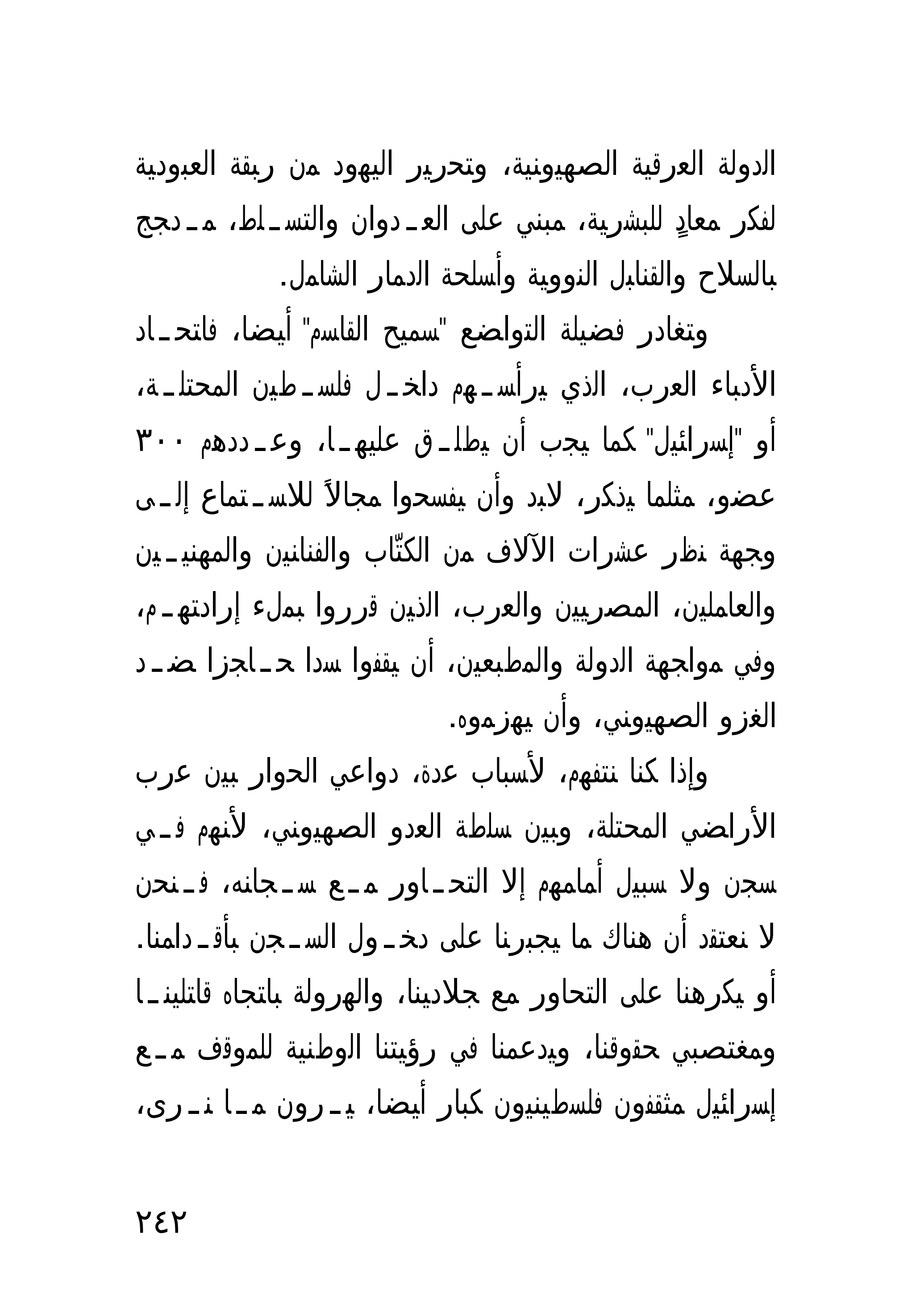
ليس "مائير" كاهانا" سيد العنصرية المعاصرة، الـذي عمل على سـحق الفلسـطينيين وإهـدار دمهـم، بعربـي، ولا العرب هم الذين اغتصبوا الأرض، وبقـروا البطـون، وهدموا الدور، وطردوا أهلها، وليس العرب هم الذين احتلوا بلادا كانت لهم (للشركاء والجيران الصـهاينة)، بـل هـم، أشتات الأرض، الذين أتوا لكي يسرقوها منا في عز النهار. ولا يعني هذا الأمر – بالطبع – أن العرب مبـرءون مـن الخطايا.. لكنهم – في هذا الأمر بالذات – كانوا ضحايا ولـم يكونوا جلادين.. ويمكن أن يسأل ملايين الفلسطينيين، الذين ما زالوا مشردين ترميهم الحدود للحدود، ويرفض الجميـع فتح الأبواب لهم، عمن تسبب في هذه المأساة الإنسانية؟!

كما أن التاريخ لم يعرف أن العرب كـانوا عـرقيين أو عنصريين، بل إن حضارتهم التليدة هي أبلغ دليل علـى التسامح والإنسانية، ففيها التقت الأجناس وتعـددت المنـابع، وما "ابن ميمون" و"السموأل" – اللذين يستشهد بهما سميح – إلا أبرز دليل على ذلك.

لقد فرط العرب، والمفاوض الفلسطيني – بالكثير مـن أوراق الضغط، وباتوا بلا مصدر يقوي موقفهم ويحميهم من استبداد "الجار وشريك الموطن" الصـهيوني – علـى حـد وصف "سميح القاسم"، وهم الآن يستجدون فـيض رحمتـه يلوذون به من عبء مواجهة الواقع المر وتحمـل مسـئولية تجاوزه.. وإذا ما فرط المثقفـون الوطنيـون، المصـريون والعرب، بورقة التوت الأخيرة، التطبيع!، يكونون كمن يهدم بيته على رأسه، ويقف عاريا في مواجهة عدو لا يرحم.. لقد تحطمت محاولات اختراق جبهة المثقفين الـوطنيين، علـى صخرة صمودهم، وليس لسميح، ولا لغيره، أن يغوونهم على تسليم آخر أسلحتهم وأسلحة أمتهم للعدو، نعم العـدو، مهمـا كان رأي "سميح" وزمرته من غلاة المطبعـين! والحـق أن لجوء "سميح" إلى استخدام حجـة "إزالـة مخـاوف" العـدو

الصهيوني، لتبرير عملية التطبيع، لهو أمر عجيـب وشـاذ بالفعل. فمن هو المعتدى عليه الذي يحتاج لإزالـة أسـباب تخوفه؟! واستخدام هذه الحجة المقيتة ليس إلا تكرارا خطيرا لمقولة إسرائيلية ابتزت بها الصهيونية العالم أجمع!! وحينما يرددها عربي فهي إقرار بأحقية عدونا في ما يـردده مـن دعاوى زائفة وأباطيل كاذبة، يروج بها لمفاهيمه العنصرية!

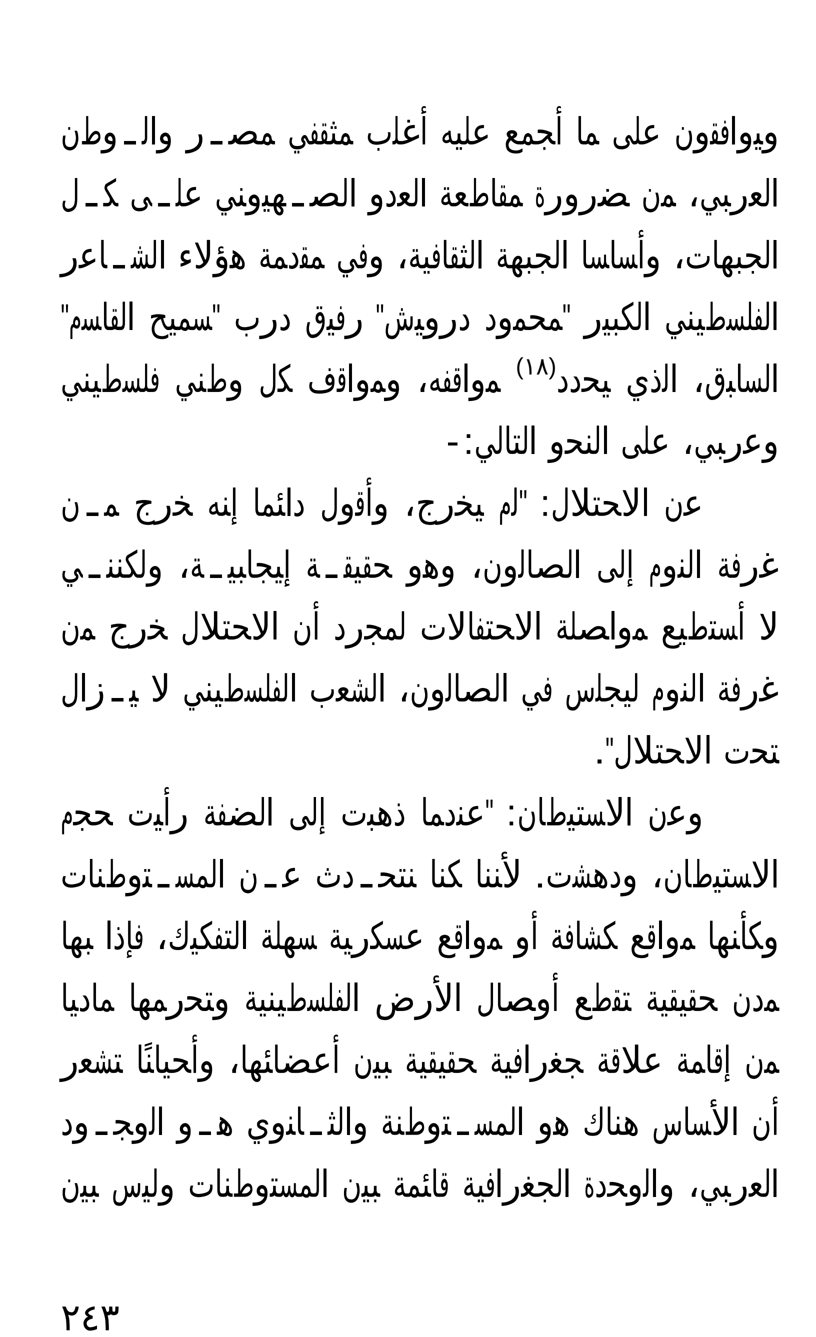
ويعترف "سميح القاسم" في ثنايا حديثه، بأن ما حـدث داخل إسرائيل من تغيرات، مرجعه الأساسـي، الحـروب، وليس للأسباب الثقافية: "انتصار أكتوبر وعملية العبور هـي التي غيرت، خروجهم من بيروت سـنة ١٩٨٢ وانتفاضـة الحجارة غيرتا أيضا"!! وهي عين ما نقول بـه، ويـدحض مقولات "سميح" والمطبعين معه، من أساسها، فهـذا كيـان عدواني بني على العنف وعبادة القوة والصمود في مواجهته، والإصرار على الحق المغتصب، والذود عنه بقدر الطاقـة، هو السبيل الوحيد لمواجهة الهجمـة الصـهيونية وإحـداث تغيرات استراتيجية في بنية إسرائيل العدوانية.. وليس غايتنا بالطبع أن "نرمي اليهود في البحر" كما ادعوا، وإنما نستهدف كسر شوكة الأيديولوجية العنصرية الصهيونية، وتفكيك بنية



الدولة العرقية الصهيونية، وتحرير اليهود من ربقة العبودية لفكر معادٍ للبشرية، مبني على العـدوان والتسـلط، مـدجج بالسلاح والقنابل النووية وأسلحة الدمار الشامل.

وتغادر فضيلة التواضع "سميح القاسم" أيضا، فاتحـاد الأدباء العرب، الذي يرأسـهم داخـل فلسـطين المحتلـة، أو "إسرائيل" كما يجب أن يطلـق عليهـا، وعـددهم ٣٠٠ عضو، مثلما يذكر، لابد وأن يفسحوا مجالاً للاسـتماع إلـى وجهة نظر عشرات الآلاف من الكتّاب والفنانين والمهنيـين والعاملين، المصريين والعرب، الذين قرروا بملء إرادتهـم، وفي مواجهة الدولة والمطبعين، أن يقفوا سدا حـاجزا ضـد الغزو الصهيوني، وأن يهزموه.

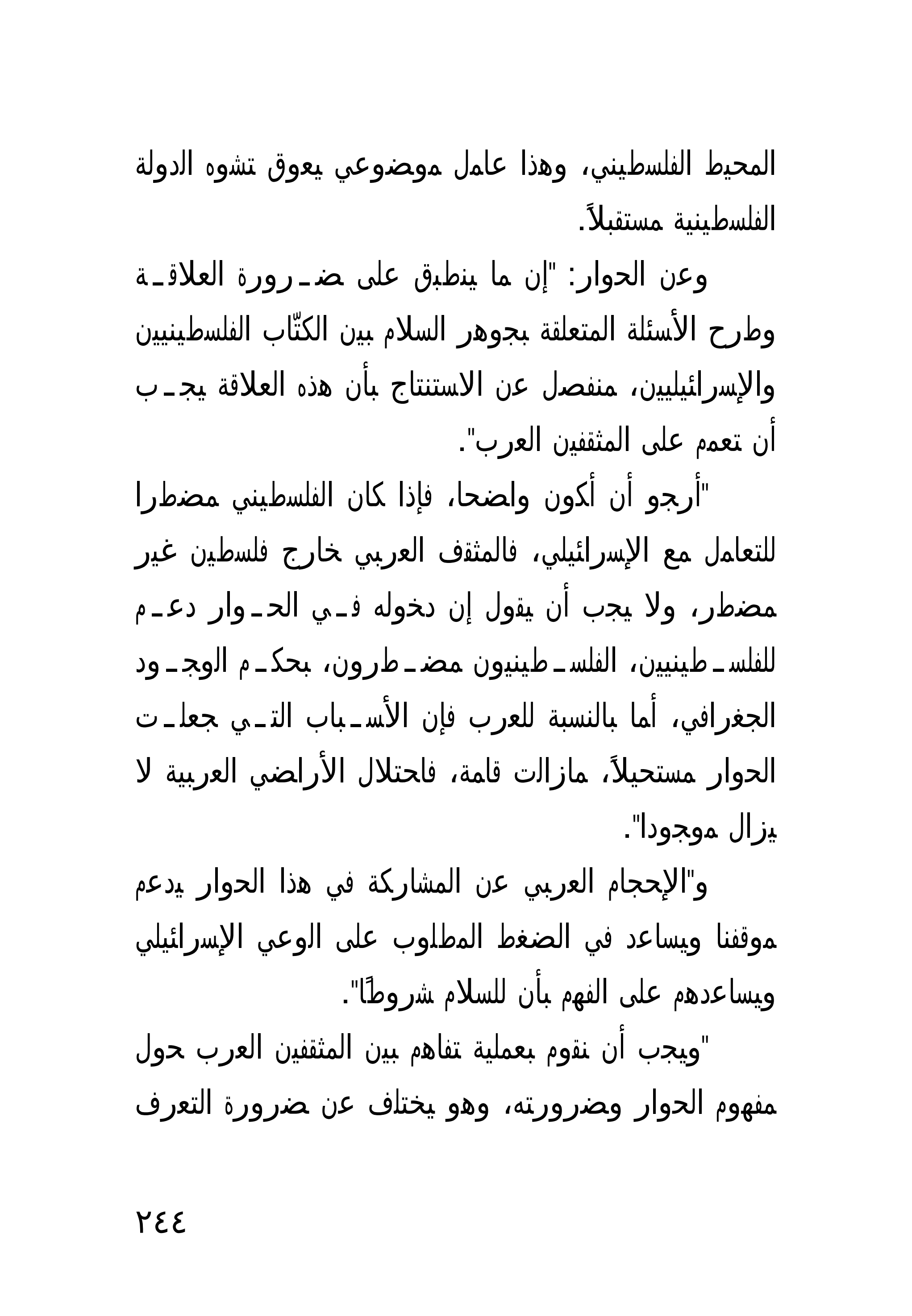
وإذا كنا نتفهم، لأسباب عدة، دواعي الحوار بين عرب الأراضي المحتلة، وبين سلطة العدو الصهيوني، لأنهم فـي سجن ولا سبيل أمامهم إلا التحـاور مـع سـجانه، فـنحن لا نعتقد أن هناك ما يجبرنا على دخـول السـجن بأقـدامنا. أو يكرهنا على التحاور مع جلادينا، والهرولة باتجاه قاتلينـا ومغتصبي حقوقنا، ويدعمنا في رؤيتنا الوطنية للموقف مـع إسرائيل مثقفون فلسطينيون كبار أيضا، يـرون مـا نـرى،



ويوافقون على ما أجمع عليه أغلب مثقفي مصر والوطن العربي، من ضرورة مقاطعة العدو الصهيوني على كل الجبهات، وأساسا الجبهة الثقافية، وفي مقدمة هؤلاء الشاعر الفلسطيني الكبير "محمود درويش" رفيق درب "سميح القاسم" السابق، الذي يحدد[١٨] مواقفه، ومواقف كل وطني فلسطيني وعربي، على النحو التالي:-

عن الاحتلال: "لم يخرج، وأقول دائما إنه خرج من غرفة النوم إلى الصالون، وهو حقيقة إيجابية، ولكنني لا أستطيع مواصلة الاحتفالات لمجرد أن الاحتلال خرج من غرفة النوم ليجلس في الصالون، الشعب الفلسطيني لا يزال تحت الاحتلال".

وعن الاستيطان: "عندما ذهبت إلى الضفة رأيت حجم الاستيطان، ودهشت. لأننا كنا نتحدث عن المستوطنات وكأنها مواقع كشافة أو مواقع عسكرية سهلة التفكيك، فإذا بها مدن حقيقية تقطع أوصال الأرض الفلسطينية وتحرمها ماديا من إقامة علاقة جغرافية حقيقية بين أعضائها، وأحيانًا تشعر أن الأساس هناك هو المستوطنة والثانوي هو الوجود العربي، والوحدة الجغرافية قائمة بين المستوطنات وليس بين


المحيط الفلسطيني، وهذا عامل موضوعي يعوق تشوه الدولة الفلسطينية مستقبلاً.

وعن الحوار: "إن ما ينطبق على ضـرورة العلاقـة وطرح الأسئلة المتعلقة بجوهر السلام بين الكتّاب الفلسطينيين والإسرائيليين، منفصل عن الاستنتاج بأن هذه العلاقة يجـب أن تعمم على المثقفين العرب".

"أرجو أن أكون واضحا، فإذا كان الفلسطيني مضطرا للتعامل مع الإسرائيلي، فالمثقف العربي خارج فلسطين غير مضطر، ولا يجب أن يقول إن دخوله فـي الحـوار دعـم للفلسـطينيين، الفلسـطينيون مضـطرون، بحكـم الوجـود الجغرافي، أما بالنسبة للعرب فإن الأسـباب التـي جعلـت الحوار مستحيلاً، مازالت قائمة، فاحتلال الأراضي العربية لا يزال موجودا".

و"الإحجام العربي عن المشاركة في هذا الحوار يدعم موقفنا ويساعد في الضغط المطلوب على الوعي الإسرائيلي ويساعدهم على الفهم بأن للسلام شروطًا".

"ويجب أن نقوم بعملية تفاهم بين المثقفين العرب حول مفهوم الحوار وضرورته، وهو يختلف عن ضرورة التعرف

على تيارات الفكر والثقافة الإسرائيلية كواجب معرفي تجـاه أنفسنا".

"العـرب قبلـوا بالإسـرائيليين وقبـولهم صـادق، والإسرائيليون لم يقبلوا حتى الآن بسبب عقد تطاردهم، وكلما قبلتهم أكثر طالبوك بضمانات تتعلق بالقرن الثاني والعشرين للتعجيز".

وأخيرا، فمحمود درويش، الشاعر الكبير والمناضـل الكبير أيضا هو القائل: "ليس من شروط المفاوضات تخلـي الفلسطينيين، (والعرب طبعا)، عن ذاكرتهم التاريخية"(١٩)!

د. عبد العظيم رمضان: لإسرائيل الحق في الوجـود، ورافضو التطبيع متخلفون عقليا:

وينحط "الدكتور عبد العظيم رمضان" إلـى درك مـن الإسفاف غير مسبوق في أية دراسة أكاديمية، أو لواحد مـن أصحاب المواقع العلمية، فيبادر بوصف المكافحين من أجـل حرية أوطانهم ناعتًا إياهم بالإرهـابيين، فـي حـين يمـنح إسرائيل صك البراءة من أية أعمال إرهابية فعليـة (ومـن ضمنها مذبحة قانا) محددا العدو، والخطر الأكيد بما يسـميه "قوى التطرف العربي" التي لا تستطيع أن تهضـم أسـاليب

النضال التي تتفق مع العصر الجديد(!).. ويزعم رمضان أن "قوى التطرف العربي" هذه هي التي تقوم "باستفزاز المجتمع الإسرائيلي وإثارة خوفه" وتشكيكه في جدية مساعي العـرب السلمية(!) وينصب "عبد العظيم رمضان" من نفسـه قاضـيا للدفاع عن مفهوم الصهاينة لـ "الأمن الإسرائيلي"[٢٠] ويزعم – دون أدنى إحساس بفضيلة التواضع الذي يليق بالعلمـاء – أنه استطاع (ومعه بعض المثقفين المصريين مـنهم الكاتـب أنيس منصور) أن يحول نصف المجتمع الإسرائيلي لطريـق السلام(!)، ثم يتهم المعارضين للتطبيع بأنهم "ليسوا متخلفـين سياسيا، بل بعضهم متخلف عقليا!!"[٢١]، ويتمادى في أفكاره إلى الحد الذي يدفعه إلى أن يكون "ملكيا أكثر مـن الملـك"، فيزعم أن علينا نحن "أن ندرك أيضـا أن حركـة التـاريخ تقتضي وجود الدولة الإسرائيلية!!"[٢٢]، وهذه – حسب علمي – هي المرة الأولى التي يتطـوع فيهـا كاتـب مصـري، أو عربي، باختلاق مبررات لوجـود الدولـة الإسـرائيلية، يلصقها لصقًا بـ "حركة التاريخ"، متجاوزا في ذلك العديـد من عتاة الصهاينة حتى!

وكان "عبد العظيم رمضان" قد عاب على المصـريين الرسميين إبطاء معدل تطور العلاقات مـع إسـرائيل، فـي أعقاب مذبحة الخليل، ونشر في جريدة الأهرام سلسلة مـن المقالات بعنوان "أكذوبة الأمن القـومي العربـي" (٩، ١٣، ١٩٩٤/٤/٢٣) طالب عبرها العرب الكف عن الحديث عـن "الأمن القومي العربي"، باعتباره مصطلحا "نشـأ لأن الأمـة العربية كانت تواجه الخطر من جانـب عـدوين رئيسـيين لا ثالث لهما: وهما الإمبريالية وإسرائيل، وكانت تريد حماية نفسها من هذين العدوين، ولكن مع نهاية حرب الخليج كـان هذان العدوان قد تحولا إلـى حلفـاء(!) وأصـبح العـرب وإسرائيل يقفون في خندق واحد تتساقط علـيهم صـواريخ سكود العراقية"!! كما هاجم في المقال الثاني اليسار المصري لأنه بينما يفترض في اليسار بصفة عامة "قيادة التقدم ونقـل بلادنا إلى مركز عالمي أفضل كان اليسار المصـري، يفعـل العكس تماما، وكان على الدوام متخلفًا عن السـادات. فلـم يستطع أن يمد بصره إلى ما مد إليه السادات العظيم بصره". كما أنه متخلف عن الرئيس مبارك إذ إن اليسار المصـري الآن "يتجمد ويتقوقع في موقفه من إسرائيل، في الوقت الذي

يتحرك الرئيس مبارك برؤية ثاقبة إلى المستقبل، تستهدف مصلحة مصر في العالم المتغير، يراعي فيها كل المتغيرات.. وهكذا فالسادات العظيم حرر سيناء بينما لو كان اليسار المصري هو الذي حكم مصر لما تحررت سيناء، والآن يبدو اليسار المصري، بالمقارنة بالرئيس، أناسا يعيشون في العصور الوسطى"، ويبدو الرئيس مبارك، بالمقارنة بهم، "أشبه بقادم من المريخ يخاطب أناسا من أهل الكهف!"[٢٣].

وقد جعلت هذه المواقف – بكل ما تحويه من دلالات – كاتبا وأستاذًا وطنيا هو "جلال أمين" يكتب معلقًا على "حالة" الدكتور "رمضان" قائلاً: و"أنا الآن، بعد أن قرأت له ما قرأت أعتقد أنه من المفيد، بل ربما من الضروري أن يكون في حياتنا أمثال "د. عبد العظيم رمضان"، مؤرخًا وكاتبا سياسيا، بل ربما لو لم يوجد لكان علينا اختراعه. إذ فلنتصور حياتنا الثقافية بدون رجل مثله؛ نقرأه فنعرف بالضبط ما الذي تريده إسرائيل منا"!.

لقد قرر د. "رمضان" أن يصبح "واقعيا" وأن يلتفت إلى ما يحدث في العالم من "متغيرات"، وأن يكسب عيشه من أن

يحاول أن يلقن الناس مزايا الواقعية وحسن الجوار مع إسرائيل، وأن يعتبر الحدود القائمة بين الدول العربية هي الحدود المثلى لأنها هي الحدود "الواقعية" وأن يعتبر الأمن القومي العربي أكذوبة لأن العرب لم يستطيعوا تحقيقه حتى الآن، وأن استدعاء الكويت والسعودية للقوات الأمريكية إلى أراضيهما هو أحكم القرارات لأنه يتمشى مع كون الولايات المتحدة هي الزعيمة الوحيدة في العالم!!"[٢٤].

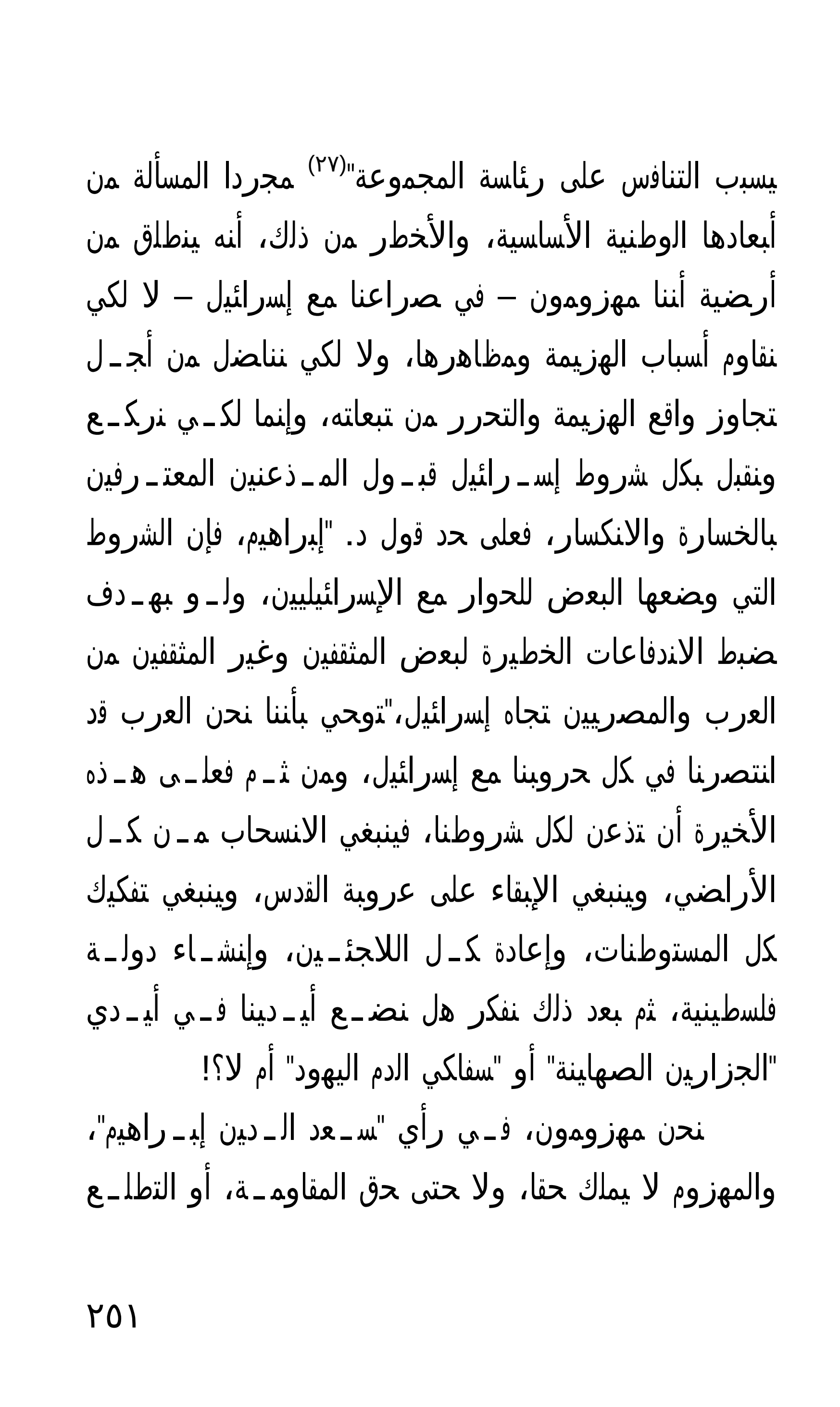
د. سعد الدين إبراهيم: المهزومون – مثلنا – لا حقوق لهم(!).. وهكذا تكلم "بنيامين نتنياهو"!:

الدكتور "سعد الدين إبراهيم" غني عن التعريف، وعلاقاته بالأمريكيين والإسرائيليين في غير حاجة لتوضيح، وهو نفسه يشير إليها صراحة فيقول إنه "مشترك في مبادرات أخرى من أجل السلام!"، منها تلك المسماة "البحث عن أرضية مشتركة" أو "المبادرة من أجل السلام والتعاون"، وهو جهد بدأ قبل عملية كوبنهاجن بست سنوات، بل وسبق اجتماع السلام في مدريد، وبعض من شاركوا في تلك المبادرة شاركوا أيضا في وفود بلادهم في مدريد[٢٥].

وكان "سعد الدين إبراهيم" وزوجته (الأمريكية) ضيوفًا على مؤتمر "التسامح الممكن في الشرق الأوسط"، الذي عقد في القدس المحتلة، وقد عبر عن "فرحته ودهشته من حرارة الترحيب الدافئ الذي قوبل به هو وزوجته في إسرائيل"، كما قدم في هذا المؤتمر اعتذاره عن مواقفه الوطنيـة (سـابقًا) بسبب "أنني كنت طفلاً، وتلقفتني "القومية العربيـة" إياهـا.. والآن: نضجت.. وفي حرب الخليج اكتشـفت أن إسـرائيل ضحية"!!

كما تحدث مؤبنًا "إسحق رابين"، في خطاب مؤثر قرأه في الجلسة الختامية للمؤتمر، ناعيا الرجل" الـذي اسـتعظم العرب واليهود مقتله!!"، متجاهلاً دور رابين الإرهابي فـي صنع الدولة الصهيونية، والحروب التي قادها ضد وطننـا، والخراب والدمار الذي تسبب فيهما لأبناء شعبنا، وتحطيمـه لعظام أطفال فلسطين[٢٦].. إلخ!!.

ويعتبر "سعد الدين إبراهيم"، أن الحوار الذي دار حول "كوبنهاجن" في مصر "يعكس تخلفًا فكريا مذهلاً في نوعيـة الخطاب ومناهج الاختلاف"، ويرجع أسباب الخـلاف حـول أطروحات مجموعة "كوبنهاجن" إلى "أبعاد شخصية".. "ربما



يسبب التنافس على رئاسة المجموعة"[٢٧] مجردا المسألة من أبعادها الوطنية الأساسية، والأخطر من ذلك، أنه ينطلق من أرضية أننا مهزومون – في صراعنا مع إسرائيل – لا لكي نقاوم أسباب الهزيمة ومظاهرها، ولا لكي نناضل من أجـل تجاوز واقع الهزيمة والتحرر من تبعاته، وإنما لكـي نركـع ونقبل بكل شروط إسـرائيل قبـول المـذعنين المعتـرفين بالخسارة والانكسار، فعلى حد قول د. "إبراهيم، فإن الشروط التي وضعها البعض للحوار مع الإسرائيليين، ولـو بهـدف ضبط الاندفاعات الخطيرة لبعض المثقفين وغير المثقفين من العرب والمصريين تجاه إسرائيل،"توحي بأننا نحن العرب قد انتصرنا في كل حروبنا مع إسرائيل، ومن ثـم فعلـى هـذه الأخيرة أن تذعن لكل شروطنا، فينبغي الانسحاب مـن كـل الأراضي، وينبغي الإبقاء على عروبة القدس، وينبغي تفكيك كل المستوطنات، وإعادة كـل اللاجئـين، وإنشـاء دولـة فلسطينية، ثم بعد ذلك نفكر هل نضـع أيـدينا فـي أيـدي "الجزارين الصهاينة" أو "سفاكي الدم اليهود" أم لا؟!

نحن مهزومون، فـي رأي "سـعد الـدين إبـراهيم"، والمهزوم لا يملك حقا، ولا حتى حق المقاومـة، أو التطلـع

للانتصار.. وهو ذات رأي العدو الصهيوني منطوقًـا علـى لسان "بنيامين نتنياهو" شخصيا، إذ يقول: "لا توجد سابقة أبدا لمثل هذه الظاهرة التي يطالب فيها معتد مهزوم(!) باستعادة ما فقد في الحرب، ناهيك عن كون العرب يطـالبون بـنفس الأراضي التي كانت منطلقًا للعدوان"[٢٨].

وهكذا يحاول مفكرو التطبيع وسدنة التعاون الثقافي مع عدونا أن يروجوا لنفس الأفكار الخبيثة التي تصنع في تـل أبيب، وهم بدون رادع من وطنية أو ضمير يزايدون علـى الموقف الوطني، وترتفع أصواتهم بالـدفاع عـن المصـالح الإسرائيلية، وبتبني المفاهيم الصهيونية التي يصـكها قـادة إسرائيل وزعماء الإرهاب بها(!!).

• خرافة معسكر "السلام" في إسرائيل:

أما الحجة التي يستند إليه التطبيعيون العرب – "لطفي الخولي وعصبته" فهي أن هناك قطاعا ضخما في المجتمـع الإسرائيلي يناصر السلام وينحاز للحق العربـي(!!)، وهـي حجة واهية تكذبها الحقائق الموضـوعية، والفلسـفة التـي ارتكزت عليها بنية الدولة الإسرائيلية، ومسلكيات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة (عمل وليكود).. ويمكن – دحضا لهـذه

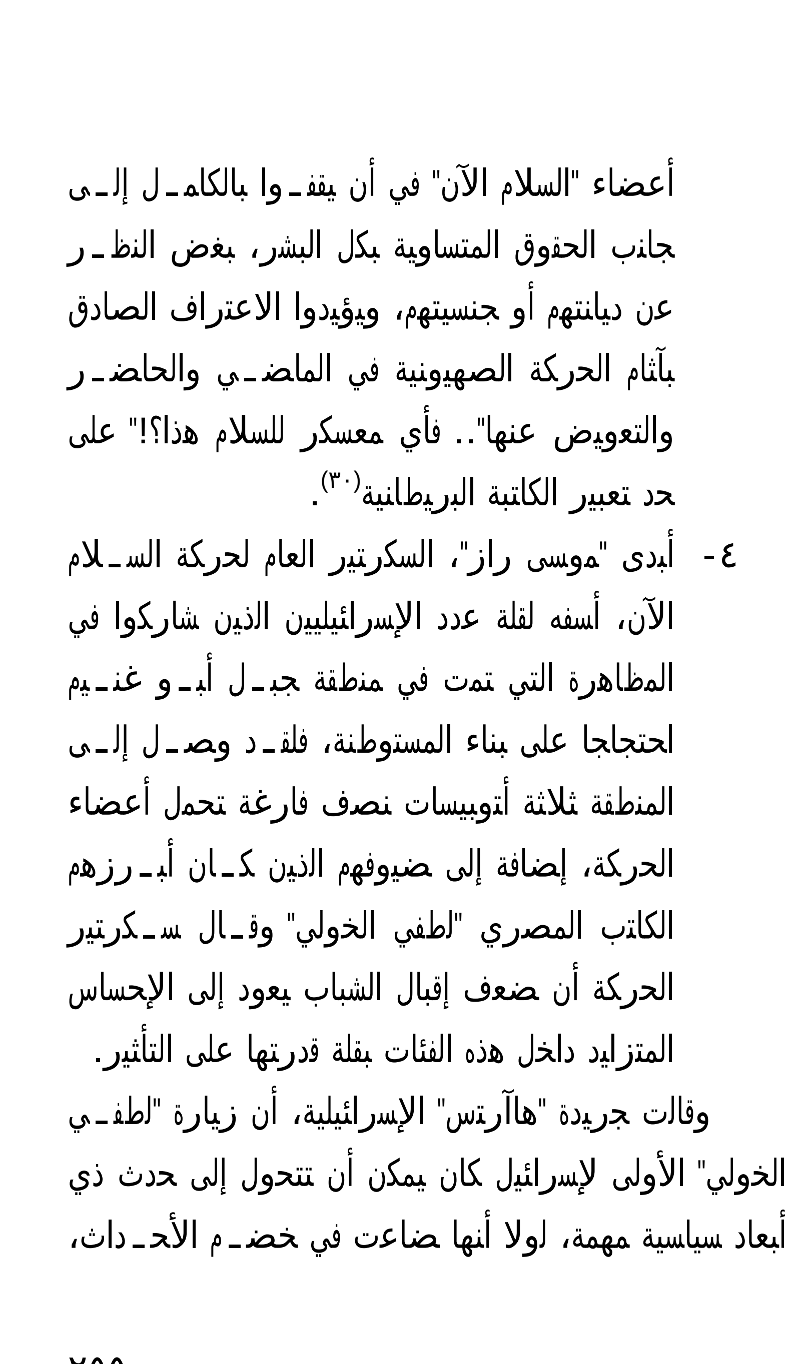
المزاعم – أن نرصد بعض المظاهر ذات الدلالة، على النحو التالي:

١- كل المحطات الرئيسية في بناء الدولة الصهيونية واغتصاب الأرض العربية وشن الحروب العدوانية على مصر والأمة العربية، تمت في عهود حكم "دعاة السلام" الإسرائيليين من حزب العمل، أو "اليسار" المزعوم في إسرائيل ، وآخرها "مذبحة قانا" التي راح ضحيتها العشرات من الأبرياء في القرية اللبنانية الجنوبية الوديعة، وعلى يد السفاح "شمعون بيرس"، "حمامة السلام" في نظر دعاة التطبيع وسدنة "كوبنهاجن"!!.

٢- كتب "ميخائيل وارشكوفسكي"، مدير "مركز المعلومات البديلة" بالقدس، يدين سلوك حزب العمل وجماعة "السلام الآن" لمواقفهما المخادعة، ويذكر أن "يوسي بيلين" زعيم حزب العمل والمهندس الرئيسي لاتفاقات أوسلو، توصل إلى اتفاق مع قادة الاستيطان" الرابي يو" و"بن بيمن"، حول اتفاقية قائمة على صفقة سياسية، يؤيد فيها اليمين "اتفاق

أوسلو" من جهته، على أن يفعل حزب العمل كل ما في وسعه لاستمرار المستوطنات وسياسة الاستيطان"[٢٩].

٣- في مؤلفه "السعي وراء السلام" تاريخ حركة السلام الإسرائيلية". للكاتب "موردخاي بار أون" يدين الكاتب أعضاء هذه الحركة الذين "كانوا يخشون أن يروا فعلاً ما يجري في الأراضي المحتلة"، ويشير إلى أن دوافعهم في حركتهم إنما هي الحرص على مصالح إسرائيل الذاتية، "بالترويج لمتطلبات الأمن البعيد المدى للبلاد والتصدي للتأثير المفسد للاحتلال على المجتمع الإسرائيلي"، وتشير "هيلينا كوبان". الكاتبة البريطانية، في عرضها للكتاب إلى الفوارق التي ميزت رؤى ومسار حركة المستعمرين البوير من ذوي الضمائر، خلال عهد الفصل العنصري (في جنوب أفريقيا)، مقارنة بمعظم أعضاء معسكر السلام الإسرائيلي اليهودي في الوقت الحاضر، "فالفارق الرئيسي بين ثقافتي هاتين الحركتين هو التردد القوي لدى معظم



أعضاء "السلام الآن" في أن يقفوا بالكامل إلى جانب الحقوق المتساوية بكل البشر، بغض النظر عن ديانتهم أو جنسيتهم، ويؤيدوا الاعتراف الصادق بآثام الحركة الصهيونية في الماضي والحاضر والتعويض عنها".. فأي معسكر للسلام هذا؟!" على حد تعبير الكاتبة البريطانية(٣٠).

٤- أبدى "موسى راز"، السكرتير العام لحركة السلام الآن، أسفه لقلة عدد الإسرائيليين الذين شاركوا في المظاهرة التي تمت في منطقة جبل أبو غنيم احتجاجا على بناء المستوطنة، فلقد وصل إلى المنطقة ثلاثة أتوبيسات نصف فارغة تحمل أعضاء الحركة، إضافة إلى ضيوفهم الذين كان أبرزهم الكاتب المصري "لطفي الخولي" وقال سكرتير الحركة أن ضعف إقبال الشباب يعود إلى الإحساس المتزايد داخل هذه الفئات بقلة قدرتها على التأثير.

وقالت جريدة "هاآرتس" الإسرائيلية، أن زيارة "لطفي الخولي" الأولى لإسرائيل كان يمكن أن تتحول إلى حدث ذي أبعاد سياسية مهمة، لولا أنها ضاعت في خضم الأحداث،

وقالت "هاآرتس"، إن "لطفي الخولي" بدأ خطابه قـائلاً "هـذا عهد الشعوب لا عهد الحكومة في بناء السلام" إلا أن الشعب الذي وجه إليه الخولي خطابه لم يكن موجودا فضلاً عن أنه كان مصابا بالبلبلة والاضطراب.

ويقول البروفيسور "إبيشاي مرغليث" من قادة الحركة: "إن الحركة تعاني ضعفًا متزايدا كمـا أن ضـعف حكومـة نتنياهو يسهم بشكل غريب في هذه السلبية المتزايدة، لأن لدى الجميع انطباعا خاطئًا بأن الحكومة سوف تنهار مـن تلقـاء نفسها"[٣١].

١- أفاد بحث دولي أجري في ٢٧ دولة، مـن بينهـا إسرائيل، أن "الشباب اليهودي يربط بـين السـلام وبين القيم عديمة المغزى" من وجهة نظره، مثـل "التعاون مع أوروبا" و"التضامن مع العالم الثالـث"! كما أكد البحث أن الشباب اليهودي فـي إسـرائيل "لا يضع السلام على رأس جدول القيم التي يـؤمن بها، أو تشكل محددا لسلوكه وحياته"[٣٢].

٢- أظهر استطلاع للرأي في جريدة معـاريف[٣٣] أن ٧٩,٤% من الإسرائيليين المشتركين فيه يعارضون

الانسحاب من جنـوب لبنـان، و١٦% يؤيدونـه و ٤/٦% لم يدلوا برأيهم.

وعلق "إسحق مردخاي"، وزير الحـرب الصـهيوني، على نتائج هذا الاستطلاع بأنه "يقدر حكمة الرأي العام الذي يتفهم الموقف ويدعم سياسة الحكومة والجيش"(٣٤).

فإذا كانت برامج وسلوكيات القوى السياسية الكبـرى، المؤسسة للدولة الصهيونية، العمل والليكود، فـي مسـارهما اليومي منذ خمسين عاما وحتى الآن، تكذب المزاعم الواهية عن التوجه الإسرائيلي للسلام، وإذا كانت "حركة السلام الآن الإسرائيلية" بهذا الضـعف والتفسـخ والتضـارب الفكـري والمبدئي الذي يعترف الجميع به، إلا أنصارها في مصر؟!، وإذا كان الشباب الإسرائيلي لا يجد في موضـوع "السـلام" قيمة ذات مغزى في حياته، وإذا كان ما يقرب من ٨٠% من المجتمع الإسرائيلي يؤيـد اسـتمرار الاحـتلال والعـدوان واستخدام فلسفة، القوة في مواجهة الأرض العربية والحقوق العربية المغتصبة.. فعن أي سلام، ولأي تطبيع يدعونا كهنة كوبنهاجن إذن؟! سؤال لا يحتاج لعناء حتى يمكـن الإجابـة عليه، وهو يعري بوضوح هشاشة الخطاب التطبيعي وإسفافه

وتناقضاته الداخلية، وكما يعكس – بوضوح لا مجال للـبس فيه – إلى أي مدى يشعر "التطبيعيون المصريون والعرب"، أنهم يضرون شعوبهم ضررا بالغًا بما يطرحونه من مفـاهيم مغلوطة، ويفرطون في مصائر الأوطان مقابل حفنـة مـن الأوهام، ويقايضون على مستقبل البلاد، ويختارون الارتماء في أحضان العدو التاريخي للأمة بإصرارهم على التـرويج لبضاعتهم الفاسدة.

• "كوبنهاجن" وإعـادة تثقيـف المثقفـين العرب:

إن إلحاح "عصبة كوبنهاجن" الآن بالذات على تعليمنا – نحن معارضي الاستسـلام للعـدو الصـهيوني – باسـم التطبيع، دروس "المتغيـرات الإقليميـة والدوليـة"، و"آداب السلوك في حضرة الملوك" وتجريعنا كأس تسوية الإذعـان الأمريكية الإسرائيلية المفروضة على أوطاننا باسم "السـلام" المزعوم، يبدو أمرا شديد الغرابة ويثير الريبـة والشـكوك ويطرح العديد من علامات الاستفهام فيما يخـص التوقيـت الذي طرحت فيه والكيفية التي أديرت بها العمليـة برمتهـا،

ويكفي أن نقارن مقالات "لطفي الخـولي" ومجموعتـه فـي "جريدة الأهرام" حول موضوع "كوبنهاجن" بمقولات "بنيامين نتنياهو" رئيس الوزراء الإسرائيلي حـول "إعـادة تثقيـف المثقفين العرب (والمصريين أساسا)"، لكـي نـدرك منبـع ومسار عملية "كوبنهاجن" من البداية حتى النهاية، فنتنيـاهو يرى أن موقف المثقفين الوطنيين العرب والمصريين المقاوم لمشاريع الهيمنة الصهيونية هو العقبة الرئيسـية فـي وجـه مخططات الليكود الإرهابية، حيث يقول نتنياهو "إن مصـير العلاقات بين العرب واليهود سيتحدد في المدارس والجامعات وفي قاعات تحرير الصحف وفـي المسـاجد فـي الشـرق الأوسط.. وللآن وبعد عشرين سنة تقريبـا مـن عقـد أول معاهدة سلام عربية إسرائيلية، فإنه لا يوجد قبول لإسرائيل، ولا كتاب مقرر في المدارس يشير لاسم إسرائيل كدولة لهـا الحق في الوجود، ولا طفل يتعلم أن إسرائيل هي جارة دائما، ولا صحيفة تتجنب أكثر أنواع التحريض المشحونة بالسموم ضد إسرائيل واليهود، ولا أي قيادة دينية في العالم العربـي تبشر بالتسامح تجاه الدولة اليهودية، ولن يحدث هذا التغييـر

إذا لم يقم المثقفون والقيادات الروحية فـي العـالم العربـي بالانضمام إلى الدعوة للقبول بإسرائيل[٣٥].

وهو ما وصفه صحفي أمريكي بأن "نتنياهو"، "يطالب بعملية غسيل مخ كاملة للعرب لا يستثني منهـا طفـل فـي مدرسة أو واعظ في مسجد أو مثقف أو حتى صحفي، وهي عملية لم يسبق أن حدثت بين أي أعداء سابقين حتـى بعـد مرور قرون، وليس عشرات السـنين، وبعـد زوال جميـع أسباب العداء، كما حدث بين فرنسـا وبريطانيـا أو فرنسـا وألمانيا، كما هو حادث الآن بين العرب والإسرائيليين، حيث مازالت أسباب العداء قابعة على الأرض في حالة اسـتفزاز مستمرة!"[٣٦]، وقد أدلى نتنيـاهو بهـذه التصـريحات ذات الدلالات الواضحة أثناء زيارته أخيرا إلى الولايات المتحـدة الأمريكية (فبراير ١٩٩٧). وفي هذه الزيارة قـدم رئـيس الوزراء الصهيوني إلى الإدارة الأمريكية خريطـة جديـدة لإسرائيل أسماها "خريطة الخطوط الحمراء"، وهذه الخريطة توضح بجلاء إسرائيل التي ستتضمنها التسـوية الليكوديـة المقترحة، حتى بعد عقد كافة معاهدات واتفاقـات السـلام،

حيث ستشمل ٥٠% من أراضي الضفة الغربيـة، "بالتمـام والكمال"[٣٧].

وإذا كانت عملية غسيل "المخ" المطلوبة، قد فشلت في السنوات العشرين السابقة – باعتراف قادة إسرائيل أنفسهم – فالمطلوب الآن أن يجتهد دعاة "كوبنهاجن" لتحقيق ما فشـلت فيه آلة الإعلام الأمريكية – الغربية – الإسرائيلية – الرسمية العربية، طوال السنين الماضية، وتحت دعاوى عن تجـاوز "التخريب الأيديولوجي"، والانتقـال مـن "الوقـوف علـى الرصيف" إلى الفعل المؤثر.. إلخ إلـخ، تمـارس "عصـبة كوبنهـاجن" كافـة أشـكال الابتـزاز السياسـي والثقـافي والأيديولوجي أيضا، من أجل إكراهنا على مغادرة مواقعنـا الوطنية، والتخلي عن قناعاتنا الفكرية، والعزف معهم علـى نوتة الليكود الموسيقية، بالضبط مثلما كتبها "بنيامين نتنياهو" وأركانه، ومن قبل "شمعون بيرس"، عراب "الشرق الأوسـط الجديد" وبطانته، وهو ما يتبدى واضحا في كتابـات "لطفـي الخولي" و"على سالم" و"محمد رضا محرم" ومن لف لفهم!

ويقودنا هذا التصور إلـى إدراك أن المعركـة مـع "تحالف كوبنهاجن"، وغيره من مسارات التطبيع والتطويـع،

لم تعد معركة بسيطة ولا هي جولة سريعة ستحسم بالضربة القاضية، وإنما – على الأرجح – ستكون معركـة طويلـة المدى، ستكسب بالنقاط، يجب أن يشن خلالها عشرات مـن الهجمات المتنوعة التأثير، والتي تستهدف العديد من فئـات المجتمع وقطاعاتـه لحصـار التـأثيرات الضـارة لحلـف "كوبنهاجن"، الذي هو – في الأساس – امتداد لحلف "كامـب ديفيد" بما يعنيه من مؤسسات وعلاقات ومصالح متشـابكة، تراكمت على مدى عقدين كاملين منذ زيارة السادات للقـدس في نوفمبر ١٩٧٧ وحتى هذه اللحظات.

وهذا هو التحدي الرئيسي الذي يواجه القوي الوطنيـة والديمقراطية في مصر والعالم العربي الآن، ويتوجب علـى المثقفين الوطنيين أن يرسموا لعملهـم المقـاوم اسـتراتيجية طويلة المدى، تأخذ في اعتبارها كافـة عناصـر الصـراع ومدخلاته، وتضع في حسبانها استنهاض كل القوى الفاعلـة في الأمة، وترتيب صفوف المثقفين الوطنيين، والبـدء فـي حملة وطنية مضادة، تفضح مخططات التطبيـع الثقـافي – و"حلف كوبنهاجن" كمحطة في هـذا الطريـق لا أكثـر – وتعري الأهداف الخطيرة الكامنة وراءها ووراءه.

هوامش الفصل الرابع

١- جريدة "الأهالي"، القاهرة، ١٩٩٦/١١/٦.

٢- جريدة "العالم اليوم"، القاهرة، ١٩٩٧/١/٦.

٣- المصدر نفسه.

٤- جريدة "العالم اليوم"، القاهرة، ١٩٩٧/٢/٣.

٥- انظر: جابر القرموطي، "إسرائيل فرقتهم، والاتحاد الأوروبي لم شملهم"، جريدة "الحياة"، لندن"، ١٩٩٨/٨/١٠.

٦- لميس الحديدي، "البيزنس مع إسرائيل "حلال": المشاركة في الخصخصة ومشروع للتكنولوجيا بين مصر وإسرائيل.. قريبا"، جريدة "العالم اليوم"، القاهرة، ١٩٩٧/٣/١٠.

٧- جريدة "العالم اليوم"، القاهرة، ١٩٩٨/١/٣.

٨- انظر: عرفة عبده على، "تهويد عقل مصر"، دار سينا، القاهرة، ١٩٨٩، ص: ١٥.

٩- المصدر نفسه.

١٠- قاسم عبده قاسم، "البعد الثقافي للصـراع العربـي الإسرائيلي"، مجلة الوحدة، الربـاط – المغـرب، السنة الخامسة، العدد ٥٦، مايو ١٩٨٩، ص: ٣٢.
١١- محسن عوض وسيد البحراوي، "أربع سنوات على التطبيع الثقافي بـين مصـر وإسـرائيل"، مجلـة المواجهة، يونيو، ص:١١.
١٢- د. أنيسة الأمين، "الثقافة والمقاومـة". فـي "ثقافـة المقاومة ومواجهة الصهيونية"، "لجنة الدفاع عـن الثقافة القومية – المجلس الثقافي اللبناني"، القاهرة. نوفمبر ١٩٨٩، ص: ٤٣ – ٤٤.
١٣- جريدة "الأهرام"، القاهرة، ١٩٩٨/٤/٧.
١٤- بنيامين نتنياهو، "مكان تحت الشمس"، دار الجليل، عمان، الأردن، ١٩٩٥.
١٥- جريدة "الأهرام"، القاهرة، ١٩٩٦/٢/٢٦.
١٦- المصدر: حديث علي سالم لجريدة "الحياة الدوليـة" (١٩٩٦/٦/٢٠)، وحديثه للتليفزيون الإسرائيلي مع المذيعة" ليلى النجار"، عرضت له جريدة العربـي

بتاريخ ١٩٩٦/٦/١٧. وجريدة "الدستور" بتـاريخ ١٩٩٦/٧/١٧.

١٧- المصــدر: مجلــة المصــور، العــدد ٣٧٧٣، ١٩٩٧/١/٣١ وحوار الصحفي "أسامة عفيفي" معه، جريدة الأسبوع، ١٩٩٧/٣/٣.

١٨- جريدة "أخبار الأدب"، القاهرة، ١٩٩٧/١٢/١٦.

١٩- جريدة "الحياة"، لندن، ١٩٩٥/٧/٧.

٢٠- د. عبد العظيم رمضان، "المتطرفون العرب وقضية الأمن الإسرائيلي"، جريـدة "الأهـرام"، القـاهرة، ١٩٩٦/٧/٦.

٢١- مجلة المصور، العدد ٣٧٧٥، ١٩٩٧/٢/١٤.

٢٢- مجلة المصور العدد ٣٧٧٨، ١٩٩٧/٣/٧.

٢٣- د. جلال أمين، أكاذيب عبد العظيم رمضان، جريدة العربي ١٩٥٤/٥/٢.

٢٤- المصدر نفسه.

٢٥- مجلة "روز اليوسف"، القاهرة، العـدد (٣٥٨٤) ، ١٩٧٧/٢/١٧.

٢٦- جريدة الأحرار، "القاهرة"، ١٩٩٦/١/١٥.

٢٧- المصدر نفسه.

٢٨- بنيامين نتنياهو، مصدر سبق ذكره، ص: ١٧١.

٢٩- ميخائيل وارشوفسكي، "بعد عـام علـى اغتيـال رابين"، جريدة "الأهالي"، القاهرة، ١٩٩٦/١٠/٦.

٣٠- "هيلينا كوبان"، "تأملات السنة الجديدة للأصدقاء في حركة السلام الإسرائيلية"، جريدة "الحياة"، لنـدن، ١٩٩٧/٢/٦.

٣١- مجلة "المصور"، القاهرة، العدد (٣٧٨٢)، ١٩٩٧.

٣٢- جريدة "هآرتس" الإسرائيلية، ١٩٩٦/١٢/١٦.

٣٣- جريدة "معاريف" الإسرائيلية، ١٩٩٧/٢/١١.

٣٤- مذكورة في: محمود عزمي، هل تستطيع إسـرائيل الخروج من "المستنقع" من دون تسوية مع سـورية أو شن حرب ضدها"، جريدة "الحياة" ١٩٩٧/٢/٤.

٣٥- محمد وهبى، "نتنياهو: إعادة تثقيف العرب ضرورة من ضرورات السلام"، مجلة المصـور، القـاهرة، العدد (٣٧٧٧)، ١٩٩٧/٢/٢٨.

٣٦- المصدر نفسه.

٣٧- المصدر نفسه.

الفصل الخامس

السلام المراوغ في "الشرق الأوسط الجديد"

"قراءة كتاب " عون ب س"

- <u>تقديم لابد منه:</u>

لقد توقفت عجلة "الشرق أوسطية" مؤقتًا، بعد أن تكفل بنيامين نتنياهو – بعنصريته الفجة وعدوانيتـه البغيضـة – بدفع هذه الفكرة جانبا، والارتكان إلى منظومة القهر والعنف التقليدية التي صاحبت الأيديولوجية الصهيونية منذ غرسـت أقدامها فوق أرضنا، وباعتبارها الأسلوب الوحيد الذي ينبغي التعامل مع العرب من خلالها.

لكن مأزق التسوية السياسية الراهن، الذي يقود المنطقة بأسرها إلى حافة الهاوية، ويهدد كل مـا تحقـق للمشـروع الصهيوني/ الإمبريالي وللمصالح الأمريكيـة الغربيـة مـن إنجازات، في العقدين الأخيرين حتّم إجراء انتخابات جديـدة، يجري الاستعداد لها في إسرائيل الآن، قد تقود حزب العمـل وأنصاره إلى سدة الحكم مجددا، ليعيـد مـن جديـد طـرح مشاريعه "السلمية" مرة أخرى، وهي – في نهاية المطاف – لا تخرج عن أفكار ومشاريع تكتل الليكود وبنيامين نتنيـاهو إلا من حيث الشكل، فهي السم في العسل، والموت في قفـاز من حرير ناعم. ومن أجل ذلك يجب أن نعيد قراءة "مانفستو" حزب العمل في طبعته الجديدة، كتـاب "شـمعون بيـرس" الأشهر، كي نتعلم منه الدروس الواجبة.

- **إنهم لا يقرءون:**

القصة معادة ولكن لا مفر من روايتها مرة أخرى: في كتابه "مـذكرات حملـة سـيناء – Dairy of the Sinai Campaign - ، الصادر عام ١٩٦٥، ألقى "موشيه دايـان" وزير الدفاع الإسرائيلي الراحل، الضوء على محاور خطـة حرب ١٩٦٧، التي منى فيهـا العـرب بهزيمـة لازالـت تداعياتها تؤثر فينا حتى الآن، وحينما سئل عمـا إذا كانـت الخشية قد انتابته من أن يكون العرب قد أطلعوا على الكتاب فانتبهوا لاستراتيجية الحرب المقبلة، أجاب بيقين: "لـم أكـن أخشى شيئًا.. لأنهم لا يقرءون".. وعلى هذا يراهن أعداؤنا.

فهم يعرفون أننا أمة جلها من الأميين، ويعرفون أكثر أن نخبة مثقفينا مشغولون عن مسـئولياتهم تجـاه شـعوبهم بأشياء أخرى غير أداء واجبهم الأسمى نحو بلادهم.. ولأنهم يشعرون بالمسئولية تجاه مواطنيهم – فهم لا يخشون بأسا من أن يكتبوا للرأي العام الخارجي ولشعوبهم ما يفكرون فيـه، وما يخططون له دون قلق.. لأنهم يعلمون أننا لا نقـرأ مـا يكتبون، ولا نتابع ما يحاك لنا!.

ومن أجل هذا، فإن الكتاب الذي بين أيدينا لابد أن يقرأ بدقة، وأن يستوعب بإمعان.

كل محب للوطن لابد أن يقرأه، وكـل غيـور علـى مستقبل بلاده ينبغي أن يدرسه جيدا، وعليه أن يتذكر دائما ما جاء فيه.

ولو كان بيدي لطبعت من هذا الكتاب ملايين النسـخ، ولوزعتها بأبخس الأسعار في أرجاء البلاد، حتـى يعـرف المصريون، وحتى يدرك العرب، ما يدبر لهم فـي الخفـاء، وما يرسم لمصائرهم من مؤامرات. وحتى ينتبهوا لما يعـده لهم الأعداء.. وأخيرا: حتى لا تتكرر مأساة "الهنود الحمـر"، مرة أخرى، في بلادنا، وعلى أرضنا، ونحن علـى أعتـاب القرن الحادي والعشرين!.

- Made in Israel

وليس هذا وحده هو الدافع لذلك.. وإنما هنـاك سـبب آخر مهم، هو أن يعرف المصريون والعرب، عمق الاختراق الذي أحدثته إسرائيل في جبهتهم الثقافية، تلك الجبهة الصامدة التي تحطمت على صخرة عنادها الوطني – في الماضي – كافة محاولات "التطبيع" مع العدو الصهيوني، وانكسرت على

درع تحديها – بالأمس – كافة مخططـات الغـزو الفكـري والثقافي – مقدمة الغزو المادي والحضاري – لعقل وطننا.

فمن قراءة هذا الكتاب نكتشـف بسـهولة ويسـر، أن الحجج والأفكار المطروحة على الساحة، حول "السلام" الذي سيجلب "الرخاء" في إطار ما أسمي "السوق الشرق أوسطية"، وكل "إبداعات" سادتنا الأفاضل مـن المفكـرين ورؤسـاء التحرير المرموقين، والكتاب العظام، و"الدكاترة الأشـاوس" الذين لا يشق لهم غبار، وكل الحيل المستخدمة في التـرويج لهذه الفكرة، وفي "تسويق" الدور الإسرائيلي القديم/ الجديـد، في منطقتنا، للأسف الشـديد، مكتـوب عليهـا Made in Israel، مطبوعة بحروف عبرية شديدة الوضـوح، وهـي جميعها خرجت من عباءة رجل واحد، يملـك كـل حقـوق الإبداع والتأليف والنشر.. والتوزيع أيضا.. هـو "شـمعون بيرس"، وزير الخارجية الإسرائيلية ثـم رئـيس الـوزراء الصهيوني السابق، مهنـدس اتفـاق "غـزة – أريحـا أولاً" و"اتفاقية طابا ثانيا" وعراب "السوق الشرق أوسـطية" فـي الشرق الأوسط الجديد، ولو كان الأسـاتذة الـذين صـدعوا أدمغتنا بما كتبوه لتجميل صورة الدور الإسرائيلي الجديد في

بلادنا يملكون بعض الشجاعة، أو شيء من الأمانة، لكـانوا اعترفوا بمصدر الوحي، وأشاروا – ولو من بعيد – إلى منبع الإلهام، وسر التناسق والترتيب في أطروحاتهم، والانسجام – على عكس العادة – البادي في مفاهيمهم عنها.. ولذكروا لنا الحقيقة على مراراتها.. ومن هنا نبدأ.

- ## من طرح الفكرة إلى تثبيت الواقع:

و"شمعون بيرس" ليس بالشخصية المجهولة أو محدودة التأثير، إنه واحد من صانعي إسرائيل الكبار، وهو واحد من أبرز شخصيات جيل الصهاينة المؤسسين الثالث، بعد الجيل الأول الذي طرح فكرة الدولة الصهيونية "تيودور هرتـزل"، والجيل الثاني الذي أسس بالفعل هذه الدولة، جيـل "حـاييم وايزمان، وديفيد بن جوريون"، ويشكل "بيرس" مع "إسـحق رابين" ومعهما "موشى دايان" ثلاثة من أهم عناصر الجيـل الثالث، بصماتهم واضحة في أركان الدولة، ودورهم معترف به في شتى أرجائها، وأداؤهم بـارز فـي أهـم ركائزهـا: المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وإذا كان الجيلان السـابقان، قد تحملا عبء بذور الشجرة الصهيونية السامة في أراضينا، فلقد تحمل الجيل الثالث، ولا زال يتحمـل، مسـئولية نشـر

ثمارها المميتة في أرجاء وطننا. وإقناعنا بأن فاكهتها المـرة هي الأطيب والألذ والأشهى.

- **الشرق الأوسط الجديد:**

"الشرق الأوسط الجديد" هو عنوان الكتاب، الذي صدر في مستهل عام ١٩٩٤ عن دار نشر (Element) في لندن، وأصدرت "دار الجيل"، (بعمان – الأردن) ترجمة عربية له، ثم ترجم بعد ذلك أكثر من مرة في أكثر من موقع عربـي، وهو كتاب ليس ككل الكتب: إنه برنـامج عمـل، أو خطـة للتنفيذ، هدفه الواضح والمعلن، إعادة رسم خريطة المنطقـة بما يتفق والدور الإسرائيلي المقبل فيها، وبما يحقق مصـالح المشروع الصهيوني التاريخية بها. وغاياته المحددة: فـرض الأمر الواقع لإسرائيل، لا باعتبارها كما هو الحال – جسـم غريب دفع قسرا وقهرا بين ثنايا وطننا، وإنما على أساس أنه جزء عضوي من كيان المنطقة، يتفاعل معها، ويقودها بمـا يحقق له وضعية مميزة في بلادنا، وبالطريقة التي تجلب لـه عوائد هائلة، تضمن بقائه في القمة، وللأبـد، وهـذه المـرة برغبة مواطنيها، وبحماس أهليها ذاتهم!.

* ## دواعي الفكرة:

مثلها مثل أي فكرة أو عقيدة تسعى للتحقق في الواقـع المعاش، تتقدم العنصرية الصهيونية وتتراجع حسبما يواجهها من مقاومة أو يجابهها من عقبات، وتتخذ في كل حالة منهجا للصراع يناسب ظروفها، ويوائم حاجاتها.. لكنـه فـي كـل لحظة لا يبعد بها عن غايتها النهائية إلا لكـي يتقـدم ثانيـة باتجاهها.. فالهدف النهائي واضح، ومحطة الوصول ماثلـة، والعيون شاخصة إليها، والأقدام سائرة نحوها.. مهما كانـت التراجعات التكتيكية أو التبـدلات اللحظيـة فـي الخطـط والأساليب.

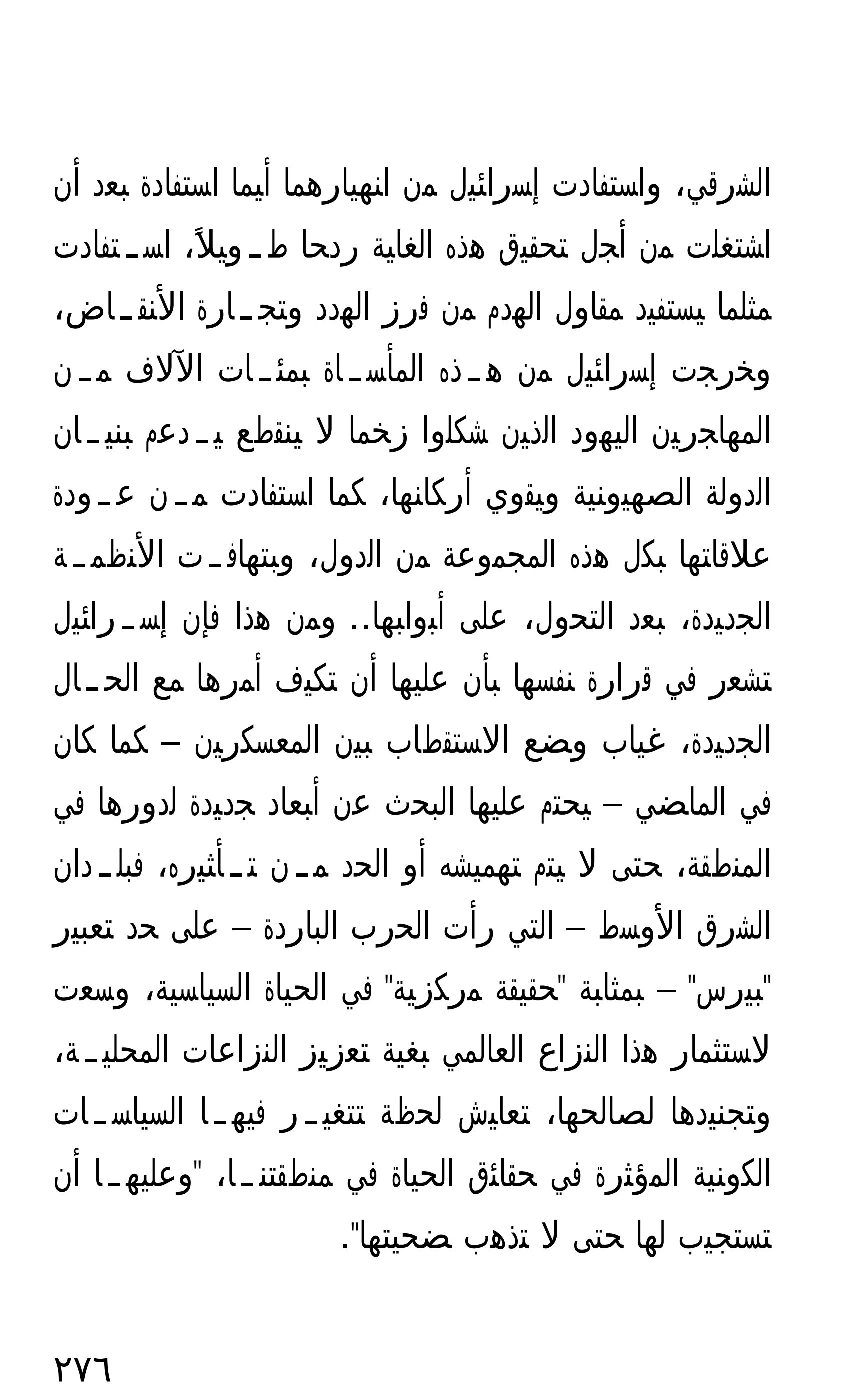
و"السوق الشرق الأوسطية" واحـدة مـن التكتيكـات الإسرائيلية الجديدة والمتجددة: خطوة هامة علـى الطريـق باتجاه تحقيق حلم "الأرض الموعودة"، تماما مثلما كان مؤتمر "بازل" بسويسرا (عام ١٨٨٧) خطوة، ووعد بلفور (١٩١٧) خطوة، وإعلان قيـام الدولـة (١٩٤٨) خطـوة، وحـروب (١٩٥٦ – ١٩٦٧ – ١٩٧٣ – ١٩٨٢) خطــوة و"كامــب ديفيد" (١٩٧١) خطوة و"اتفاق إعلان المبادئ الفلسـطيني –

الإسـرائيلي (١٩٩٣) وطابـا (١٩٩٥)، و"وادي بلانتيشـن (١٩٩٨) خطوة هي الأخرى!.

فالدولة الصهيونية، باعتبارها مشروع غربي استيطاني استعماري متطور، اتصفت دائما بقدرة كبيرة على التشـكل، وبمرونة فائقة على التحول، لمواجهة ما يستجد من ظروف، وما يستحدث من تبدلات، وهو ما حدث أيضا مع مطلع حقبة التسعينات حيث أدركت إسرائيل أن العالم كله يمـر بفتـرة تحولات حاسـمة اسـتطاعت أن تفهمهـا، وأن تسـتوعب مستجداتها ثم تتحرك باتجاه الاستفادة منها أقصـى اسـتفادة متاحة.

• التبـدلات العالميـة وحـدود الـدور الإسرائيلي بعد انتهاء "الحرب الباردة":

ويمكن أن نلمس في الخلفية من طرح فكرة "السـوق الشرق الأوسطية"، كما بشر بها "شمعون بيرس" ومريـدوه، مجموعة من الأسباب والدوافع التي يشير إليهـا فـي ثنايـا كتابه: "أولها أن العالم لم يعد كما كان، ساحة لصراع دام بين قوتين عظميين، فلقد انهار "الاتحاد السوفيتي" وتفكك المعسكر



الشرقي، واستفادت إسرائيل من انهيارهما أيما استفادة بعد أن اشتغلت من أجل تحقيق هذه الغاية ردحا طويلاً، استفادت مثلما يستفيد مقاول الهدم من فرز الهدد وتجارة الأنقاض، وخرجت إسرائيل من هذه المأساة بمئات الآلاف من المهاجرين اليهود الذين شكلوا زخما لا ينقطع يدعم بنيان الدولة الصهيونية ويقوي أركانها، كما استفادت من عودة علاقاتها بكل هذه المجموعة من الدول، وبتهافت الأنظمة الجديدة، بعد التحول، على أبوابها.. ومن هذا فإن إسرائيل تشعر في قرارة نفسها بأن عليها أن تكيف أمرها مع الحال الجديدة، غياب وضع الاستقطاب بين المعسكرين – كما كان في الماضي – يحتم عليها البحث عن أبعاد جديدة لدورها في المنطقة، حتى لا يتم تهميشه أو الحد من تأثيره، فبلدان الشرق الأوسط – التي رأت الحرب الباردة – على حد تعبير "بيرس" – بمثابة "حقيقة مركزية" في الحياة السياسية، وسعت لاستثمار هذا النزاع العالمي بغية تعزيز النزاعات المحلية، وتجنيدها لصالحها، تعايش لحظة تتغير فيها السياسات الكونية المؤثرة في حقائق الحياة في منطقتنا، "وعليها أن تستجيب لها حتى لا تذهب ضحيتها".

• التلويح بالخطر الأصولي:

وإذا كان هذا المتغير، على المستوى العالمي، يـؤثر تأثيره المباشر على توازنات الصراع فـي المنطقـة، ممـا يستوجب وضعه في الحسبان، والتكيف مع آثاره ونتائجـه.. فإن هناك متغيرا إقليميا جديدا لا يقل أثرا، يتبدى خطره، كما يراه "شمعون بيرس" من خلف السطور وبين ثنايا الكلمات.. هو انبعاث الأصولية الدينية في العالم العربي والإسلامي.

يخوفنا "شمعون بيرس" مرتديا ثياب الناصح الأمـين، من مغبة التهوين من خطـر "الأصـولية الإسـلامية" فـي المنطقة، ويلقي الدروس والعظات حول مرتكزات التطـور الراهن في الحركات الأصولية، مرجعا إياهـا إلـى سـبب أساسي هو استطالة أمد الصراع العربي – الإسرائيلي، الأمر الذي أدى إلى "استمرار بؤس الملايين، وتحـول الكثيـرين، انطلاقًا من الشعور بالإحباط، إلى الغيبيات والعـالم الآخـر رافضين الدولة الحديثة، غارقين في "الأصولية الدينية" الأمر الذي يهدد "استقرار وسلام المنطقة، وينذر المصالح العالمية بالخطر" ويغالي "بيريز" – لهدف في نفس "يعقـوب" – فـي التلويح بخطر الأصولية فيقول "إن خطـر وقـوع الأسـلحة

النووية (أية أسلحة؟!) بأيدي المتعصبين الدينيين لا يمكن أن يبالغ به، فهو لا يشكل تهديدا لجيرانهم المباشرين فحسب، بل لعموم المنطقة والعالم، إن المزيج الفاتـك مـن الأصـولية الدينية، والصواريخ، والأسلحة غير التقليدية، يهدد السـلام"، وهو في هذا السياق يتناقض مع نفسه حين يقرر في موقـع آخر أن "المتطرفين" من السـنة شـأن متطرفـي الشـيعة، يعتبرون أن الخلاص من القادة السياسيين "الكافرين" واجبـا مقدسا لابد من إنجازه بأية وسيلة، وهم يعتبـرون أن هـذه الفريضة أهم من الجهاد ضد إسرائيل".. ويستشهد في تأكيـد هذه المقولة بما كتبه "محمد عبد السـلام فـرج"، "مـؤدلج"، الحركة السرية المسئولة عن اغتيـال "السـادات"، "جماعـة الجهاد": "إن العدو يتمثل فـي الحكـام الحـاليين، وواجبنـا المباشر هو محاربة هؤلاء الحكام، هذا هو الجهاد الإسلامي الحق، والنداء الأسمى الذي يجب أن يصب المسلمون عرقهم ويسفحوا دماءهم في سبيله"، فإذا كان الأصوليون لا يضعون مواجهة إسرائيل على جدول أعمالهم ولا يشـكلون خطـرا حقيقيا على وجودها، فما غاية "بيرس" إذن من التلويح بخطر

الأصولية؟!، الإجابة واضحة، وهي تأتي أيضـا فـي ثنايـا صفحات كتاب "الشرق الأوسط الجديد".

إن "شمعون بيرس" يوجه خطابـه هـذه المـرة إلـى السلطات الحاكمة في المنطقة العربية، ويضغط على مخاوفها من الأصوليين، كما يبتز منها مواقف راكعة، مرتميـة فـي أحضان إسرائيل، باعتبار أن الدولة الصهيونية هي الـدرع الحامي والستار الواقي من شر الأصولية، ويسـتخدم هـذه "الفزاعة" لتمرير فكرة "السوق" وتزيينها لهـم، بتصـويرها كمفتاح التنميـة الاجتماعيـة والاقتصـادية والديمقراطيـة المرجوة، ووسيلة القضاء على "الفقر والجهل" اللذان يمثلان "مهد الأصولية" وسر التعصب.

ويستخدم "شمعون بيرس" لتأكيد فكرته هذه مقولة حق يراد بها باطل، فهو يطالب بتخفـيض ميزانيـات التسـلح، وبشراء الخبز بدلاً من الدبابات، مشيرا إلى أن "الاسـتثمار الهائل في السلاح وتركيز المعرفة والمواهـب فـي مجـال الأمن، يأتي على حساب الاعتبارات الاجتماعية ويقود إلـى الفقر والمعاناة، وهما بدورهما يؤديان إلى بـروز التعصـب والأصولية والمهدوية"، دون أية مناقشة لمسئولية العدوانيـة

الصهيونية والإرهاب الإسرائيلي في تصعيد سباق التسلح في المنطقة، وبدون إشارة إلى أن هذا الخيار لم يكن ترفًا بالنسبة لدول المواجهة بالذات، وإنمـا كـان اسـتجابة موضـوعية لتهديدات الأمن القومي من إسرائيل ورعاتها.

• صعوبة قمع الانتفاضة:

وإذا كان ما تقدم يمثل استعراضا مركزا لدواعي طرح فكرة "الشرق الأوسط الجديـد" علـى المسـتويين العـالمي والإقليمي، فهناك على المستوى الداخلي عدة أسباب لا تقـل عنها أهمية منها: أن الانتفاضة الفلسطينية التي عمت أرجاء الوطن المحتل، باتت كانت قد أصبحت تشكل هما لا ينكـر، وعبئًا يصعب احتماله على الدولة الصـهيونية ومؤسسـاتها العسكرية والأمنية، إذ يعترف "شمعون بيرس" أن "رد هجوم عسكري مباشر من عدو، لأسهل بكثير من التعـاطي مـع معارضة مكينة من شعب فقد أرضه لا شرفه.. لقد أجبـرت قوات الدفاع الإسرائيلي على أن تغدو في الواقع ثكنة حامية – قوة حكم محلية – وأن جنودها المقدرين أعلـى التقـدير يتصادمون مع مواطنين محليين وأطفال في أزقة معسكرات اللاجئين في غزة وحـواري نـابلس، مسـتفزين بالفتيـان

الفلسطينيين رماة الحجارة، وواقعين تحت رحمة فتيان ملثمين يندفعون في الطرقات شـاهرين الخنـاجر أو المسدسـات، مطلقين أقذع النعوت ضد الحكم العسكري الإسـرائيلي. إن الذخيرة الحية والنصال الحادة التي يحملها هـؤلاء الشـباب لدليل نابض على عقم الأمر الواقع، الذي صمم لفرض أمـن إسرائيل!".

لكن الأمر لم يقف عند هذه الحدود وحـدها، بـل إن المؤشرات كانت تترى من الجانـب الآخـر، "الفلسـطيني الرسمي"، تشير إلى تطورات في مواقفـه تيسـر عمليـات الالتقاء بدون خسائر تذكر في الجبهة الإسرائيلية، فمنظمـة التحرير الفلسطينية – بعد عمليات ترويض مستمرة – كانت هي الأخرى تقدم الدليل تلو الدليل على التراجع في مطالبها، والقبول بمستويات أدنى من التسوية، وبتنازلات أكبر للعـدو الذي أتمت الاعتراف به، وقبلت بهيمنته، ووصلت الأمـور إلى لحظة تاريخية انتهى فيها الصراع "الصفري"، إذ لم يعد فيها ما يفيد منظمة التحرير يضر بإسرائيل أو العكس.. إنما أصبح "انهيار" منظمة التحرير الفلسطينية لا يفيـد إسـرائيل قطعا.. بل صح الاستنتاج، كما يشير "شمعون بيرس" بأنـه

"من مصلحة إسرائيل أن تلعب منظمة التحريـر الفلسـطينية دورا في هذه المرحلة السياسـية" (ص: ٣٢ مـن الترجمـة العربية).. فإذا كانت الانتفاضـة تعـرض جـيش "الـدفاع" الإسرائيلي "لمصاعب لا سابق لها"، وإذا كانت حـدود دور المنظمة الجديد لم تعد تشكل تحديا يذكر لإسرائيل، وإذا كان حل "المعضلة الفلسطينية" هو شرط لازم لانفتـاح إسـرائيل على السوق الواسع الشديد الإغراء في المنطقة، وللقبول بها كعضو مركزي وأساسي داخل محيطها.. فلمـاذا لا يطـرق الحديد وهو ساخن؟!.. وهذا ما حدث بالضبط فيمـا عـرف باتفاق "غزة – أريحا".. ثم كرت السبحة بعد ذلك!.

• الشرق الأوسط الجديد – ١

من إسرائيل "الكبرى" إلى إسرائيل "العظمى"

تعددت السبل والغايـة واحـدة. فهـدف المشـروع الصهيوني، بالأساس، هو الهيمنة علـى شـئون المنطقـة، والسيطرة على ثرواتها، ونهب خيراتها.

في لحظة تاريخية معينة، كان اللجوء للقوة المسـلحة وسيلة ناجعة، فاستخدمت هذه الأداة بضراوة وعدوانية قلّ أن يكون لها نظير، لكن متغيرات جدت، جعلت من الصـعوبة

بمكان الاستمرار في الارتكان إلى وسيلة القمع العسكري، أو الاستمرار في التعويل على دور إسرائيل كأداة قمع لطموحات شعوب المنطقة فقط، بل أصبحت هذه الصورة، تهدد المكاسب التي تحققت، وتقود إلى تقويض الإنجازات التي تراكمت على مدى ما يقرب من نصف القرن، منذ إعلان الدولة الصهيونية وحتى الآن.

ومن هنا جاءت فكرة بناء "نظام إقليمي جديد"، يتسع لدور إسرائيل في صدارته.. لكن هذه المرة ليست إسرائيل العدوة المفروضة والمرفوضة، وإنما إسرائيل الصديقة، المطلوبة، التي يخطب ودها الجميع، ويتبارى الكل في اكتساب رضاها، لأنها كالساحر العجيب، وحدها التي تملك العصا السحرية لحل مشاكل بلادنا، وترقية شئون شعوبنا، والدفع بمواطنينا إلى حدود الحياة الإنسانية الكريمة!.

لكن هل يعني هذا الأمر تبدلاً في الاستراتيجيات الصهيونية، أو تغيرا للغايات النهائية للمشروع؟!.

في واقع الأمر لا.. فالفرق بين فكرة إسرائيل "الكبرى" التي كانت تقوم على التوسع العدواني، واحتلال الأرض.. وبين فكرة إسرائيل "العظمى" التي ترتكز على التوسع

"الحضاري"، بفتح الأسواق، هو فارق كمي لا كيفي وقد لام "إسحق رابين"، رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، معارضيه من "الليكود" على ضيق أفقهم، ومحدودية نظـرتهم، مبينًـا الفارق الهام والدقيق بين رؤية حزب "العمل" ورؤيتهم فـي هذا السياق، قائلاً: "إن هؤلاء يقيسون قوة إسرائيل بمسـاحة ما تستولي عليه من أراضٍ، أما نحن فنقيس قـوة إسـرائيل بمساحة ما نسيطر عليه من أسـواق"، (جريـدة الأهـرام، ١٩٩٤/١١/١٤)، وفي الحالة الأخيرة أيضا يضاف احتمـال اللجوء إلى القوة والعنف – إذا احتاج الأمر – فلم يتضـمن المشروع، كما صاغه وعرضه "شمعون بيرس" بكفاءة بالغة، أدنى تعهد بعدم اللجوء إلى هذا الخيار، إذا حتمت الظروف، أو دفعت مقتضيات الحال.

الصراع علـى إسـرائيل "الكبـرى" صـراع علـى الجغرافيا، والصراع على إسرائيل العظمى صـراع علـى "الاقتصاد".

والصراع الأول: ثمنه مرتفع، ويحتمل الخسارة.

أما الصراع الثاني: فتكاليفه منخفضة (وسيدفعها الغير كما سنرى)، وكله مكاسب!.

ولهذا نرى بلاغة "بيرس" تصل قمتها وهـو يـروج لمشروعه الشديد الجاذبية: "إن الفقر ليس مسألة صدفة، كمـا أن الضنك ليس عقابا من الأعلى، إنهما نتاج عمل الإنسـان، فعندما نخصص كثيرا من الأموال لزيادة القـوى التدميريـة للأمة، فإننا نكون بذلك قد تركنا مصادر قليلة جدا لدعم النمو الاجتماعي والمالي، ولدعم عملية الخلق والإبداع والبناء".

"وإذا كانت الحرب هي مصدر البؤس الإقليمي، فـإن الحل الممكن والوحيد هو السلام، وعـدا المزايـا المباشـرة للسلام (يقدم" بيرس" هنا غواية جديدة لزعماء دول المنطقـة تسيل لعابهم) ثمة طيف بديع من الفرص المنتفخة بدعم مـن المصادر المحلية والأجنبية، إضافة إلى العـون الحكـومي والعالمي. إن خلق سلام دائم يطلب ضخا سـخيا لـرءوس الأموال!"

• مصيرنا "يصاغ" بيد الآخرين:

وخلف هذا الكلام المعسول الرومانتيكي الناعم، تقـف ملامح مرحلة جديدة بالغة الخطورة، يصبح فيها مصير أمتنا ووطننا لعبة في أيدي أعدائنا، وتصاغ فيها حياتنا، وترسـم حدودها وتوزع الأدوار، في مكاتب المسئولين الإسـرائيليين

والأمريكيين والغربيين، وما على سادتنا الحاكمين "إلا البصم" والانصياع.

فشمعون بيرس، الذي لم يـذكر أي دور لأي حـاكم عربي، لا في طرح فكرة "النظام الإقليمي "الجديد" أو "السوق الشرق الأوسطية"، ولا حتى في الموافقة على بنوده، نراه – بعد أن تبلورت فكرته – يروح ذاهبا وغاديـا يرتـب سـبل تحقيقها، وأشكال تمويلها وأدوات تنفيذها (أو فرضـها) دون أدنى احتجاج عربي، أو بادرة للتساؤل: "عرضـت خـلال محادثاتي الكثيرة، يقول "شمعون بيرس" مع كبار الشخصيات الأوروبية، خلال العام الأول من عمـر حكومـة التحـالف العمالي، برنامجا لإقامة "شرق أوسط جديد"، علـى غـرار الخطة الأوروبية، للتعاون الاقتصادي أولاً، يكون مشـفوعا بزيادة التفاهم السياسي الجاري وصولاً إلى الاستقرار".

"لقد ألهبت الفكرة خيال العديد من حلفاء إسرائيل، بمن فيهم الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران"، والمستشار الألماني "هلموت كول"، ورئيس المجموعة الأوروبية "جاك ديلمـور" الذي رأى الإمكانات العظمى لهذا الترتيب الإقليمي الجديـد، لكل من أوروبا والشرق الأوسط".

"نتيجة لذلك، بدأت الشركات الأوروبية الكبرى بتطوير خطط لتوسيع أعمالها في الشرق الأوسط، واندفع البنك الدولي إلى حلبة النشاط، وأرسيت قاعدته لتعزيز مختلف الأنشطة، وعرض اليابانيون تولي أمر السياحة، والفرنسيون والألمان أمر المواصلات، والإيطاليون أمر قناة البحر الأحمر والبحر الميت، والنمساويون الماء والكهرباء، والبريطانيون التجارة الحرة والدنماركيون الزراعة، والأمريكيون الموارد البشرية، والكنديون اللاجئين، وأنشئت مختلف لجان العمل للحفاظ على الصلات بين جماعات العمل، وبخاصة خلال الفترة الفاصلة بين الاجتماعات"!!. إنها باختصار ورشة عمل كبيرة، على اتساع العالم الغربي كله، يتم فيها تشريح الجسد العربي، واقتسام غنائم الحرب، في غياب أصحاب الشأن الأصليين!!، والغريب في الأمر أن الصوت العربي الوحيد، الذي ارتفع – عبر صفحات كتاب "بيرس" – محاولاً أن يلحق بجزء من فتات "موائد اللئام" هذه، كان الصوت الفلسطيني الذي عرض على الإسرائيليين، عبر المسئول الاقتصادي "أحمد قريع"، (أبو علاء)، ما أطلق عليه "خطة تنمية الشرق الأوسط"، وهو "جهد" حظي بتفريط

"بيرس" لأنه يساير المشروع الإسرائيلي، ويسبح في نفس اتجاه التيار (الخطة منشورة بالتفصيل في مجلة "الدراسات الفلسطينية" – العدد: ١٦ – خريف ١٩٩٣ – تحت عنوان "العوائد المتوقعة من السلام والتعاون الاقتصادي الإقليمي")، ولعل هذا – من جهة أخرى – يفسر سر دعوة الرئيس الفلسطيني "ياسر عرفات" لقيام "سوق شرق أوسطية" تلعب فيها إسرائيل دورا معترفًا به!.

• التسوية السياسية مدخل السوق الاقتصادي:

إن سوقًا اقتصاديا مفتوحا، على امتداد رقعة هائلة تضم دولاً "شرق أوسطية" وأخرى عربية، وتلعب فيه إسرائيل دور المايسترو، المدير والقومسيونجي، والبنكير أيضا، فكرة عبقرية تسيل لعاب اليهودي البارع الذكاء، وأيضا تجر قطاعا من مواطني هذه المنطقة، الطامعين للفوز بنصيب من فتات عوائد هذه المشروع، ولو على حساب شعوبهم وأوطانهم!.

وهي كذلك تضمن حشد عالميا واسعا – كما سبق الإشارة – من المؤسسات والهيئات الرأسمالية العالمية، كل منها يسعى إلى نصيب من الكعكة الشهية.

لكن المدخل الأساسي لتمرير هذه المسألة واضح لا لبس فيه: لابد من تسوية سياسية تنهي "الوجع" الفلسطيني، وتيسر على الأطراف العربية المعنية تبرير عملية الهرولة باتجاه "العدو" التاريخي، والارتماء في أحضانه!.

إن إسرائيل مستعدة لخطوة ما في هذا السبيل، والمنظمة التي أنهكها التعب والتحلل السياسي مستعدة أيضا، ورسالة "بسام أو شريف" مستشار "ياسر عرفات"، "المفعمة بالدفء"، مؤشر واضح على ذلك: "عزيزي السيد "بيرس" إنني واثق من أن الإسرائيليين يريدون السلام، على غرار ما يريده الفلسطينيون، وأن المتطرفين(!) من كلا الجانبين سيخسرون لحظة يتقدم الرجال الشجعان المميزون لردم الهوة وكسر حاجز الخوف، وانعدام الثقة!.. إننا نكبر فيك رؤيتك الواضحة للمستقبل(!)، وقدرتك على التقاط الجديد في هذا العالم، وأفكارك الأصيلة الهادفة إلى خلق شرق أوسط جديد، ونحن نشاركك ذلك!.

(...) ونحن مستعدون لأن نضع أيدينا في أيديكم لبناء مستقبل زاهر، مستقر، لأجيالكم وأجيالنا المقبلة!!"

هل رأيتم كيف يمدح المسئول الفلسـطيني مغتصـب أرضه وناهب ثرواته وقاتل شعبه؟!.

إنه نفس الخطاب الساداتي الإنشائي الاستهلاكي، الذي يبرر التراجع الاستراتيجي والتناول التاريخي عن الحقـوق المشروعة، بقصائد عن "السلام" و"الرخاء" و"نبذ الحـروب" دون ارتكاز على أساس يجعل من هـذه الأحـلام الورديـة إمكانية قابلة للتحقق!.

• غزوة!؟.. لتذهب إلى الجحيم:

لكن هذا الغزل المتبادل بين الطـرفين، كـان يعوقـه الحضور القوي للشعب الفلسطيني الثائر في المشهد السياسي عبر "الانتفاضة" التي أرقت العدو الإسرائيلي.. كـان لابـد لإسرائيل أن تتخلص من مأزق هذه "الانتفاضة" بأسرع السبل وأقل التكاليف، لقد جاءت الانتفاضة، كما يعترف "بيـرس"، "لتعرض جيش الدفاع الإسرائيلي إلى مصاعب لا سابق لها، إن المؤرخين سوف يبـررون سـلوك الجنـود والضـباط الإسرائيليين بمواجهة وضع غير تقليدي كهـذا – وضـع لا

يمكن لأي جيش أن يتدرب عليه، ولا يمكن لأي جـيش أن يجابهه، لا عمليا، ولا معنويا".

لقد أصبحت كلفة الحفاظ على السيطرة الإسرائيلية في منطقة – كقطاع غزة – لا تمثـل ضـرورة اسـتراتيجية، أو إغراء اقتصاديا، لإسرائيل، باهظـة، وغيـر محتملـة.. وأصبح وجودها – في هذه الظروف – كابوسـا لا يطـاق، يقض مضاجع قادة إسرائيل، وكان حلم القادة الإسرائيليين أن يستيقظوا من النوم، فيجدونها قد ذهبت إلى الجحـيم، غـزة المناضلة التي أصبحت شوكة في جنب إسرائيل تنزف دمـا وصديدا.. لابد إذن من اقتلاعها حتى يفوز الثعاب الصهيوني بباقي الفريسة، ويتفرغ لهضم الكعكة الكبرى.. فـلا أحـد، يقول "بيرس"، "يريد غزة"، "فقطاع غزة يشغل مساحة ٣٦٥ كيلو مترا مربعا، وبنفوس تقارب ٨٠٠ ألف نسمة، إن غـزة ليست أرضنا، فهي ليست مأهولة فحسب، بل تسجل الـرقم القياسي في العالم من ناحية كثافة السكان، وهـو مـن هـذا الإطار، إضافة إلى تفجره بأعمال الثـورة والعنـف، يمثـل خطرا على التكوين الديموغرافي للدولة يصعب إيجاد حلا له، إن استمرار الوضع الحالي في مخيمات اللاجئين في قطـاع

غزة، بدون المستوى المقبول، هو وصفة مؤكدة للغليان القومي والمدني الذي سينتهي إلى راديكالية متعصبة معادية للسلام والديمقراطية".. هكذا يرى "بيرس" المشكلة، أما الحل – في ضوء هذا الوضع – فهو أن تترك غزة بـ "بلاويها" للفلسطينيين وتحديدا للمنظمة شرط "أن تقر منظمة التحرير الفلسطينية – علنًا – بحق إسرائيل في الوجود بسلام ضمن "حدود آمنة"، وأن تقبل منظمة التحرير الفلسطينية بقراري مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ كأساس للتفاوض، وأن تنبذ منظمة التحرير الفلسطينية اللجوء إلى (الإرهاب)، وأن تكافح العنف و(الإرهاب)(!)، وأن تلتزم منظمة التحرير الفلسطينية بتسوية الخلافات المقبلة عبر المفاوضات السياسية، لا عن طريق استخدام العنف و(الإرهاب)، وأن تشطب منظمة التحرير الفلسطينية عموما الثلاث والثلاثين مادة من الميثاق الفلسطيني التي تدعو بصورة مباشرة (٢٨ مادة) أو ضمنًا (خمس مواد) إلى إزالة إسرائيل، وطالبنا أيضا بإجراء تغيير جوهري في مبادئ منظمة التحرير الفلسطينية بما يتفق والصيغة المعدلة للمعاهدة بيننا، وحذف كل نصوصها المعادية للسلام!!".

وقد قبلت منظمة التحرير الفلسطينية شروط الإذعـان الصهيونية وغيرت منظمة التحريـر الفلسـطينية سياسـتها الأساسية تجاه إسرائيل، يقول "شمعون بيرس"، لكـن، مـرة أخرى، "كيف يمكن تحقيق ذلك"؟! "لقد فهمنا أننا إذا اقترحنـا غزة أولاً، فإن الفلسطينيين سيرتابون في أننا نقدم لهم غـزة فقط، وما لم تكن هنـاك إشـارة واضـحة إلـى مواصـلة المفاوضات حـول الضـفة الغربيـة، فـإن الفلسـطينيين لا يستطيعون قبول العرض، لقد تعلمت أن العروض التـي تقدم طواعية تلقى الرفض؛ أما العروض المقدمـة اسـتجابة لمطالب فتعتبر نصرا"، بتعبير آخر إن فرض تمرير "غـزة أولاً تتوقف على شرطين مسبقين: أن تكون غزة مع شـيء آخر، وأن يطالب الفلسطينيون بذلك".. وقد نجح هذا التكنيك الذكي والتكتيك الماكر، حيـث قـدمت "أريحـا" لاسـتكمال العرض، ومهدت الأجواء، واستخدمت الوساطات – وبعضها عربي – لتزيينه أمام المنظمة، وبما يكفي لاعتبـاره غايـة فلسطينية، والتهليل له بصفته.. نصرا مؤزرا!!!.

السوق الشرق أوسطية – ٢
المنطقة ترقص على أنغام إسرائيلية

- <u>السلام مدخل لإعادة التنظيم:</u>

مثلما شرحنا سابقًا، جـاء إدراك الإدارة الإسـرائيلية لدور "السلام"، بالمفهوم الإسـرائيلي الأمريكـي، باعتبـاره المدخل الطبيعي لإعادة صياغة أوضـاع المنطقـة، وبنـاء علاقات جديدة فيها، تصب لخدمة مصـالحهما (أي أمريكـا وإسرائيل)، الاستراتيجية على امتداد ساحاتها. وحسب تعبير "شمعون بيرس"، فإن السلام "بين إسرائيل وجيرانها، "سيخلق البيئة الموائمة لإعادة تنظيم مؤسسات الشرق الأوسط بصورة أساسية، إن التوافق، وقبول العـرب بإسـرائيل كاملـة ذات حقوق ومسئوليات متساوية، سينجب نوعا جديدا من التعاون، لا بين إسرائيل وجيرانها فحسب، بل بين البلـدان العربيـة أيضا".. لكن تحقيق هذا الأمر يقتضي (علـى حـد تعبيـر بيرس) "ثورة في المفاهيم"، مفاهيمنا نحن بالطبع، مضمونها الاعتراف بالوجود الصهيوني، وبشرعيته، وبكونه جزءا من واقع المنطقة ومستقبلها، والإذعـان أمـام إرادة "شـعب ا

المختار" الذي لن يخرج من هذه الأرض مهما كانت النتائج، فـ "نحن" – يقول "شمعون بيرس"، "شعب ذو حزم، وما من قوة على وجه البسيطة تستطيع أن تحملنا على مغادرة هـذه الأرض بعد خمسـين جـيلاً مـن العـيش فـي الشـتات (الدياسبورا)، خمسين جيلاً من الاضطهاد، والعذاب، والإبادة لن نتزحزح من المكان الوحيد في هذه الدنيا الذي نسـتطيع فيه أن نجدد استقلالنا، ونكفل سلامتنا"، ومادام الطرف الآخر قد قبل بوجودنا، وارتضى الإذعان لشروطنا، فلنتقدم خطـوة أخرى باتجاه تشكيل المنظومة الإقليمية الجديدة، وتحديد شبكة العلاقات داخلها.

- ## عوامل تشكيل النظام الإقليمي المقترح:

ويشرح "شمعون بيرس" العوامل الأربعـة الجوهريـة التي تبرر الحاجة لهذا الإطار الإقليمـي المقتـرح، وهـي: الاستقرار السياسي، والاقتصاد، والأمن القومي.. وأخيـرا.. إشاعة الديمقراطية.

بالنسبة لقضية الاستقرار السياسـي، يـرى "شـمعون بيرس" أن قيام هيكل إقليمي منظم سـيحقق "إطـارا جديـدا للمنطقة، ويوفر القدرة على النمو الاقتصـادي والاجتمـاعي

وإطفاء "نيران التطرف الديني وتبريد رياح الثورة الساخنة"، أما بالنسبة للاقتصاد فهو يرى في ارتفاع مستوى المعيشـة، الشرط المسبق لتخفيف التوترات في بلدان الشرق الأوسـط، فطالما كانت هناك هوة واسعة تفصل بين المستويات داخـل النظام الاجتماعي – السياسي، فإن المجال يتسع فسيحا أمـام الأصولية، أما الرد على استفحال هذه الظاهرة الأخيرة، فهو – كما يتصور "بيرس"، بإنشاء" منظمة تعاون إقليمية تتحرك على "قاعدة فوق قومية" وأما عنصر الأمن القـومي، فـإن السبيل الوحيد لتحقيق قدرا معقولاً منه في عصر الصواريخ – أرض - أرض والقدرات النووية، كما يرى "بيرس"، لـن يكون إلا بإقامة "نظام إقليمي للرقابة والرصـد"، فالمفـاهيم التقليدية للإستراتيجيات العسكرية قد غدت بالية بعد حـرب "عاصفة الصحراء"، وبدلاً من "توازن الرعب" (يلاحظ هنـا أن "بيرس" يوحي بالخطر النووي المتبادل!، ويتجاهل حقيقة امتلاك إسرائيل وحدها للقنبلـة النوويـة وأسـلحة الـدمار الشامل)، "فإن التحالف الإقليمي سوف يسـاعد علـى منـع طرف ما من الضغط على الزر المهلـك، الـذي لا يبقـي ولا يزر"!!.

وفيما يخص مسألة "إشـاعة الديموقراطيـة"، فيـربط "شمعون بيرس" بينها وبين "تبديـد العوامـل الكامنـة وراء التحريض الأصولي" من جهة، ودورها كـ "هيئـة رقابـة" تحرس (السلام) من جهة أخرى، ويستنتج استنتاجا غريبا بأن "الأمم الديموقراطية لا تدخل في حرب ضد بعضها البعض"، (مع أن هذا الأمر تكذبه الوقائع الدامغة، القريبـة، وأهمهـا انفجـار حـربين عـالميتين شـاملتين بـين دول الغـرب الديمقراطية!)، إن هذه العوامل الأربعة، ستحض، من وجهة نظر "بيرس"، القائمين على شئون المنطقة، نحو السعي لبناء "حالة" جديدة، وفي هذا السياق، فإن خطة الحكم الذاتي، التي تم إقرارها بين المنظمة وإسـرائيل، تلعـب دور العنصـر الفاصل بين الماضي والحاضر، وتؤرخ لتخطيط شرق أوسط جديد، وتمثل "الممر" الذي يستخدم للانتقال بين عالمين.

- **ما كان.. وما سيكون:**

يستند "شمعون بيرس" إلى مقولة لـ ديفيد بن جوريون يقول فيها "إن كل الخبراء هم خبراء فيما كان، وإننا بحاجـة إلى خبراء بما سيكون"، لكي يقدم تصوره عن المستقبل الذي يصوره نقيض الماضي، مفعما بالأمل بالتفاؤل، وهو تفـاؤل

مبرر، فها هي الدعوة الصهيونية تتقدم وتحقـق إنجـازات ملموسة، بينما تتراجع الدعوة العربية وتلحق بها الهزيمة تلو الهزيمة، وارتكازا على هذه القاعدة، يرسم الحدود الجديـدة للمنطقة، ويخطط لها بحرص، إذ "ينبغي أن تكون خطتنـا – كما يقول "بيرس" محترفة، محكمة، جيدة الصياغة، بحيـث يمكن لها أن تقودنا، في الاتجاه الصحيح، محولة النظرية إلى سياسة مثمرة".

وأهم أسباب الحرص في التخطيط هو محاولة تجـاوز "رواسب" مفهوم القومية الذي يمكـن لـه أن يعـوق إقامـة الجماعة الإقليمية المنتظرة.

- مراحل الخطة الثلاثية الركائز:

يقترح "شمعون بيرس" خطة ثلاثية الركائز، أو "هرما ثلاثي الأضلاع" للتعاون الإقليمي تتضمن:

مرحلة أولى: مشاريع ثنائية أو متعددة القومية، مثـل إنشاء معهد أبحاث مشتركة لإدارة الصـحراء، أو مصـالح تعاونية لتحلية المياه.. إلخ، وهو يضرب لهذا الـنمط مـثلاً بالتعاون مع النظام المصري في مجال الزراعة، ولا يشترط الانتظار حتى توطيد أواصر "السلام الدائم" كشرط لبدء هـذه

المرحلة، فلإسرائيل – كما يذكر بيرس – "أصـلاً، بـرامج اقتصادية، وبرامج أبحاث مشتركة مع مختلف البلدان التي لم نوقع معها معاهدات سلام بعد"!.

المرحلة الثانية: وتحتوي "كونسورينمات" دولية تتولى المشاريع التي تتطلب استثمار رساميل هائلة، بإشراف البلدان ذات العلاقة في المنطقة علاوة على أطـراف أخـرى ذات مصلحة أيضا، ومن نماذج مشاريع هذه المرحلة: قناة البحر الأحمر – البحر الميت – إنشاء ميناء إسرائيل – أردنـي – سعودي، تطوير الطاقة الكهرومائية، ومشاريع تحلية الميـاه، تطوير صحراء النقب (حلم من أحلام بن جوريون، كما يذكر "بيرس")، وغيرها.

أما المرحلـة الثالثـة: فتشـمل سياسـة "الجماعـات الإقليمية"، مع التطوير التدريجي للمؤسسات الرسمية الخاصة بها.

إن دول هذه المنطقة، كما يقول "بيرس" يشـدها إلـى بعض ميل "فوق قومي" للجماعات الإقليمية، بينما ينفرها من بعض الميل للانغلاق القومي.. وهذا الميل ينبغي محاصرته بمجموعة مـن "الـروابط"، أو "الأحزمـة" الاقتصـادية –

السياسية، تستهدف – عبر مجموعة من الخطوات التدريجية – إقامة جماعة تشبه الجماعة الأوروبية، التي كان بين مكوناتها حروب كبرى وعداء تاريخي مكين هي الأخرى!.

• من اقتصاد الصراع إلى اقتصاد السلام:

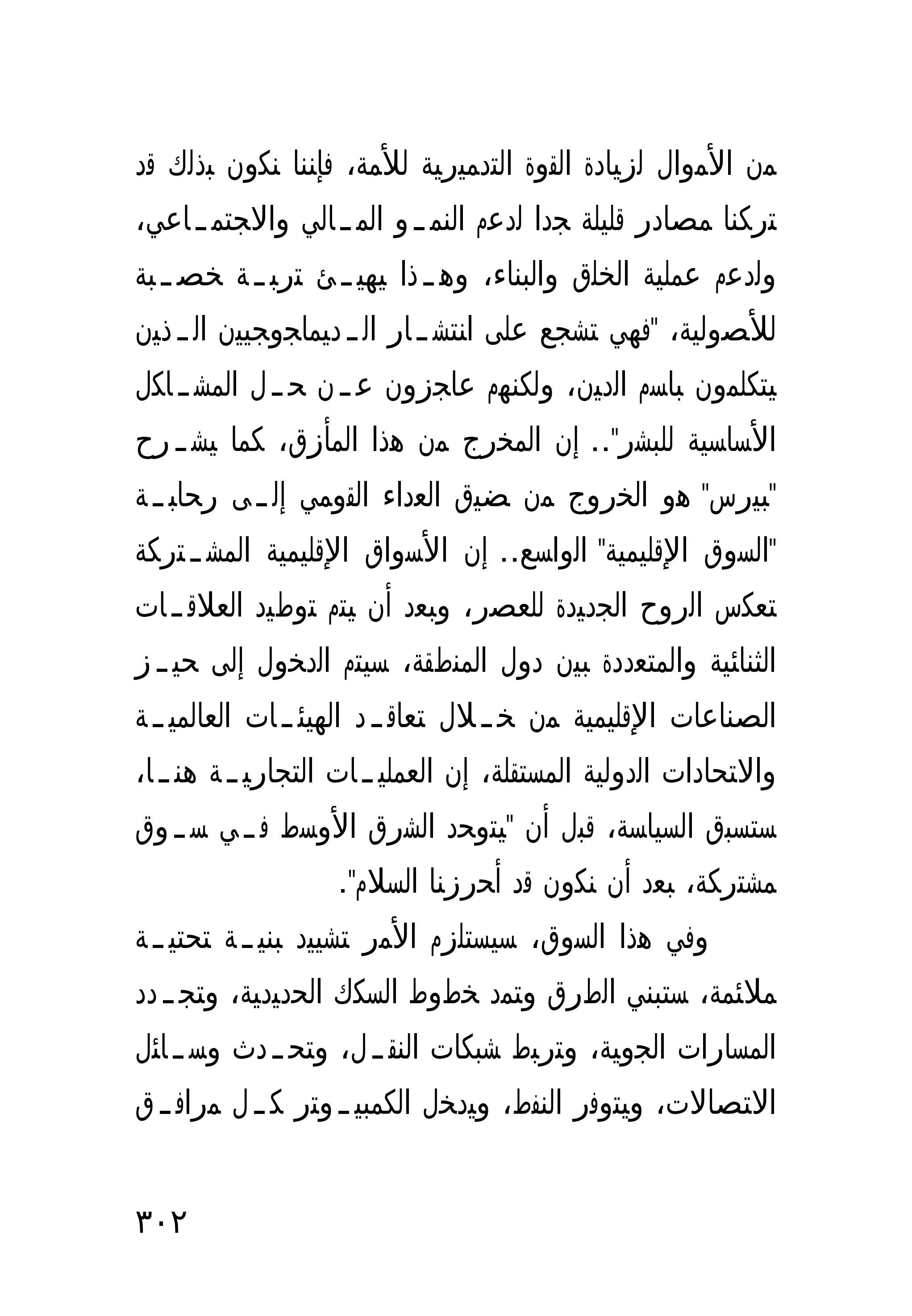
تجبر الحروب التي تشهدها المنطقة حكومات الدول المشتركة فيها، على تخصيص ميزانيات ضخمة لتطوير ترساناتها العسكرية، ومع تطوير التكنولوجيا، وارتفاع تكاليف السلام، فإن سباق التسلح يستنزف كميات هائلة من الأموال، تبلغ حوالي ٦٠ مليار دولار سنويا، إن الشرق الأوسط كما يذكر "بيرس"، يحتل المرتبة الأولى بين مناطق العالم في إنفاقه على الأسلحة والتسلح بالنسبة لإجمالي الإنتاج القومي، وتظهر الأرقام أن الاستثمارات في المعدات العسكرية قد استهلكت ٢١% من جميع الميزانيات الحكومية في المنطقة (باستثناء معونة الدفاع (الأمريكي) التي هي بمثابة عنصر مركزي في الميزانيات الإسرائيلية والمصرية).. لقد أنفقت دول الشرق الأوسط، ومن بينها إيران، والعراق نسبة يصل معدلها ١٧% من إجمالي الإنتاج المحلي (GDP)على الدفاع، وأكبر النفقات هي لدى سوريا

التي بلغت نسبتها ٥٠%، ويليها في هذه النفقـات إسـرائيل، حيث بلغت نسبة الإنفاق فيها ٢٦%.

عن عجز الميزانيات، يقول "بيرس" وارتفاع الـديون الوطنية في هذه الدول الشرق أوسطية، ما هـي إلا نتـائج مباشرة لهذا الاستثمار، ففي عام ١٩٨١ بلغ مجمل الـديون الوطنية الشاملة في المنطقة ما نسـبته ٣٥% مـن إجمـالي الإصدارات، وبعد عشر سنوات كانت النسـبة قـد بلغـت ١١٣% وكلفة حرب الخليج (الثانية) قدرتها المصادر العربية بحوالي ٦٧٦ بليون دولار، وإذا نشبت حرب شـاملة فـي المستقبل، ستتكبد إسرائيل ما لا يقل عن بليون دولار في كل يوم من أيامها، وهذا الرقم لا يشمل الدمار الواسع الذي تلحقه الحرب بالبنية التحتية المادية للبلاد، وهو ما سيحدث للخصم على أقل تقدير أيضا، ويضاف إلى هذه الخسائر خسائر غير مباشرة "بسبب عناد العلاقات التجارية بين الدول المتجاورة".

ويلجأ "بيرس" مرة أخـرى إلـى التخويـف بفزاعـة "ألأصولية الإسلامية":

إن هذا الوضع يترك بصماته الملحوظة على الظروف الاقتصادية لدول عديدة في المنطقة، فعندما نخصص كثيـرا


من الأموال لزيادة القوة التدميرية للأمة، فإننا نكون بذلك قد تركنا مصادر قليلة جدا لدعم النمـو المـالي والاجتمـاعي، ولدعم عملية الخلق والبناء، وهـذا يهيـئ تربـة خصـبة للأصولية، "فهي تشجع على انتشـار الـديماجوجيين الـذين يتكلمون باسم الدين، ولكنهم عاجزون عـن حـل المشـاكل الأساسية للبشر".. إن المخرج من هذا المأزق، كما يشـرح "بيرس" هو الخروج من ضيق العداء القومي إلـى رحابـة "السوق الإقليمية" الواسع.. إن الأسواق الإقليمية المشـتركة تعكس الروح الجديدة للعصر، وبعد أن يتم توطيد العلاقـات الثنائية والمتعددة بين دول المنطقة، سيتم الدخول إلى حيـز الصناعات الإقليمية من خـلال تعاقـد الهيئـات العالميـة والاتحادات الدولية المستقلة، إن العمليـات التجاريـة هنـا، ستسبق السياسة، قبل أن "يتوحد الشرق الأوسط فـي سـوق مشتركة، بعد أن نكون قد أحرزنا السلام".

وفي هذا السوق، سيستلزم الأمر تشييد بنيـة تحتيـة ملائمة، ستبني الطرق وتمد خطوط السكك الحديدية، وتجـدد المسارات الجوية، وتربط شبكات النقـل، وتحـدث وسـائل الاتصالات، ويتوفر النفط، ويدخل الكمبيـوتر كـل مرافـق

الحياة، ويسود مبدأ "الاقتصاد وليس السياسة"، أي ("البيزنس" وليس الوطنية أو القومية)، وبواسطة السلام ستتحول الحدود من حواجز فاصلة إلى جسور موصلة!!.

إن المشاريع جاهزة، والدراسات الأساسية قد أتمـت: خطوط الطرق والموانئ والمطارات مناطق التجارة الحـرة والزراعة والسياحة، إن "بركات السلام" علـى حـد تعبيـر "بيرس" ستحل على المنطقة، والعالم الغربي كله، بمؤسسـاته وكياناته المادية والاقتصادية، على أهبة الاستعداد لتمويل هذا المشروع الاستثماري الهائل، لبناء "حصن ضـد الأسـلحة النووية(!) والرعب، وعنـف الراديكاليـة الدينيـة، وهمـا التهديدان الرئيسان لسوق النفط العالمي التي هي هرم الحياة للاقتصاديات الحديثة"، وهو أيضا، مثلما اقترح "بيرس" على "هولمت كول" المستشار الألماني، وسيلة حل مشاكل الغرب، كالبطالة، أو الركود.

إن هذه العملية الكبرى ستستوجب مبادرة الاحتكارات العملاقة بالحركة، والشركات الأمريكية عابرة القـارات لـم تتأخر، فقد دعا "وارن كريستوفر" وزير الخارجية الأمريكي حولي ٥٠ مديرا من مديري الشركات الأمريكيـة الكبـرى،

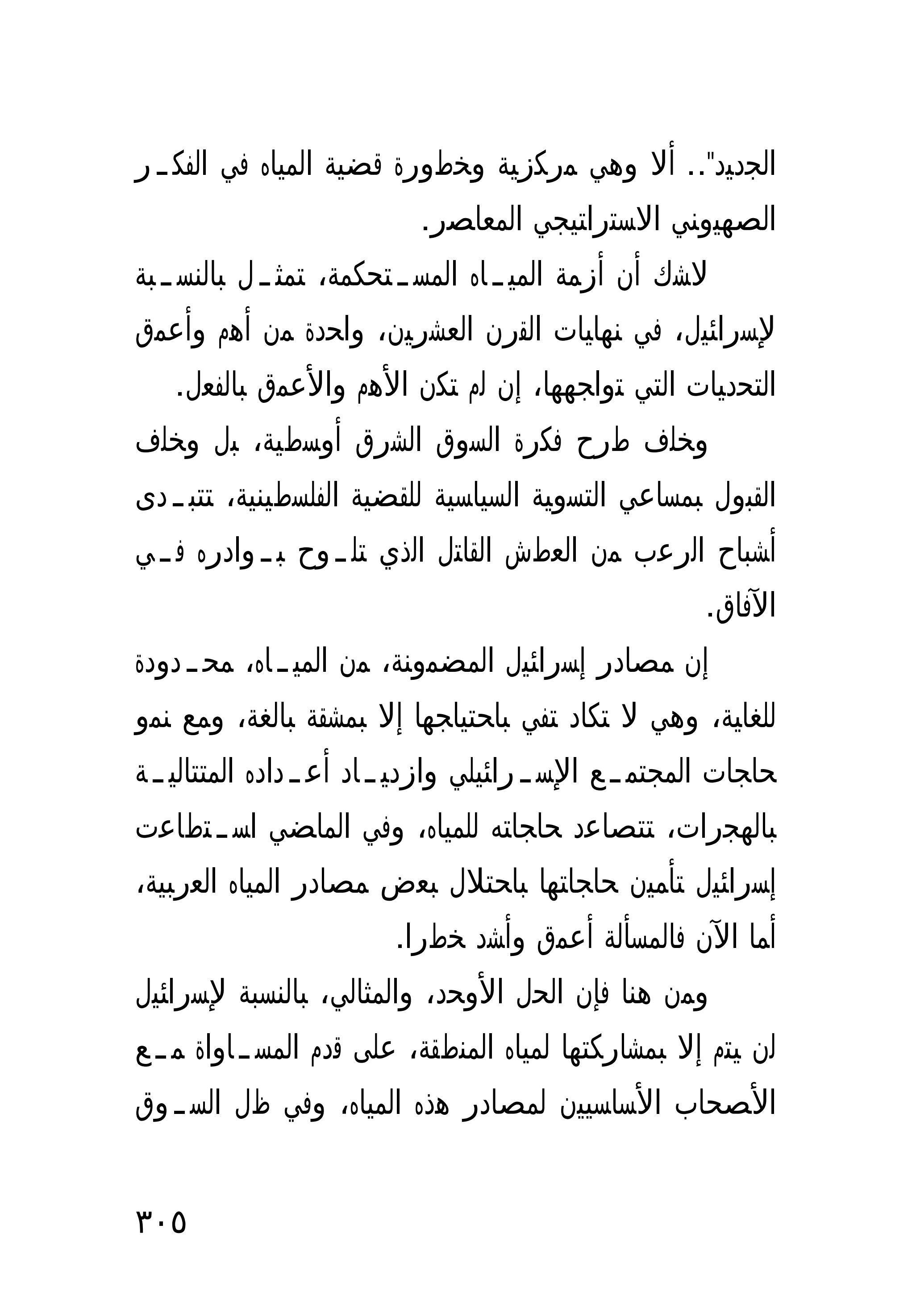
لكي تضع تفصيلات التطورات التي تحتاجها في الشرق الأوسط، وسيقوم بنك بجمع الأموال المخصصة للاستثمار في الشرق الأوسط، حيث يجذب المستثمرين الجدد، و"يوفر الأموال من المنطقة نفسها"، ومن الأفضل ألا يعتمد على البنك الدولي الآن، لأنه لا يمثل "العربة الأمثل في الظروف الحالية".

كما أن هذه المهمة العملاقة، ستحتاج إلى بنك للمعلومات لوضع السياسات الاجتماعية والاقتصادية للشرق الأوسط المقبل.

وهكذا: تخطيط كامل دقيق، لم يترك شاردة أو واردة دون أن يحصيها، ومخطط متكامل ينسج شبكة عنكبوتية تقبض على الفريسة، ولا تترك لها مهربا، والغائب الوحيد في كل هذه الصورة الهائلة هو نحن، نحن أصحاب الأرض والسماء والخيرات، لم يستأذننا أحد، ولم يعن إنسان بسؤالنا عن رأينا(!).

- **وجعلنا من الماء...:**

بعد هذا كله تبقى نقطة أساسية لا يجب أن تغيب عن بالنا، ونحن نطالع كتاب "شمعون بيرس" "الشرق الأوسط



الجديد".. ألا وهي مركزية وخطورة قضية المياه في الفكـر الصهيوني الاستراتيجي المعاصر.

لاشك أن أزمة الميـاه المسـتحكمة، تمثـل بالنسـبة لإسرائيل، في نهايات القرن العشرين، واحدة من أهم وأعمق التحديات التي تواجهها، إن لم تكن الأهم والأعمق بالفعل.

وخاف طرح فكرة السوق الشرق أوسطية، بل وخلف القبول بمساعي التسوية السياسية للقضية الفلسطينية، تتبـدى أشباح الرعب من العطش القاتل الذي تلـوح بـوادره فـي الآفاق.

إن مصادر إسرائيل المضمونة، من الميـاه، محـدودة للغاية، وهي لا تكاد تفي باحتياجها إلا بمشقة بالغة، ومع نمو حاجات المجتمـع الإسـرائيلي وازديـاد أعـداده المتتاليـة بالهجرات، تتصاعد حاجاته للمياه، وفي الماضي اسـتطاعت إسرائيل تأمين حاجاتها باحتلال بعض مصادر المياه العربية، أما الآن فالمسألة أعمق وأشد خطرا.

ومن هنا فإن الحل الأوحد، والمثالي، بالنسبة لإسرائيل لن يتم إلا بمشاركتها لمياه المنطقة، على قدم المسـاواة مـع الأصحاب الأساسيين لمصادر هذه المياه، وفي ظل السـوق

الشرق أوسطية، وحيث الاقتصـاد هـو المحـرك، ولـيس السياسة، يمكن أن تمر هذه المسألة، وبدون ذلـك، يهـددنا "بيرس"، "يصعب القول بأن الاستقرار والهدوء سيعودان إلى دلتا النيل، أو الهلال الخطيب، وإذا لم تبرم إسرائيل السـلام مع سوريا ولبنان والأردن، فإن حوضي اليرموك والأردن قد يصبحان مجددا مصادر للأعمال العدائية الخطيرة.

إن المياه في الشرق الأوسط، لاحظوا ما يقول "شمعون بيرس" بأقصى درجات الانتباه: "هي ملك للمنطقـة، ولعـل المياه، أكثر من أي قضية أخرى، تعتبر دليلاً علـى مـدى الحاجة لإقامة نظام إقليمي، ومن خلال هذا النظام فقط يمكننا التخطيط وتنفيذ تنمية المياه، وتوزيع الميـاه علـى أسـاس اقتصادي، لأسلوب عادل ومؤتمن"!!.

إن الحاجة للإنفاق على سياسة مياه إقليمية، تبرز الآن وبشدة، بسبب ازدياد مشكلة تناقص الميـاه خطـورة، ولأن المبدأ الذي يحكم حقوق المياه لا يناقش السيادة المطلقة لكـل دولة على استخلاص المياه مـن الحـوض الواقـع ضـمن سيادتها، ومن هنا فإن الإعلان عن قيام هيئة إقليمية تشـارك

فيها كافة الأطراف المعنية، يعني كذلك تخفيف أسباب التوتر والعمل من أجل السلام!".

والواقع أنه.. يستكمل "بيرس" إنذاره، "ليس هناك مـن حاجة للانتظار لإقامة نظام مياه إقليمي. وهنا فإن التسـويات والاتفاقيات الثنائية والمتعددة تمثل سلسلة من الإجراءات في قطاعين رئيسيين هما: نقل المياه من المناطق التـي تحظـى بوفرة منها إلى المناطق التي هي في أمـس الحاجـة إليهـا (إسرائيل يقصد) ومن خلال تكنولوجيا المياه المالحة".

انتهى إنذار" بيرس" ومضمونة أوضح ما يكـون: إن لإسرائيل حقا صراحا فيما تحتاجه من مياه، أيا كـان اسـم الدولة التي تملكها.. ومن الأفضل أن يتم ذلك طواعية، وإلا فإنها الحرب لا محالة!، إن الحرب من أجل المياه هو عنوان الفترة القادمة، ونقطة الماء تعادل نقطة دم لا أقل.

وهذا الأمر يذكرنا بمبادرة السادات "التطوعية" التـي أعلن فيها موافقته على نقل مياه النيل لإسرائيل، عبـر مـا أسماه "ترعة السلام"، التي دخلت بالفعل حيز التنفيذ، وينبهنا إلى مزيد من اليقظة والحذر في التعامل مع هـذه القضـية الحيوية البالغة الأهمية.

عبر هذا الاستعراض المفصل لكتاب "الشرق الأوسط الجديد" تتضح أبعاد ما يرسم لمنطقتنا، وما يراد بمستقبلها: محددا وقاطعا، وبقلم واحد من كبار منظريه.

إنها ليست "نظرية المؤامرة" التي يعيبون علينا الحديث عنها باستمرار هذه المرة، بل هي المؤامرة بعينها مسجلة وواضحة المعالم ومحددة التفاصيل.

وإذا كنا قد فقدنا الأمل، في أن يعي "ولاة أمورنا" المخاطر التي تحيط بأوطاننا فلا أقل من أن تفهم جماهيرنا أبعاد المجزرة القادمة، ولا يغرنكم أن الجزار هذه المرة يرتدي ملابس السهرة، وفي يديه قفاز من حرير.

إنهم ينظرون إلى هذه الأرض باعتبارها أرضهم، أرض صهاينة إسرائيل وملك أجدادهم، وإذا كانت "إسرائيل الكبرى" بقوة السلام وإرهاب البطش يصعب تحقيقها الآن، فلا بأس من تحقيق "إسرائيل العظمى" بقوة الاقتصاد، وبرشوة قطاعات متواطئة في النخب الحاكمة بالمنطقة، وفي الطبقات المستفيدة وإذا ما انتابكم الشك لحظة في صحة هذا الأمر، اقرءوا بتمعن كلمات "شمعون بيرس".

لقد ابتنى آباؤنا المعابد والأهرامات والقلاع وشقوا القنوات.. فأورثونا بذلك مواقع سياحية مذهلة!!

وراجعوا رأي نتنياهو في بناء الأهرام على أيدي أجداده المزعومين!!

إنها أرضهم يعلنونها، ولا يخفونها، وهم قادمون: بالأمس على جناح الفانتوم الأمريكية، والآن في مركبة اسمها "السوق الشرق الأوسطية" مصنوعة في إسرائيل، وممهورة بخاتم أمريكا والغرب، وبمباركة التسوية والصلح أيضا.

فالمقاومة .. أو الموت.